

دراسات اشتراكية

- الدور السياسي للطبقة العاملة
- السياسات الدولية والمعايير الأخلاقية
- الثقافة والصراع الطبقي
- ندوة علمية عن:

مشاكل المدن

السنة السادسة



أغسطس ١٩٧٧



« تضامن الشعوب من أجل حماية سلام العالم »



دراسات اشرالية

مجلة شهرية • تصدر عن دار المجلال • الستة السادسة ٨٠ • أغسطس ١٩٧٧

- الدراسة الاولى :
التحالفات السياسية في النضال ٢
- الدراسة الثانية :
التضامن هو ضمان الانتصارات ١٣
- الدراسة الثالثة :
من أجل السلام وسعادة البشرية ٢٢
- شـيـلى :
الدور السياسي للطبقة العاملة ٣٦
- تحقيقات :
ماذا عن حقوق الانسان ؟ ٤٩
- في الثقافة والفن :
قامم أمين وتحرير المرأة ٦٦
الثقافة والصراع الطبقي ٧٨
- دراسة نظرية :
السياسة الدولية والمعايير الاخلاقية ٨٦
- ندوة عالمية :
مشاكل المدن ٩٣
- احداث الشهر :
من الاقتناع ١١٤
- من عواصم العالم :
منظمة العمل الدولية وروح العصر ١١٨

التحالفات السياسية في النضال ضد الإمبريالية

بقلم: دون ديماسيرى سوباسينج

اعتبر الشيوعيون على الدوام التحالف بين البروليتاريا وبين كافة الجماهير الكادحة والمستغلة ، وفي المحل الأول الفلاحين ، كشرط جوهري لنجاح النضال الثوري . واستراتيجية التحالفات الطبقية والسياسية ، التي وضعت مبادئها كلاسسيكات الماركسية اللينينية ، تحتفظ بأهميتها في ثورات التحرر الوطني المعاصرة ضد الإمبريالية . وكما نعرف فإن القوى الدافعة في هذه الثورات مهياة بتركيب للطبقات والفئات البروليتارية الحضرية والريفية ، والجماهير شبه البروليتارية ، والفلاحين ، والفئات الوسطى ، بما فيها المثقفين ، والبرجوازية الوطنية لدرجة كبيرة ، رغم أنها تختلف في علاقاتها ببعضها البعض ودورها تبعاً للتباين الكبير في الظروف التاريخية والاقتصادية المتميزة وغيرها في البلدان المختلفة .

وهذه العوامل ، وبخاصة دور البرجوازية الوطنية ، تختلف كذلك طبقا للمرحلة التي وصلت اليها ثورات التحرر الوطنى . ومع ذلك ، فان درجة تماسك ووحدة عمل تلك القوى التي توصل اليها ممثلو تنظيماتها السياسية تحدد للدرجة كبيرة دون شك قوة حركة التحرر الوطنى بشكل عام ، وعمقها الاجتماعى وبالتالي نتائجها وآفاقها .

وفى مرحلة الاستقلال السياسى لم يكن من الصعوبة بمكان تشكيل مثل هذه الوحدة فى عديد من بلدان آسيا وأفريقيا ، أولا ، نظرا لطبيعة الهدف ، لان المجتمع كان اقل تبائنا فيما يتعلق بالطبقات عما هى عليه اليوم ، رغم ان ذلك لم يستبعد فى كثير من الحالات الاختلافات الخطيرة فى الرأى حول أشكال وآفاق النضال والقيادة . وفى مرحلة التحرر الاقتصادى ادى تغير الهدف الى اختلاف فى فهم القوى الاجتماعية المختلفة لهذا الهدف ، وتطلب أساليب جديدة لبلوغه . وصاحب ذلك تبين طبقى متزايد ، كما زادت أهمية العوامل السياسية والايدولوجية للثورة . وكل ذلك عقد مشكلة صهر الوحدة المعادية للامبريالية للقوى الوطنية القومية .

والكفاح من أجل الاستقلال الاقتصادى والتقدم الاجتماعى وضد الامبريالية والرغبة له جوانبه الدولية والداخلية كذلك . واحد المهام الرئيسية للحزب الشيوعية فى الدول الفتية هى اتباع سياسة سليمة ودعوية ومزنة وفعالة للتحالفات الطبقية والسياسية فى هذا النضال وسوف ندرس فى هذا المقال بعض عناصر هذه المجموعة من القضايا فى ضوء خبرة بلدان عديدة ، وفى مقدمتها سرى لانكا .

ولابد من الاشارة أولا الى ان الطبقة المتميزة للبنية الطبقية للمجتمع فى البلدان الافرو آسيوية ، وبخاصة سيادة الفلاحين والفئات الاخرى من صغار الملاك تحدد كذلك التنظيم السياسى للمجتمع . وحتى فى بلدان مثل الهند وسرى لانكا وغيرها ، حيث كانت عملية تشكيل البرجوازية الوطنية والطبقة العاملة فى ظل النظام الاستعمارى متقدمة للدرجة بعسدة نسبيا بالفعل ، كانت البرجوازية الوطنية فى وضع يسمح لها بالسيطرة على الاتجاه السياسى والايدولوجى لهذه العملية وما يترتب على ذلك من تأثير على كل الحياة السياسية . وفى الحقيقة ، فان أقساما عريضة من السكان الذين يعملون فى مؤسسات خاصة صغيرة كانوا وما زالوا يمثلون تربة اجتماعية خصبة للتأثير البرجوازى اكثر منها للتأثير البروليتارى . وفى بعض البلدان تشكل حتى البروليتاربا ، التي لم تنفصل بعد عن منصر المالك الصغير . ولم تتخل بعد عن كل القوالب والافكار المرتبطة بها ، للدرجة ما ، جزءا من هذه التربة الاجتماعية السريعة الاستجابة للتأثيرات البرجوازية .

وهذه ، فى رأينا ، هى الاسباب الموضوعية الرئيسية للهوة التي كثيرا

ما نلاحظها بين التأثير السياسي للطبقة العاملة ونموها العديدي . ان مستوى الوعي الطبقي والسياسي العالي بدرجة غير كافية بين البروليتاريا ما زال عاملا يمكن أن تكون له على الأقل تيجتان . أولا ، أنه يسمح للبرجوازية الوطنية أو للفئات الوسطى بأن تلعب الدور السائد في حركة التحرر الوطني ليس فقط في مرحلتها الأولى ، وإنما غالباً في الطور الأولى من المرحلة الثانية كذلك . وقد قدم لنا تاريخ النضال المعادي للاستعمار والمعادي للإمبريالية أمثلة مثيرة على العكس من ذلك (فيتنام ، لاوس) ذات مغزى استثنائي ، بيد أن الظروف السياسية والتاريخية لتطور الثورة في هذه البلدان تتطلب تحليلاً خاصاً . وثانياً ، أن هذا العامل يحد من تقوية الدور السياسي للأحزاب الشيوعية في ثورات التحرر الوطني وفي الحياة الاجتماعية للبلدان المتحررة حديثاً .

وكما نعرف ، فإن نطاق التحالف المعادي للإمبريالية للطبقات والفئات المختلفة في المجتمع يكون اعرض ما يمكن في فترة النضال من أجل التحرر السياسي . وهذا النطاق مقدر له أن يضيق في المرحلة التالية ، عندما يصبح العامل الذي وحد القوى الطبقيّة المختلفة معا في عداد الماضي ، وتبرز مهام التطور الاقتصادي والاجتماعي والثقافي بشكل متزايد الى المقدمة .

وفي بعض البلدان ، وبخاصة الدول الكبيرة في آسيا (الهند ، مثلاً) اتخذت البرجوازية الوطنية مواقف مختلفة بعد كسب الاستقلال السياسي . ومن الطبيعي أن يعتبر القسم الأكبر من البرجوازية الوطنية ، باعتبارهم أنصار للتطوير الرأسمالي ، أنه من الممكن خلق اقتصاد وطني قائم على المؤسسة الخاصة ومؤسسات رأسمالية الدولة . واليوم ، إذ حققت البرجوازية الهندية تقدماً هاماً في تطوير القوى المنتجة ، وبخاصة الصناعة ، ودافعت عن المصالح القومية في مجال العلاقات الاقتصادية الخارجية ، واتبعت سياسة عدم الانحياز ، فقد حافظت عملياً على موقعها القيادي في الحياة القومية رغم أن سياستها تعتبر معتدلة بشكل عام بمقياس المضمون المعادي للإمبريالية .

ونجد في بلدان مثل سرى لانكا ، مثلاً ، موقفاً وسطاً بين الموقفين السابقين ، حيث تعتبر مواقف ومطامح البرجوازية الوطنية ، وبخاصة فئاتها العليا ، أقرب بشكل عام للمجموعة الأولى نظراً لظروف معينة خاصة قائمة في اقتصادها . ومع ذلك ، فإن السمات الصامة للابنية الاجتماعية للدول الفتية في آسيا وأفريقيا ، بالإضافة الى بعض الخصائص المحلية التي تبرزها ، وخبرة البرجوازية في المناورة السياسية والدبلوماسية الاجتماعية قد ساعدت هذه الطبقة على أن تكسب الى جانبها أقساماً واسعة من الفئات الوسطى ، وأن تبني أحزاباً جماهيرية قوية .

وهكذا فإن انتقال حركة التحرر الوطني للمرحلة الثانية لا يصاحبه على الدوام تضيق الإطار الاجتماعي للتحالف المعادي للامبريالية (من خلال خسارة البرجوازية الوطنية) ، رغم أن ذلك يحدث في حالات عديدة . وربما يقال أنه حيشما لا تحتل البرجوازية الوطنية موقعا قياديا في الجبهة المعادية للامبريالية فإنها تكون في جوهرها أكثر تماسكا وذات عزم . بيد أن ظروف وفعالية وآفاق نشاط الجبهة يختلف بالطبع ، ويتوقف ذلك على ما اذا كانت البرجوازية الوطنية تقبض على سلطة الدولة أو حرمت منها . ومع ذلك فمن الواضح أن الطابع والاهداف المتغيرة للنضال المعادي للامبريالية يعد كسب السلطة السياسية يؤثر بشكل حتمي على راديكالية وثبات المواقف التي تتخذها القوى الطبقية المختلفة في هذا النضال ، وخاصة قوى البرجوازية الوطنية .

والموقع القيادي للبرجوازية في نظام السلطة السياسية للدولة يعبري ويضعف الخط المعادي للامبريالية ، وبخاصة في الجبهة الداخلية . وفي عدد من البلدان اليوم ، تتم المحافظة على هذا الخط ، أولا ، الى الدرجة التي تتعارض فيها مصالح الطبقة الحاكمة مباشرة مع مصالح الاحتكارات الامبريالية . وثانيا ، الى الدرجة التي تتكيف بها تلك الطبقة نتيجة لضغط المشاعر الوطنية للجماهير في الداخل والالتزامات الدولية والمواقف العامة التي تتخذها غالبية البلدان النامية في إطار حركة عدم الانحياز .

والتحليل الدقيق لكل هذه العوامل في كل بلد امر جوهري لرسم سياسة صالبة ومرنة للتحالفات الطبقية . وبلحظ الشيوعيون على وجه الخصوص الدور المتغير للبرجوازية الوطنية في المرحلة الثانية لحركة التحرر الوطني ويشكلون سياستهم نحوها واضعين في الاعتبار الظروف الخاصة وكذلك حقيقة ان بعضا من اقسامها لا تزال تحتفظ بطاقات معادية للامبريالية يحتاج اليها النضال ضد الامبريالية . وفي نفس الوقت يعارض الشيوعيون بحرم المفهوم الاصلاحي البرجوازي عن تحالف طبقي بين الاستغلاليين والمستغلين ، والذي يخفى خلف تأكيدات بالحاجة الى « الوحدة الوطنية » بشكل عام ، خارج إطار النضال المعادي للامبريالية .

ومن الضروري أن نشير الى أنه في الموقف العام من مشكلة وحدة القوى المعادية للامبريالية يضع الشيوعيون في اعتبارهم الشرط الجوهري التالي . في الظروف الحالية للارزمة العامة للرأسمالية ونمو المنافسة بين النظامين العالين للاشتراكية والرأسمالية فإن التحولات الديمقراطية التي يجري تنفيذها خلال مجرى النضال المعادي للامبريالية لا تفسح الطريق بالضرورة أمام تطور الرأسمالية المحلية . وفي ظروف حركة طبقة عاملة نامية تقود الى رفض الرأسمالية وتبنى تطورا ذا منحى اشتراكيا انها تفترض - وهو الشيء المهم - الحاجة الى تحالف ممكن بين القوى

الاجتماعية التى تطلب تغييرات ديموقراطية والقوى التى تريد أن ترى هذه التغيرات تستخدم كأساس لمستقبل اشتراكى .

ان وحدة الاهداف القائمة موضوعيا للطبقات والاقسام المختلفة للمجتمع التى تعارض الامبريالية وتعمل من أجل التحرر الاقتصادى لا تصبح قوة ما لم تجد شكلا مناسباً فى التحالف السياسى لتلك الطبقات والاقسام . وللوصول الى مثل هذا التحالف ينبغى أن تصحح التنظيمات السياسية التى تعبر عن مصالح مختلف الطبقات واعية بهذه الوحدة وتعمل بصبر من أجل اعطائها شكلا تنظيميا .

والشيوعيون أيضا انصار اشداء للتحالف الفعال للقوى الاجتماعية التقدمية التى تسمى الى تقويض وتصفية المواقع الاقتصادية للاحتكارات الأجنبية ورأس المال المحلى الكبير ، ورفع مستوى معيشة الجماهير الشعبية ، وتوسيع الديموقراطية الاقتصادية والسياسية ، أى ، ادخال تغييرات ، فى نفس الوقت الذى تنسم فيه بالاهمية وتلبى الحاجات الملحة ، تؤدى الى تمهيد الطريق لمواصلة التطور فى اتجاه معاد للامبريالية والرأسمالية . وقد اوضحت الحياة أن مسألة الاشكال التى قد تتخذها التحالفات السياسية ذات أهمية كبيرة فى هذا الخصوص . وهى تتحدد مقدما ودرجة كبيرة بالتوازن الفعلى للقوى الطبقة والسياسية فى أى بلد معين وبالصفة الطبقة للقيادة فى ثورة التحرر الوطنى .

وفى غالبية البلدان الاسيوية والافريقية تلعب الدور القيادى اليوم اما الفئات الوسطى واما البرجوازية الوطنية واما مجموعات مختلفة من كليهما فى نفس الوقت .

وغالبا ما يحاول ممثلو هذه المجموعات الاجتماعية استخدام دورهم لكسب احتكار السلطة مما يجعل من الصعب ضمان وحدة وقيادة فعالة معادية للامبريالية . وبالإضافة الى ذلك ، فإن مثل هذا المطلب بالقيادة الشاملة لعملية التحرر الوطنى ، يكتسب معنى سلبيا خاصا حيثما توجد حركة طبقة عاملة كبيرة الحجم وذات تاريخ ولها نقاباتها وتنظيماتها السياسية . وعلى أية حال ، فإن محاولات استبعاد الطبقة العاملة وتنظيماتها عن عملية صناعة القرار ومنعها من تنفيذ التغيرات اللازمة أو تحويل دورها الى وظائف « ثانوية » بدقة ، إنما يضعف بالضرورة القدرة السياسية والاجتماعية لثورة التحرر الوطنى ويعود كلية بالفائدة على الامبريالية والرجعية الداخلية . وتوضح تجربة عديد من البلدان ، أن تحالف القوى المعادية للامبريالية ، التى تلعب فيه الطبقة العاملة والفلاحون والفئات الأخرى للشعب العامل الدور القيادى ، هو وحدة الفعال حقا والذى يجعل فى الامكان تسخير الطاقة السياسية للطبقات والفئات

الاجتماعية المعنية لمهمة تحقيق التحرر الوطني الكامل والتقدم الاجتماعى .

وفى عدد من البلدان حديثة التحرر اتخذ التحالف السياسى شكل حزب رسمى واحد . ونحن نعتقد أنه ينبغي أن يؤخذ فى الاعتبار العوامل التالية . غالبا ما يوجد هذا الشكل حيثما يוכל الدور القيادى فى ثورة التحرر الوطنى للفئات البرجوازية الصغيرة والفئات الاجتماعية التى تنجذب اليها ، والتى يكون ممثلوها الرسمىون السياسيون فى الغالب من المثقفين المرتبطين بالجيش أو ضباط الجيش انفسهم . وفى هذه الظروف ، ترتبط الاهمية الاولى ، فى رأينا ، بطبيعة المفاهيم السياسية والايدولوجية للمجموعات القيادية ، اذ انه على هذه المجموعات ، او على الاقل فى الوقت الحاضر ، تتوقف لدرجة كبيرة امكانيات وآفاق زيادة الدور الاجتماعى والسياسى للطبقة العاملة . وهذه الامكانيات اضيق ، بالطبع ، حيثما ترتبط ايدولوجية الحزب الواحد المعادية للامبريالية ، ارتباطا وثيقا بمفاهيم ذات طابع وطنى برجوازى صغير ، غالبا ما تستخدمها العناصر الرجعية لاختفاء اعمالها المعادية للوطنية والمتعاطفة مع الامبريالية . ويجب الا ننسى كذلك أن تلك الظروف تجعل من المستحيل وجود الاحزاب الشيوعية بشكل مشروع ، تلك الاحزاب التى يعتبر استقلالها التنظيمى والسياسى عاملا رئيسيا للتقدم الثابت على طريق الديمقراطية والتقدم الاجتماعى .

ورغم كل أهمية التحالفات السياسية فى البلدان النامية ، فليس هناك شك فى ان افضلها ستكون قد استنفدت وظيفتها بمجرد أن تكف عن ان تكون تقدمية فى الداخل ومعادية للامبريالية فى نشاطها الخارجى . ويمكن ان ينتج ذلك من تغيير موقعها بواسطة أكثر أعضاء التحالف نفوذا ، ناهيك عن له السيطرة . وهذا الوضع يتطلب إعادة جميع مناسب للقوى الوطنية . ويعتبر تطور الوضع فى سرى لانكا من هذا الطراز ، حيث أثر الحزب الشيوعى والقوى اليسارية الأخرى الخروج من حكومة الجبهة المتحدة التى يسيطر عليها اليمين :

والجبهة المتحدة ، كما نذكر ، تشكلت فى بلادنا فى عام ١٩٦٨ ، وفى أعقاب الاتفاق حول البرنامج المشترك الذى قدمه الى الأمة فيما بعد ، فى الانتخابات العامة فى مايو ١٩٧٠ . حزب الحرية فى سرى لانكا ، والاشتراكيون والحزب الشيوعى . وعندما كسبت الجبهة المتحدة الانتخابات دخل الحزب الشيوعى الحكومة . وكان الشيوعيون واعين تماما بكل من امكانيات وحدود هذا التحالف . ولم تكن تعتبر الجبهة المتحدة تحالفا اشتراكيا ، رغم وجود الاحزاب اليسارية فيها . وكنا نراها كتحالف عريض للطبقات والفئات الاجتماعية الوطنية ، التى تضم الطبقة العاملة والفلاحين والمثقفين الراديكاليين واقساما معينة من الطبقة

الراسمالية الوطنية . ومع ذلك فان توازن القوى داخل الجبهة المتحدة اعطى وزنا أكبر للقوى الاجتماعية الاخرى غير الطبقة العاملة .

ويقول بيان اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في سرى لانكا « من أجل جبهة جديدة وبرنامج راديكالي » : « ورغم أن مثل هذه الجبهة الوطنية العريضة لا يتوقع منها أن توصل التحويلات الثورية التي تحتاجها البلاد لإقامة مجتمع اشتراكي ، فقد كانت تملك ، في رأينا ، القدرات اللازمة لإكمال النضال من أجل الاستقلال السياسي والاقتصادي ، وتوسيع الديمقراطية ، ومواصلة إجراءات التقدم الاجتماعي - وكلها تمثل مرحلة ضرورية لا غنى عنها في النضال من أجل مجتمع اشتراكي . وكلها تمثل مرحلة ضرورية لا غنى عنها في النضال من أجل مجتمع اشتراكي في نهاية الأمر » .



وفي داخل الجبهة المتحدة الحالية ، علمنا بشكل متواصل من أجل خط سياسي تقدمي ، مؤيد من كافة الاتجاهات الإيجابية ومعارضين ما اعتبرناه سلبيا . وبالإضافة إلى ذلك ، فلكي نحافظ على الوحدة ضد الهجمات الرجعية قبلنا أحيانا قرارات معينة من قبل الحكومة لم يكن الشيوعيون يوافقون عليها . بيد أن هذا الوضع كان لا بد وأن يتغير عندما ساد خط سياسي عام اعتبرناه مصدر كوارث للبلاد .

إن التفريعات في الوضع وفي موقفنا قد جاءت نتيجة لنمو الجناح اليميني داخل حزب الحرية في سرى لانكا ، والذي اتخذ بالتدريج موقفا مسيطرا . فقد قاوم التغييرات الراديكالية مثلا البداية ، وخاصة تلك التغييرات التي حدثت من نمو الراسمالية الخاصة أو التجهت إلى تقويض نظام العلاقات الراسمالية . وطالبت الدوائر اليمينية « باقتصاد مختلط » ، اعتبرته لا كمرحلة انتقالية على الطريق إلى الاشتراكية ، وإنما كتنظيم دائم تستخدم عن طريقه سلطة الدولة وموارد القطاع العام لمساعدة التطور الراسمالي الخاص .

والخطوات الراديكالية الكبيرة المتقدمة التي اتخذتها حكومة الجبهة المتحدة ، مثل الإصلاح الزراعي ، ووضع حد أعلى للملكية المسكن ، وزيادة الضرائب على الأغنياء ، قد أثارت الدمار بين كافة القوى المتعاطفة مع الراسمالية في البلاد ، بما في ذلك الجناح اليميني داخل حزب الحرية في سرى لانكا . ورأى اليمينيون في وجود القوى الراديكالية واليسارية في الحكومة والجبهة المتحدة عقبة رئيسية أمام تحقيق أهدافهم . ولذلك بدأوا يعملون ، خطوة خطوة ، من أجل التخلص من هذه القوى .

وكخطوة أولى حرصوا الاشتراكيين على الانسحاب من الحكومة والجهة المتحدة في سبتمبر ١٩٧٥ . ورغم ذلك حاول الحزب الشيوعي المحافظة على الجهة المتحدة ، لانه لم يكن يعتبر انتصار اليمين أمرا لا رجعة فيه . ومع ذلك واصل اليمينيون سياستهم . وحاولوا شل اللجنة المشتركة للمنظمات النقيية ، أهم ما توصلت اليه النقابات التقدمية في الكفاح من أجل حركة موحدة للطبقة العاملة . وسعى الجناح اليميني كذلك الى شل عمل الجهة ولجنتها المركزية المشتركة وعزل الحزب الشيوعي . وكثير من المقترحات الهامة التي تقدم بها الحزب الشيوعي كان يوافق عليها « من حيث المبدأ » ولكن توضع على الرف صلبا . وبالإضافة الى ذلك فرض اليمينيون على الحكومة سياسة مواجهة مع العمال والطلبة ، أى القوى التي عملت بكل قواها من أجل هزيمة الحرب القومي الموحد الرجعي عام ١٩٧٠ . وزادت المواجهة وضوحا بشكل خاص خلال إضرابات العمال في ديسمبر ١٩٧٦ ويناير ١٩٧٧ . وادت سياسة القمع التي انتهجت حيال المضربين الى أزمة سياسية داخل الحكومة وداخل حزب الحرية في سرى لانكا .

وحدث كل ذلك ، عندما شددت القوى اليمينية الموالية للامبريالية والتي يقودها الحرب الوطني المتحد من جهودها وأبدت تحديا هائلا مع اقتراب الانتخابات العامة .

وكان لابد لهذا التحدي من جانب الرجعيين ان يكون اشارة لاعادة توحيد القوى اليسارية الراديكالية الديموقراطية ، كما اقترح الحزب الشيوعي . ولكن الجناح اليميني في حزب الحرية في سرى لانكا سعى الى احباط أى تطور من هذا القبيل : فاقترح أولا تأجيل الانتخابات العامة ، ثم اتخذ قرار مفاجئا بتأجيل انعقاد الجمعية الوطنية « البرلمان » حتى تاربخ حلها الدستوري تقريبا . وكنتيجة لذلك عطلت كثير من القوانين الهامة . وهي تضم بينها قانون تأميم البنوك الأجنبية ، وقوانين إلغاء الأشكال المتبقية من ملكية الأرض الاقطاعية وحماية حقوق العمال في عقود العمل .

وفي هذه الظروف كان على الشيوعيين ان يحسموا موقفهم من العمل في المستقبل . هل نتوقع هزيمة الرجعية التي يقودها الحرب الوطني المتحد تحت قيادة الجناح اليميني لحزب الحرية في سرى لانكا ؟ وإذا لم تكن نتوقع ذلك ، فكيف يمكننا ان نعيد تجميع قواتنا على أفضل وجه لكى ندانع من المكتسبات التي تحققت منذ مايو ١٩٧٠ ونضمن مزيدا من التقدم في اتجاه الاشتراكية ، عبر طريق غير رأسمالى ؟

لقد أعطيت الاجابة من هذه التسؤلات في قرار اللجنة المركزية في ١٩ فبراير ١٩٧٧ حول انسحاب الحزب الشيوعي في سرى لانكا من الحكومة .

واتخذ الحزب هذا القرار « لكي يعطى لنفسه استقلالا كاملا في العمل في ظل الوضع المعقد الراهن ، ولكي يتمكن ، دون ضغوط ، من اتباع سياسته لتحقيق توزيع جديد للقوى التقدمية . . » والحزب الشيوعي في سرى لانكا لم يصبح مجرد حزب للمعارضة ، ولن يتأثر موقفه من حزب الحرية في سرى لانكا باعتبارات ذاتية . ونحن نواصل اعتبار حزب الحرية في سرى لانكا حربا بضم قوى اجتماعية وعددا من الشخصيات القيادية التي يمكن للطبقة العاملة أن تنظر اليهم كأصدقاء . ولذلك ، ففي الوقت الذي يعارض فيه الحزب الشيوعي سياسة الجناح اليميني ، سوف يؤيد أي اجراء للحكومة في السياسة الداخلية والخارجية يعتبر أنه في مصلحة الشعب .

وكل ذلك لا يعني بأي حال أن الحزب الشيوعي قد تخلى عن سياسة الجبهة المتحدة ، التي اتبعها لوقت طويل . والحزب يتعاون بنشاط مع كافة القوى التقدمية واليسارية لخلق برنامج راديكالي وجبهة مناضلة لمقاومة الحزب الوطني المتحد والجناح اليميني لحزب الحرية في سرى لانكا . وقرار الحزب بالانسحاب من الحكومة الحالية سيمهد الأرض لمثل هذا النضال الحارم .

ونحن مقتنعون بصواب سياستنا للعمل الموحد من جانب القوى التقدمية . بيد أن الجبهات الموحدة لا تظل ساكنة . فأهدافها وطابعها تتغير مع احتياجات الوضع الموضوعي . وتلك هي بعض النتائج التي توصل اليها الاجتماع الموسع للجنة المركزية للحزب الشيوعي في سرى لانكا في فبراير بعد اجراء مشاورات مع منظمات الحزب وتحليل الوضع الجديد الذي تشكل في بلادنا .

ان محتوى عملية التحرر الوطني اليوم تتضمن مواجهة جماعية معينة بين غالبية البلدان النامية والأمبريالية العالمية ، وعملية عميقة لحل المشاكل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية الداخلية التي يبل طابعها على اتجاه التطور الاجتماعي . وتختلف العلاقة بين الجوانب الخارجية والداخلية من بلد الى آخر وتعرض على الدوام لتغيرات تفرضها عوامل عديدة ، منها المرحلة التي توصلت اليها ثورة التحرر الوطني في البلد المعنى وتطور النزاعات في بعض المناطق (الشرق الاوسط ، جنوب افريقيا . الخ) . وحتى مع ذلك ، فربما كان من الاسلم أن نقول أن اهمية الجوانب الداخلية لحركة التحرر أعظم من ذي قبل ، حيث أن الكفاح ضد الأمبريالية ، مثلا ، يعبر بشكل متزايد من نفسه في صورة كفاح ضد حلفائها الداخليين .

واهمية الجوانب الخارجية تتزايد كذلك بالمقارنة مع الماضي ، عندما

كانت المهمة هي كسب الاستقلال السياسي . ويتنقل الكفاح الى مجال العلاقات الدولية - سواء السياسية أو الاقتصادية في المحل الاول - مع استئصال المواقع التي كان يحتلها رأس المال الاجنبي في الماضي في البلدان حديثة التحرر أو الحد منها . وفي هذا المجال ، كلما ازدادت وحدة البلدان النامية ووفقا ، تضررت بشكل أكثر ثباتا وكلما كان التحالف أقوى بين حركة التحرر الوطني والاشتراكية العالمية ، القوة الرئيسية المعادية للامبريالية في الوقت الحاضر ، زاد الدور الذي يمكن أن تمارسه تلك البلدان ضد الامبرياليين والاستغلال ، زاد تأثيرها على العلاقات الدولية .

والتضامن المعادي للامبريالية للبلدان الاسيوية والافريقية التي كسبت استقلالها يعبر عن نفسه في أشكال متباينة من العلاقات بين المنظمات الصامة الوطنية أو العلاقات بين البلدان . وأحد مظاهر السخط السابق للعلاقات هو النشاط المفيد لمنظمة تضامن الشعوب الافرو اسيوية ، التي تعمل كمركز ينسق بشكل فعال الأعمال المختلفة التي ينفذها الرأي العام التقدمي ضد المخططات الامبريالية للعدوان والتخريب والسياسة الاستعمارية الجديدة ، ودفعاً عن السلام والصداقة بين البلدان ، ومساندة لمصالحها الحيوية ومطامحها ، ومن أجل التقدم الاجتماعي في البلدان النامية تولى أهمية كبيرة لعمل منظمة تضامن الشعوب الافرو اسيوية ولجانها الوطنية العديدة وتساعد بها بكل ما في وسعها من جهد .

ويكون الوضع أكثر تعقيدا عندما يتعلق بالبلدان الافرو اسيوية حديثة التحرر التي توصلت الى تضامن معاد للامبريالية والتي تنسق العمل على المستوى الاقليمي أو القاري أو فيما بين القارات .

ومعظم هذه البلدان يشارك في حركة عدم الانحياز ، التي ازداد محتواها المعادي للاستعمار عمقا وأصبحت أكثر تميزا مع مرور الوقت . والبلدان غير المنحازة ، التي تدافع باستمرار عن سلم وطبقة وانفراج دولي ، وتواصل النضال ضد الاستعمار والاستعمار الجديد . قد طالبت أخيرا بمزيد من الحسم يوضع حد لانعدام المساواة في العلاقات الاقتصادية مع البلدان الرأسمالية المتطورة . والمخوى السياسي لتوسيع نشاط حركة عدم الانحياز الى العلاقات الاقتصادية الدولية سيكون من الصعب المبالغة فيه ، لأن الإجراءات المنسقة ، التي تتخذها إلا نبلدان عديدة غير منحازة ، يمكنها أن تضع عقبات خطيرة في طريق الاستغلال الاستعماري الجديد من قبل الاحتكارات الامبريالية .

ومع ذلك ، ينبغي القول بأن هذه الامكانيات لم تستخدم بعد للدرجة

كبيرة ، واحد أسباب ذلك هو انعدام التجانس الاجتماعى والسياسى للبلدان حديثة التحرر المشتركة فى حركة عدم الانحياز (ويصبح ذلك أيضا بالنسبة للمنظمة القارية الاضيق ، منظمة الوحدة الافريقية) فهذه البلدان تضم دولا اشتراكية ، وذات منحى اشتراكى ، وبرجوازية وكذلك ملكيات اقطاعية مطلقة . ورغم هذا التباين ، فانها تجد أرضا مشتركة حول بعض المشاكل ، والا لما كانت الحركة قد استطاعت ان توجد على الاطلاق . ومن ناحية أخرى ، فان الاختلافات الخطيرة فى طابع الانظمة وفى منحائها تنعكس بالضرورة على موقف بلدان عدم الانحياز من المشاكل المعينة .

وكل ذلك يعوق الاستفادة من القدرة المعادية للامبريالية والكفاءة الكفاحية لحركة عدم الانحياز . ونحن نعتقد أن شرطا جوهريا للتغلب على هذه الصعوبات يتمثل فى مواصلة تدعيم وتطوير تحالفات القوى التقدمية داخل كل بلد ، وتوسيع علاقاتها المتبادلة فى نفس الوقت وتنسيق أعمالها فى المجال الدولى .

وينبغى أن تؤكد كذلك انه فى الوقت الذى لا تزال فيه دوائر معينة فى البلدان النامية تدعى ان حركة التحرر الوطنى فى مجموعها قاصرة على « هزيمة » الامبريالية بمفردها وأن هذا المفهوم يجب أن يكون نقطية انطلاق استراتيجية وتكتيكات العمل المشترك من جانب الدول الفتية ، فان الواقع يختلف تماما .

ان نجاح نضال الشعوب المقهورة من أجل التحرر السياسى قد أصبح ممكنا بفضل توازن القوى الطبقة الجديد فى المجال الدولى ، ذلك التوازن الناتج من قيام النظام العالمى للاشتراكية ومساندته الفعالة لحركات التحرر الوطنى . وربما يقال ان الظروف قد تغيرت ، وأصبح لحركة التحرر الوطنى اليوم قاعدة خاصة بها فى شكل دول ومن ثم فهى أقوى كثيرا من ذى قبل . . وكل ذلك صحيح . بيد ان الشيء الصحيح بنفس الدرجة هو ان أهداف النضال المعادى للامبريالية قد أصبحت أكثر تعقيدا وقبول مبدا الكفاح « المنفرد » قد يحرم البلدان النامية من القوة التى تحتاجها بالحاج والمستعدة من التعامل مع حليفتها الطبيعى ، الاشتراكية العالمية . وهذا يفسر لماذا يولى الزعماء الأبعد نظرا للدول الافرو اسيوية؛ وفى المحل الاول الذين يتطلعون الى تطبور اشتراكى ، أهمية متزايدة لتنمية التعاون الشامل والصداقة مع البلدان الاشتراكية .

واليوم فان المساندة السياسية التى تقدمها الاسرة الاشتراكية للدول الفتية تكملها بشكل متزايد مساندة فى المجال الاقتصادى وفى تعزيز قدرتها الدفاعية ، وعلى توحيد القوى الاجتماعية الأكثر تقدما فى النضال من أجل التقدم الاجتماعى والاقتصادى والسياسى .

التضامن هو ضمان الانتصار في معارك السلام والاشتراكية

بقام: أرييك هونيكر

١ - السلام والسعادة • هذه المثل قد تعلقت بها البشرية منذ زمن سحيق فلم يتح للانسان على مدار التاريخ سوى سنوات قليلة نسبيا من الحياة السلمية في الفترة التي عاش فيها على الأرض • وكانت الحربان العالميتان التي شنها الامبرياليون ذات طابع تدميري شنيع • واصبح واضحا بصورة متزايدة ان قضايا الحرب والسلام والطرق لحلها قد اصبحت مرتبطة ارتباطا وثيقا بالوضع الطبقي ومصالح وصراع الطبقات •

ومما لا جدال فيه ان عصرنا جدينا في النضال من اجل السلام وفي تاريخ البشرية ككل قد لاح مع بزوغ ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى التي مثلت « قول انتصار في سبيل الغاء الحروب » •

واحدث العمال والفلاحون الروس شرخا ضخما في النظام العالمي للامبريالية بقلبهم النظام البورجوازي - الاقطاعي واقامتهم للسلطة السوفيتية فوق سلسل كوكنا • وقدم وطن ثورة أكتوبر المثال للشعوب في كيف يمكن أن يوضع حد للحرب الامبريالية وذلك عن طريق الصراع الثوري للجمامير تحت قيادة الحزب الماركسي - اللينيني للطبقة العاملة

وبفضل أكتوبر الأحمر وتدعم قوة الاشتراكية في العالم اكتسبت التناقضات الاجتماعية أبعادا هائلة وبدأت عملية من التغير الجذري تشير إلى أن الشعوب قد أخذت بين أيديها بثقة متزايدة عملية توجيه مسار التاريخ . وفقدت الامبريالية بلا رجعة مركز المهيمن السابق في العالم هذا رغم أنها ما زالت تمتلك حتى اليوم طاقات ضخمة وتستخدمها في معارضة التقدم . كما أدى تدعيم قوى الاشتراكية وتضامها حركة الشعوب المناضلة في سبيل التحرر الوطني والاجتماعي إلى المزيد من التغير في الوضع الدولي وتأكد ذلك في نمو قوى السلام ونجاحاتها .

لن ننسى الشعوب أبدا أنه منذ اليوم الأول لقيام الدولة السوفيتية سيج الدفاع عن السلام الهدف الرئيس لسياستها الخارجية ، تلك السياسة التي وجدت في البداية تعبيراً عنها في أول مرسوم أصدره لينين عن السلام باسم السلطة السوفيتية الأولية ثم فيما بعد في برامج النضال من أجل السلام والأمن والتعاون الذي أقره المؤتمر الـ ٢٤ والمؤتمر الـ ٢٥ للحزب الشيوعي السوفيتي .

وقد جعل مرسوم السلام من فكرة إقامة سلام دائم وديمقراطي الأساس الذي تركز عليه سياسة الدولة لأول مرة في تاريخ الإنسانية . وطرح لينين الفكرة القائلة بالتعايش السلمي بين البلدان ذات الأنظمة الاجتماعية المختلفة هذا بينما كانت الدولة السوفيتية الفتية ما زالت تحارب ضد التدخل الامبريالي . وبذلك يكون لينين قد دعا إلى اتباع السياسة الصحيحة والواقعية الوحيدة ، سياسة اشتراكية حقة تهدف إلى اتباع سياسة سلمية طويلة المدى في السياسة الخارجية ذات الأهمية الحيوية لبناء المجتمع الجديد وتتضمن في الوقت نفسه الاستعداد الدائم لرد وردع أي عدوان امبريالي . وجمعت سياسة لينين بين تقديم المساعدة الفعالة للشعوب المقاتلة في سبيل حريتها والاستعداد لتنظيم تعاون عملي مع البلدان الرأسمالية . ومثل هذه السياسة منطقية تماما حيث أن الاشتراكية يمكن أن تطرح ثمارها بالكامل في ظروف السلام وبذلك تتمكن من ممارسة نفوذ عميق على مجرى التطور العالمي .

واستمرت الدولة السوفيتية تتبع هذا النهج في سياستها الخارجية في الفترة التي كانت تقاتل فيها من أجل الاعتراف الدولي بها . وفي مؤتمر جنوا الذي عقد في عام ١٩٢٢ أعلن تشيشرين قوميسار الشؤون الخارجية في المؤتمر أن الوفد السوفيتي يرى في التعاون الاقتصادي بين الدول ذات الأنظمة الاجتماعية المختلفة ضرورة ملحة .

وفي عام ١٩٢٢ أبرم الاتحاد السوفيتي وألمانيا معاهدة رابالو ، وهي أول مثال يجسد أفكار حسن الجوار والتعاون في المنفعة المتبادلة بين

البلدان الاشتراكية والرأسمالية • وفي نفس العام اقترحت الدوله السوفييتية برنامجا للتخفيض الشامل للأسلحة •

وفي الثلاثينات كان الاتحاد السوفييتي البلد الوحيد في العالم انذرى دعا الى فكرة الأمن الجماعي ، وهو المفهوم الذي كان يتفق مع المصالح الحيوية لجميع الشعوب ويهدف الى منع خطر الحرب الذي كان ينبعث من ألمانيا الفاشية • ولكن التوازن الدولي للقوى في ذلك الحين لم يجعل في الامكان تنفيذ الأمن الجماعي • واليوم يدرك كل شخص أن شعوب العالم كان من الممكن أن تتجنب الخسائر الفظيعة التي حلت بها اذا كانت الدول الأخرى قد استجابت وأيدت المقترحات السوفييتية في ذلك الوقت •

وبعد أن تمكن المعتدون انفاشيون من استعباد ما يقرب من نصف أوروبا الغربية ، بعد هذا فقط ، اضطرت الدول الرأسمالية للاعتراف بأن هزيمة الفاشية تتطلب بالضرورة العمل المنسق مع الاتحاد السوفييتي • وهكذا ظهر الحلف المعادي لهتلر الذي جسّد التعاون بين البلدان ذات الأنظمة الاجتماعية المختلفة والقائم على أساس المصلحة المشتركة •

واضح نضال الاتحاد السوفييتي ومقاومة الشعوب للمعتدين الفاشيست على الحرب العالمية الثانية طابع الحرب التحريرية المعادية للفاشية • وانبثق في كافة أرجاء العالم حركة نضالية هائلة تستهدف السلام والاستقلال الوطني بصورة لم تعرف من قبل في التاريخ • وأكسبت المساهمة الحاسمة للاتحاد السوفييتي في هزيمة الفاشية والبسمالة التي أبدتها في هذا الصراع ، أكسبته شهرة عالمية •• ونجد تعبيراً عنها في تلك الكلمات المحفورة على النصب التذكاري في منتزه تريبتوف ببرلين عاصمة جمهورية ألمانيا الديمقراطية •• تقول هذه الكلمات « المجد الخالد أرجال الجيش الأحمر الذين ضحوا بحياتهم في النضال لتحرير البشرية من العبودية الفاشية » • وفي نفس الوقت وضع الانتصار على الفاشية الأساس لظهور النظام الاشتراكي العالمي وبذلك خلق الظروف الضرورية لتحويل أوروبا من قارة الحروب الى قارة السلام •

وكما نعرف فإن سياسة الحرب الباردة الودفع الاشتراكية الى الواجهة اتبعتها الامبريالية في اعقاب الحرب قد باءت بالفشل • وأوضحت التجربة ان سياسة المواجهة لا تجلب فائدة لاي طرف بل على العكس يمكن أن تقذف بالعالم الى أتون كارثة حربية جديدة وهو الأمر الذي يتعارض بشكل سافر مع مصالح الشعوب • ويمثل التحول من الحرب الباردة الى تخفيف التوتر - الذي يرجع الفضل في تحقيقه أساساً الى جهود أسرة البلدان الاشتراكية - أهمية حاسمة وجوهية لحاضر ومستقبل أوروبا حيث أن مبادئ التعايش السلمي قد أصبحت في الواقع وبدرجة متزايدة القاعدة في العلاقات بين الدول ذات الأنظمة الاجتماعية المختلفة •

وترجع هذه النجاحات لدرجة كبيرة الى السياسة السلمية الثابتة للاتحاد السوفييتي والى نشاطات وتحركات اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفييتي والرفيق ليونيد بريجنيف شخصيا . فالاتحاد السوفييتي في نظره للمشاكل الدولية ذات الامة الحيوية للانسانية يجمع بين التحليل الدقيق للتطورات العالمية والمهارة في التعبير عن المصالح الجوهرية للبلدان الاشتراكية وجميع القوى التقدمية والسلمية والنضال في سبيل تحقيق هذه النظرة . ويتزايد ادراك الشعوب بان آفاق السلم ترتبط ارتباطا لا ينفصل بنمو نفوذ وفعالية السياسة السوفييتية وغيرها من بلدان الاسرة الاشتراكية .

وتؤكد الأحداث الراهنة بصورة متزايدة أهمية تحقيق تعاون اوتق بين التيارات الثورية الرئيسية نعصرنا - الاشتراكية ، وحركة الطبقة العاملة العالمية ، والنضال الوطني التحرري ، وكذلك الدور المؤثر الكبير الذي يمكن ان تحققه مثل هذه الجبهة .

٢ - ادت هزيمة الالاشية بواسطة الجيش السوفييتي المجيد الى تحرير شعبنا ايضا وبذلك انفتح الطريق الى حياة جديدة . واصبحت جمهورية المانيا الديمقراطية اليوم دولة اشتراكية مستقلة ذات سيادة معترف بها دوليا . وتواصل بلادنا النضال من اجل السلم والتقدم الاجتماعي على اساس المبادئ اللينينية للسياسة الخارجية الاشتراكية وبذلك تساهم - طبقا لقرارات المؤتمر التاسع للحزب الاشتراكي الألماني الموحد - في تحقيق مبادئ التعايش السلمي . وان العلاقات بين الدول ذات الانظمة الاجتماعية المختلفة والعلاقات القائمة على الاعتراف بمبادئ القانون الدولي فيما يتعلق باحترام سيادة ووحدة اراضي وحدود كل دولة وعدم التدخل في الشؤون الداخلية ، تلك العلاقات يمكن بل يجب ان تصبح القاعدة لقياس علاقات مبنية ذات منفعة متبادلة للدول . ولا شك ان النجاحات التي تحققت في تنفيذ هذه السياسة لا تخفى فقط قضية بناء الاشتراكية والشيوعية في البلدان الشقيقة بل تخدم ايضا حركة التحرر الوطني والنضال المعادي للامبريالية للشعوب .

وقد خلقت النتائج التي توصل اليها مؤتمر هلسنكي حول الامن والتعاون الاوروبي والذي اشتركت فيه ٣٥ دولة اساسا عريضا لحل مشاكل انسياسة الدولية فيما يتعلق باقامة سس سلام دائم في أوروبا . وتكرس جمهورية المانيا الديمقراطية في تعاون مع الاتحاد السوفييتي والبلدان الاشتراكية الشقيقة الاخرى جهودها لتنفيذ البيان الختامي لمؤتمر هلسنكي ومواصلة سياسة الانفراج في روح الاتفاقيات التي أبرمت ، ولتدعيم وتطوير الانجازات التي أمكن التوصل اليها . ومما له أهمية كبرى في هذا الصدد هو تكملة الانفراج السياسي بالانفراج في المجال العسسكري .

وقد وضعت جمهورية ألمانيا الديمقراطية (ج ا د) كل ذلك في اعتبارها
رعى ششارك في التحضيرات التجارية المؤتمر بفرداد .

وتعكس أيضا مبادئ التعايش السلمي في السياسة التي تتبعها دولتنا
الاشتراكية لأقامة علاقات طبيعية مع جمهورية ألمانيا الاتحادية .
وتقدم مجموعة المعاهدات الأوروبية بما فيها الاتفاقيات والمعاهدات المبرمة
مع جمهورية ألمانيا الاتحادية والاتفاقية الرباعية حول برلين الغربية أساس
سالحا لتحقيق نتائج هامة تتفق مع تحقيق السلام والأمن . ومن جانب
فاننا سنواصل العمل من أجل تحقيق تدابير بناءة جديدة في مجال إقامة
علاقات طبيعية . ونحن هذا يتطلب في نفس الوقت موقفا متزنا وإرادة
طيبة من الجانب الآخر ولا يمكن تجاهل الحقيقة بأن جمهورية ألمانيا
الاتحادية وخاصة في الفترة الأخيرة تصرفت مرارا بطريقة تناقض نصا وروحا
المعاهدات المذكورة آنفا وكذلك البيان الختامي لمؤتمر هيلسنكي . ولا شك
أن مثل هذه التصرفات تموق تطوير العلاقات بين الدولتين الألمانيتين في
الاتجاه الذي تستهدفه الاتفاقيات وهو أمر لا يمكن أن يكون مفيدا لأي
شخص يفكر بطريقة واقعية ويقدر ضرورة تقوية السلام وتدعيم الانفراج .

ومنا لا جدال فيه أن تحسين المناخ السياسي في أوروبا يتطلب الاحترام
الأكيد للسيادة وحدود الدولة وانوحدة الإقليمية وعدم التدخل في الشئون
الداخلية . وفي هذا الصدد فإن وهم الوحدة الألمانية الزعوم الذي تقترحه
بأصراد جمهورية ألمانيا الاتحادية لا يمت إلى الواقعية بصفة بل وفي
التحليل النهائي يلقي ظللا من الشك حول كل ما يمكن تحقيقه في مجال
تحسين العلاقات بين جمهورية ألمانيا الديمقراطية وجمهورية ألمانيا الاتحادية
فليس من المتصور إحلال الناعون الداخل لجمهورية ألمانيا الاتحادية محل
القانون الدولي . ومثل هذا الوهم الذي أشرنا إليه يدور الانفراج . ويمكن
أن نقول نفس الشيء فيما يتعلق بالجهود التي تبذلها جمهورية ألمانيا
الاتحادية وحلفاؤها لتجاهل الاتفاقية الرباعية حول برلين الغربية ومثال
ذلك البيان الذي صدر مؤخرا في لندن حول برلين .

وترتبط سياستنا الخارجية وثيقا جدا بالسياسة الاجتماعية التي
أقرها المؤتمر التاسع للحزب الاشتراكي الألماني الموحد . فإن مواصلة عملية
بناء المجتمع الاشتراكي المتطور في جمهورية ألمانيا الديمقراطية وخلق
القاعدة الضرورية للانتقال التدريجي إلى الشيوعية هي بمثابة برنامج عظيم
للعمل السلمي الخلاق في خدمة الشعب ورفاهيته ونحن نقوم ببناء قوة
بلادنا الاقتصادية ناظرين إلى المستقبل البعيد وهذا هو الضمان لتنفيذ
خططنا الاجتماعية - السياسية الاشتراكية . وتخدم كل خططنا هذا الهدف

أن الهدف الأسمى لسياستنا الخارجية هو خلق أفضل الظروف الممكنة
لتطوير الاشتراكية وتأمين السلام العالمي والتقدم . وفي هذا الصدد فاننا

نولي أهمية كبرى للتقوية الدائمة للتحالف الأخرى مع الاتحاد السوفييتي وغيره من دول الأسرة الاشتراكية .

وكذلك يتطلب تحقيق الآمال المطروحة على النضال العالمي في سبيل السلام والتقدم وسعادة البشرية قيام تعاون عريض بين جميع القوى التي تسعى إلى هذا الهدف . ولا يوجد هناك غير الأحزاب الشيوعية والعمالية التي يقع عليها في المحل الأول الاضطلاع بهذه المهمة ، فهذه الأحزاب هي طلائع البصيرة العاملة والمناضلون الأشداء في سبيل تخنيق اصدات ومصالح البشرية وأكبر القوى الثورية تأثيرا في عصرنا . وتتمثل لدرجة كبيرة أهمية مؤتمر الأحزاب الشيوعية والعمالية الأوروبية الذي عقد في برلين وغيره من التجمعات العالمية للأحزاب الشقيقة أنها قد وسعت المجال والفرص لقيام مثل هذا العمل المشترك .

واليوم بعد عام من مؤتمر برلين تبرز الأهمية الحيوية للنتائج والتقييمات التي توصل إليها شيوعيو أوروبا والتي تجسدت في الوثيقة الصادرة عن المؤتمر . إن تقسيم القوى الثورية واشتداد المارك الطبقي والصراعات بين الأيديولوجيات والسياسات على انطلاق الدولي يؤكد الدور المتزايد للتضامن الدولي والتفاعل بين جميع القوى المعادية للإمبريالية وتشتد الحاجة إلى هذا التضامن في ظروف عالم اليوم . ويكفي أن نشير إلى المشاكل العالمية التي تواجه البشرية مثل انقلب على التخلف اندي ما زالت تصاني منه غالبية البشرية والقضاء على المجاعة والفقر المدقع المسيطر على جزء كبير من سكان العالم وحماية وتحسين البيئة لكي ندرك الأهمية المتزايدة للتضامن الدولي ناهيك عن الحاجة ، التي تسبق ان جميع ، إلى المحافظة على انسلام العالمي .

وهناك قضية أساسية أخرى ألا وهي الحملة لوقف سباق التسلح الذي فرضه حلف الأطلنطي ولاتخاذ تدابير محددة لنزع السلاح . ومما لا جدال فيه أن هذه القضية تمثل المنتاح لحل مشاكل عصرنا الحالي ونحل مشكلة تأمين السلام الدائم والشامل . وستتيح حلها تجنب الموارد المالية الضخمة التي تنفق اليوم على سباق التسلح الذي يحركه رأس المال الاحتكاري واستخدامها في رفع المستويات المعيشية ودفع التقدم وخاصة في المستعمرات السابقة والبلدان المقهورة .

ويكفي أن نذكر أن واحدا على عشر من الأموال التي ينفقها حلف الأطلنطي على التسلح تكفي لسد جميع احتياجات الأطفال الذين يعانون من سوء التغذية في العالم والذين يقدر عددهم بـ ٢٥٠ مليون طفل . وتعتبر خطوة في هذا الاتجاه تنفيذ الاقتراح الذي تقدم به الاتحاد السوفييتي والذي يرمي إلى خفض الميزانيات العسكرية للبلدان الأعضاء الدائمين في مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة . فهذا الاقتراح يدعو أيضا إلى استخدام جزء

من الاموال التي يوفرها هذا الخفض لتقديم العون الى ابلدان النامية .

اما بالنسبة للبلدان الاشتراكية فهي مضطرة الى يومنا هذا الى انفاق موال ضخمة لحماية منجزات العمل السنوي لشعوبها . وتعتبر بلادنا اكثر بلدان العالم نباتا وتصميما في حملتها لتلوصول الى اتفاقه حول نزع السلاح .

وقد لجأت بلدان حلف الاطلنطي في السنوات الأخيرة الى زيادة الانفاق العسكري بصورة مضطربة . وبما أن تكاليف الأسلحة مرتفعة للغاية فإن هذه الزيادة في الانفاق العسكري تجور على الاموال المخصصة لاحتياجات الفروع الأخرى لاقتصاديات هذه البلدان . ووفقا لما جاء في نشرة « ملاحظات اقتصادية » التي تصدر في نيويورك فإن توفير ١٢٠٠٠ مليون دولار عن طريق خفض الانفاق على التسلح يمكن أن يفتح الباب لـ ٥٠٠٠٠ وظيفة بواسطة بناء المدارس و ٦٧٠٠٠ وظيفة بواسطة بناء المرافق العامة و ١٢٢٠٠٠ وظيفة بواسطة التوسع في خدمات الصناعة ولكن بدلا من هذا نجد أن هناك زيادة لا مثيل لها في أعباء الانفاق العسكري الذي لا يستفيد منها الا رجال صناعة الأسلحة بينما يزداد شعور عدم الأمان لدى العمال في بلدان رأس المال الاحتكاري .

ولقد قدم الاتحاد السوفيتي والبلدان الاشتراكية الأخرى ويواصل تقديم المقترحات المحددة لاجراء مفاوضات حول حماية السلام وتوطيد الانفراج ائسياسي بواسطة اتخاذ تدابير فعالة لخفض الأسلحة ونزع السلاح .

ولكننا لا يمكننا أن نغض الأعين عن الحقيقة بأن الولايات المتحدة وغيرها من البلدان الأعضاء في حلف الاطلنطي ما زالت تواصل عاما بعد عام زيادة الانفاق العسكري وبناء قدراتها العسكرية كما ونوعا . وتأتي جمهورية ألمانيا الاتحادية في المرتبة التالية للولايات المتحدة في مجال الانفاق العسكري وقد أقرت مؤخرا لجنة الميزانية بجمهورية ألمانيا الاتحادية رقما قياسيا للانفاق العسكري الحكومي في الميزانية بلغ ١١٨٥٠٠ مليون دولار . ويبلغ الانفاق على التسلح في العام الحالي في جمهورية ألمانيا الاتحادية ٥٠٠٠٠ مليون مارك ألماني . وبالإضافة الى هذا فإن نسبة الانفاق العسكري للفرد في ألمانيا الاتحادية تعتبر أعلى نسبة انفاق في جميع البلدان الأوروبية التابعة لحلف الاطلنطي .

وقد أصدر الاجتماع الأخير لمجلس حلف الاطلنطي الذي عقد في لندن قرارا بزيادة الانفاق على الأسلحة في بلدان الحلف الغربي . ولا شك أن كل شخص يعطى الأولوية للأسلحة في تحديد سياسته الخارجية لابد وأن يفاقم من خطورة الوضع الدولي وأن يقف في تناقض فاضح سافر مع مصالح الشعوب . ومن جانبنا فأننا نرى أن أية سياسة متزنة يجب أن

نضع كهدف رئيسى وجوهري لها اتخاذ خطوات نحو الاقسلال من خطر الحرب النووية ودفع قضيه نزع الاسلحة بما يتفق مع مبدأ المساواة فى الامن لكل الأطراف ووضع مصالح كل البلدان الاوربية فى الاعتبار . هذا ومستواصل جمهورية ألمانيا الديمقراطية تقديم مساهمتها الفعالة لحل هذه المشكلة .

ولا شك أن نزع السلاح سيقدم فرصا وإمكانيات جديدة للدفاع عن تدعيم الاستقلال الوطنى للمستعمرات السابقة والبلدان التابعة للإمبريالية ، حيث أن هذا سيقدم فرصا جديدة للقوى التقدمية المعادية للإمبريالية فى البلدان الرأسمالية فى نضالها لأحراز مكاسب ديمقراطية واجتماعية - سياسية . ينجم عنها تقليص نفوذ الاحتكارات وأحداث تحولات ديمقراطية . وبدون أدنى مبالغة يمكننا القول بأن الحملة من أجل نزع السلاح هى بانتجيد التى تبرهن وتفضح التناقض الجذرى فى المصالح بين التحالف المكون من رجال الصناعة والأسلحة ومصالح الإنسانية جمعاء .

يقول البيان الذى صدر عن اللجنة السياسية الاستشارية لبلدان معاهدة وأوسو فى بوخارست بتاريخ نوفمبر ١٩٧٦ . « أن بلادنا تصارضى عن اقتناع سباق التسليح ومن ثم فهى تعلن رغبتها واستعدادها للتعاون الفعال والبناء مع جميع البلدان للوصول الى حل لهذه المشكلة الحيوية التى تواجه الإنسانية » . وتتفق المقترحات المقدمة من بلدان معاهدة وأوسو وبالتحديد المذكورة حول مسائل سباق التسليح ونزع السلاح التى تستند الى برنامج السلام الذى أقره المؤتمر ال ٢٥ للحزب الشيوعى السوفيتى ، تتفق تماما مع هذا البيان . وما له أهمية كبرى أيضا مشروع المعاهدة الذى قدمه الاتحاد السوفيتى مؤخرا الى الجمعية العامة للأمم المتحدة حول عدم اللجوء الى استخدام القوة فى العلاقات الدولية .

٣ - لقد بذل الكثير وبذلت الكثير من التضحيات الضخمة لتحقيق حلم البشرية فى سلام دائم . ولكننا اليوم لا نستطيع أن نجزم بأن عملية إقامة علاقات دولية طبيعية لا يمكن الارتداد عنها . فما زالت هناك يؤد للتوتر معرضة للانفجار . ولم يتم اجتثاث خطر نشوب حرب عالمية جديدة ، والقوى المناهضة للانفراج تشدد من معارضتها لسياسات التعايش السلمى ونزع السلاح وتحاول تخريب الانفراج والرجوع الى سياسة الحرب الباردة ومن ثم فهناك ضرورة لممارسة جهود مثابرة ومتصلة لجعل السلام الأسلوب العظمى لحياة الشعوب .

وقد أثارت سياسة التعايش السلمى - جوهرها ومحتواها وأفاقها - جدلا عنيفا . ففي الوقت الحالى تتصاعد فى البلدان الرأسمالية المعارضة للانفراج من قبل القوى الأكثر عدوانية . كما يمكن ملاحظة نوع من عدم الثبات والتراجع حتى فى صفوف النواثر ذات العقيدة الواقعية . وهناك قوى تحلم بشيء . مختلف تماما عن الانفراج وعن وضع نهاية للحرب الباردة

ولكنها أجبرت على الرضوخ لحقيقة أن الاشتراكية في ازدهار ، وأن نفوذها الدول في نمو ، وأن حركة الطبقة العاملة والحركة الشيوعية وقوى التحرر وأنصار السلام في العالم يزدادون قوة فوق قوة .
وليس من قبيل الصدفة أن موجه العدا للشيوعية الموجهة أساسا ضد الاتحاد السوفييتي يجري التصاعد بها كلما ازداد انتشار افكار الانفراج ونزع السلاح التي تلهمها وتدعو لها الاشتراكية في صفوف الشعوب .
وقد أصبحت الامبريالية بهزائم عديدة ذات نتائج استراتيجية هامة ، فالرأسماليون في البلدان الرأسمالية يواجهون بحركة معادية للاحتكار يتزايد انصارها في اطار الازمة الحالية وتتمدد مطالبها باجراء تغيرات اجتماعية جذرية . ويرهن هذا على عدم جوى محاولات الامبريالية لانتزاع نفسها من موقف الدفاع التاريخي الذي تحتله .

لا يلقي ولا يمكن أن يلقي تخفيف التوتر انقوائن الموضوعية للصراع الطبقي . ونحن نضع في الاعتبار هذا العامل عندما نضع سياستنا البناء حقا ان الاسترخاء وتخفيف التوتر - ونحن في ذلك نتفق تماما مع ليونيد بريجنيف - يشتمل أساسا على التغلب على الحرب الباردة ، والانتقال الى العلاقات الطبيعية والمتكافئة بين الدول . كما يتضمن الاستعداد لتسوية المنازعات والاختلافات ليس بوسائل القوة او التهديدات او قرصة السلاح بل بالمفاوضات السلمية . وكذلك يتضمن الانفراج درجة معينة من الثقة والقدرة على ان تضع في الاعتبار المصالح المشروعة لكل طرف .

والعلاقات السوفييتية - الأمريكية أهمية حاسمة للتطور العالمي بصورة عامة ولحل مشاكل نزع السلاح بصورة خاصة . وتحظى مفاوضات الحد من الاسلحة الاستراتيجية باهتمام بالغ وطبيعي من قبل العالم ونحن نؤيد بحماس جهود الاتحاد السوفييتي لاقامة علاقات طبيعية والمزيد من هذه العلاقات مع الولايات المتحدة ولابرام اتفاقية جديدة وفقا لاتفاقيات فلاديفوستوك . ونحن مقتنعون أيضا أنه من الممكن التوصل الى نتائج ايجابية في مصلحة السلام العالمي اذا تخطى الجانب الآخر عن محاولاته غير الواقعية للحصول على مزايا أحادية الجانب .

أن الاعوام الستين التي انقضت منذ صدور مرسوم لينين حول السلام قد برهنت على أن السلام وسعادة الشعوب متصلة اتصالا وثيقا بنجاحات الاشتراكية ونضالات الشعوب في سبيل التحرر الوطني والاجتماعي . ويمكن احراز المزيد من الانتصارات لهذه الاهداف النبيلة والعظيمة في المستقبل أيضا من خلال النضال المعادي للامبريالية . ان فرنسا الحاصل ترصه النجمة الحمراء كثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى . ولقد تحولت الاهداف والمثل النبيلة التي كانت تعتبر حلما في وقت ما الى واقع حي نلمسه بصورة متزايدة من خلال عملية النشاط الثوري للجماهير الذي تقوده الطبقة العاملة واحزابها الماركسية - اللينينية .

من أجل السلام وسعادة البشرية

تقام ، بورييس بونا مار يوف

تمر الحركة الشيوعية بفترة هامة للغاية ومسئولة في تاريخها .
وتتميز المرحلة الحالية في تطورها ، في المحل الأول ،
بتغيرات نوعية طرأت على الدور الفعلي الذي يلعبه الشيوعيون
اليوم في تحديد مصير البشرية . لقد اتسعت صفوف الحركة
الشيوعية ، وتزداد مواقعها قوة ، كما يتزايد تأثيرها على
مجرى وطابع الأحداث العالمية . وفي عصرنا لا يمكن حل
أية مسألة حيوية في السياسة الدولية دون أن تؤخذ في
الاعتبار مواقف الحركة الشيوعية .

ويرتبط ذلك ارتباطا وثيقا مع عامل آخر . فكثر من
الأحداث الدولية تؤثر ليس فقط على آفاق الحركة في
مجموعها ، وإنما نجد لها تأثيرا مباشرا كذلك على نشاط
أحزاب شقيقة مفردة . وتحتل المشاكل الدولية مكانا
واسعا في نضال وعمل كافة الأحزاب الشيوعية دون استثناء
وتؤثر ، بين أشياء أخرى ، على تحديد تكتيكاتها واستراتيجيتها
القومية . وهذا تعبير عملي عن الأهمية المتزايدة لقدرة
الشيوعيين على الربط بين مسئولياتهم الدولية والقومية .

والخيرا ، فهناك جانب آخر من المسألة . فليوم حيث طرأ تحول نوعي عميق على المسرح الدولي ، تبين أن حياة بجلاد أن مستوى التفاعل السياسي بين الأحزاب الشيوعية والعمالية يصبح عنصرا هاما للغاية وضروريا للتغير في ميزان القوى لصالح السلام والاشتراكية . وتضامن الشيوعيين الدولي عامل سياسي هام لكبح الدوائر العدوانية للامبريالية ، وللمحافظة على المنجزات العظيمة للطبقة العاملة ، والشعب العامل ، ومضاعفتها ، كما أنه شرط أساسي لواصل تطور العمليات الايجابية في العالم .

وفي السنوات الأخيرة أصبحت الصلات والتعاون بين الأحزاب الشقيقة أكثر نشاطا وتنوعا بشكل ملحوظ ، إذ أنها تتعاون بشكل وثيق في المجال الدولي . والسمة العامة المميزة للصلات بين الأحزاب كانت منهجا سياسيا محددا من دراسة المهام الجارية . أن أهداف واتجاهات النضال المشترك التي ظهرت خلال الاجتماعات الاقليمية والدولية المتعددة الاطراف . والتي عقدت خلال هذه السنوات ، كما توضع الخبرة الأخيرة على وجه الخصوص قد ساعدت الشيوعيين ، على الاستفادة بصورة أفضل وبشكل أكثر فعالية من قدراتهم الخاصة ومن الظروف الدولية المواتية ، لمصلحة الشعب العامل .

واهم نتيجة للنضال الذي خاضته قوى السلام والاشتراكية على المسرح الدولي في العقود الثلاثة منذ الحرب العالمية الثانية هي إنه كان من الممكن تحقيق تحول من « الحرب الباردة » التي تخفيف التوتر ، الى تأكيد مبادئ التعايش السلمي في الحياة الدولية . وهذا التحول هو نتيجة للتحول النوعي في ميزان القوى الطبقي في العالم ، وللسياسة السلمية للبلدان الاشتراكية الشقيقة .

ففي أية صور معينة عبر هذا التحول عن نفسه ؟

أولا : في تعزيز مطرد لواقع الاشتراكية العالمية .

كانت الاشتراكية كواقع على الدوام ، ولا تزال ، سندا للطبقة العاملة العالمية . وبخلق وجودها وتميزها فرصا ضخمة لتحويل المجتمع بطرق ربما ستكون أسهل في كثير من الحالات عن الطرق التي كان على شعوب البلدان الاشتراكية أن تتبناها . والاشتراكية كواقع قد لعبت دورا بارزا في ضمان نجاح حركة التحرر الوطني . أن وجودها ، ومعنيتها ومساندتها تساعد اليوم البلدان التي كسبت السيادة السياسية لتحقيق الاستقلال الاقتصادي . وأخيرا ، فالاشتراكية كواقع قد وضعت مهمة حماية البشرية من حرب عالمية على أساس عملي . وبالإضافة الى ذلك ، فقد طورت بشكل حاسم بالفعل إعادة تشكيل العلاقات الدولية لتلائم مصالح كل الشعب ، وكل القوى الديمقراطية .

وتمسك البلدان الاشتراكية بزمام المبادرة فى الشؤون المالية وهى تدافع عن السلام والأمن الدولى . والعامل الجديد هنا هو أن البلدان الاشتراكية باتخاذها لموقفها على أساس التحولات النوعية فى توازن القوى العالمية تتحرك اليوم بنجاح نحو حل المشكلات الدولية بما فيه مصالح السلام والأمن الدولى ، وحركة الطبقة العاملة وكل الشعب العامل ، ومصالح الاستقلال الوطنى .

ثانيا : فى السنوات الأخيرة كسبت الطبقة العاملة فى القسم غير الاشتراكى من العالم مركزا أكثر رسوخا كقوة قيادية للتقدم الاجتماعى .

وتلعب الطبقة العاملة اليوم دورا أكثر بروزا عنها قبل الحربين العالميتين وفى السنوات الأولى بعد الحرب العالمية الثانية . ولديها فرص حقيقية لممارسة تأثير أكثر فعالية على الدوام على حل مسائل الحرب والسلام . وفى هذا الخصوص ينبغى أن نلاحظ انتماد حتى بعض الأحزاب الاشتراكية الديموقراطية مع بعض مبادئها السابقة وتبدى رغبة فى التماص مع البلدان الاشتراكية ، ومع الشيوعيين حول المشكلات التى تربط أساسا بالمحافظة على السلام والنضال ضد الرجعية .

وقد دعمت كثير من الأحزاب الشيوعية مواقفها فى بلدانها . والعامل الجديد هنا هو أنه فى السنوات الأخيرة كسبت بعضها مواقع تواجهها بالمشكلات العملية لامكانية مشاركتها فى الحكومات . وفى عدد من الحالات يساعدها ذلك حتى الآن فى ممارسة ضغط على البرجوازية تضطر ازاءه الدوائر الحاكمة فى تلك البلدان الى أن تعمل لها حسابا هندا رسم ومواصلة سياستها الداخلية ، بل والخارجية كذلك .

ثالثا : حدثت تغيرات جوهرية فى منطقة حركة التحرر الوطنى . والعامل الجديد هنا هو أن الاستعمار فى أشكاله القديمة يفقد المسرح ومع ذلك ، تحاول الامبريالية الدولية بعناد أن تكبح هذه العملية ، كما تشهد المحافظة المصطنعة على التوتر فى الشرق الأوسط ، والتطورات فى جنوب افريقيا ، وكذلك الأحداث فى زائير . بيد أن الامبريالية ، كما توضح التجربة ، لم تعد بقلادة على اعانة حركة التحرر الوطنى الى الوراء رغم أنه لا يزال فى مقدورها فى بعض المناطق شن هجمات مضادة .

وبالبلدان التى كسبت الاستقلال السياسى تسعى بنشاط من أجل نظام عادل للعلاقات الدولية متحرر من التمييز والنهب الامبريالى . والعامل الجديد هنا هو أن زعماء عدد من البلدان حديثة التحرر التى اختسارت الطريق الاشتراكى يتغلون خطوات لاقامة أحزاب طليعية ثورية ويدافعون عن تطوير التعاون والتفاعل مع الحركة الشيوعية .

وسوف يتضح ، بالطبع ، أنه في الوقت الذي يشير فيه الى النجاحات الجوهريّة التي تمّ التوصل اليها خلال عمل دعوب من جانب الشيوعيين وكافة القوى التي تعارض الحرب وتعمل من اجل السلام والتفهم الاجتماعي ، لا يفيب على المرء أن كافة العقبات القائمة في هذا الطريق لم يتم التغلب عليها بعد ، وأن كافة المشكلات لم تحل ، وأنه رغم تضائل التهديد بحرب جديدة ، فإن هذا التهديد لم يستبعد نهائيا . كما لا يفيب على المرء أن الامبريالية رغم اضطرابها لأن تأخذ في الحسبان الوضع المتغير ، لا تزال تحاول منع مواصلة تعزيز مواقع قوى السلام والديمقراطية والاشتراكية ، وحيثما أمكن تحاول الانتقام وعكس اتجاه الأحداث الدولية

وقد حفز ذلك الامبرياليين في مختلف البلدان الى تنسيق جهودهم على نطاق دولي . ويهم أن تزايد حدة أزمة الامبريالية يؤدي بشكل محتوم الى منافسة واحتكاك وتنافضات أكثر حدة بين البلدان الرأسمالية ، بين الاحتكارات الكبرى أو المجموعات الاحتكارية ، بما في ذلك الاحتكارات متعددة الجنسية ، تسعى الامبريالية الدولية الى التوصل الى عمل دعوب عندما يتعلق الامر بمقاومة قوى التحرير الثورية ، ومعارضة السياسة الهادفة الى كبح سبق التسلح وتطوير الأمن الدولي الحقيقي .

وقد تمت السنوات الأخيرة تأكيدات هامة مقنعة لحقيقة أن عدونا الطبقي يولي أهمية متزايدة لتنسيق استراتيجيته المعادية للشيوعية على نطاق عالمي . وهذا يتضمن نشاطا متزايدا من جانب ميكائيزمات مثل حلف الأطلسي والسوق المشتركة ، كما يعني كذلك مؤتمرات منتظمة لرؤساء الحكومات ووزراء الخارجية لحماية مواقع رأس المال الدولي ووضع سياسة مشتركة نحو البلدان الاشتراكية والتنمية ، أنه يعني اجتماعات عديدة بين السياسيين على مختلف المستويات لمناقشة وتعديل الاستراتيجية والتكتيكات المشتركة في النضال ضد الطبقة العاملة والشعب العامل في كافة البلدان . وفي مثل هذه الظروف فإن تدعيم التضامن الدولي ، والعمل الجماعي من جانب الأحزاب . الشيوعية والعمالية ، التي تجعل منها طبيعتها ، ونظرتها العالمية وموقعها في البنية السياسية للمجتمع المعاصر حاملة لا أفكار الأممية والتضامن ، يكتسب أهمية خاصة .

ويمثل ذلك أهمية أكثر ، وبخاصة لأن المهام التي على الشيوعيين أن يحققوها في المجال الدولي في السنوات المقبلة تتخذ طابعا جديدا تماما . وتتميز المرحلة الحالية في النضال من أجل تحقيق وتدعيم وتعميق الانفراج الدولي بحقيقة أنه يتلوق الآن بالتوصل الى اتفاقيات خاصة بدرجة متزايدة حول المشاكل الحيوية للغاية بين بلدان تنتمي الى أنظمة اقتصادية اجتماعية متعارضة . وهذا في حد ذاته يؤدي الى وجود تعقيدات .

بيد أن المصاعب الرئيسية تنبع من مصدر آخر . وهذا المصدر هو

مقاومة الامبريالية المتزايدة لعملية الانفراج ، وبخاصة في المجال العسكري ورفبتها في ألا تسمح بأي كبح لسباق التسلح ، الذي هو في الحقيقة ليس سوى اعداد مادي للحرب .

وكما لم يحدث من قبل ، تصعد الامبريالية سباق التسلح ، وتضعه على مستوى لم يشهده من قبل . ان جانبيين من جوانبه ليس لهما سابقة في العالم الحديث . واحد هذين الجانبين هو التصعيد الهائل لقوة النيران وتطوير انماط وانتظمة جديدة من اسلحة الابادة الشاملة ، والجانب الآخر هو العبء الاقتصادي الضخم الذي تلقبه ذلك على المجتمع حتى في زمن السلم .

ومع ذلك يجب التشديد على عامل جوهري آخر . فمن طريق تصعيد سباق التسلح تأمل الامبريالية ليس فقط ان تعكس الاتجاه نحو اعادة توزيع القوى العالمية لصالح السلام والاشتراكية وتستعيد تفوقها العسكري انها تعثر سباق التسلح كذلك كوسيلة لممارسة ضغط عسكري سياسي على البلدان الاشتراكية والنامية . وهي تستخدمه في محاولة لا يطاق تطور الاقتصاد الاشتراكي وبالتالي معدل تقدم البلدان الشقيقة على طريق الاشتراكية . واخيرا ، فان سباق التسلح يعتبر أحد المظاهر الأساسية للاتجاه الذي يميز الامبريالية نحو عسكرة الحياة الاقتصادية والاجتماعية السياسية ، ووسيلة لتعزيز المواقع الاجتماعية والسياسية للقوى الرجعية العدوانية ، ووسيلة لابتزاز ارباح فائضة من الطبقة العاملة والفئات العاملة الاخرى في المجتمع ، وعاملا يفاقم من ازمة الرأسمالية .

وبالمقابل ، فان المعارضة الدائمة لكافة اشكال العسكرية تعتبر جزءا لاغنى عنه من الرسالة التاريخية للطبقة العاملة . فمند حوالي ٧٠ عاما مضت ابد لينين بنشاط الفكرة التالية في قرار مؤتمرات ستوتجارت للاممية الثانية حول النضال ضد العسكرية : « ان الطبقة العاملة ، التي تعتبر المصير الرئيسي لتقديم الجنود ، والتي تقدم التضحيات المادية الرئيسية ، هي على وجه الخصوص عدو طبيعي للحروب ، لان الحروب تتعارض مع هدفها في خلق نظام اقتصادي قائم على المبدأ الاشتراكي ، مما سيضمن من الناحية العملية تضامن الشعوب » المؤلفات الكاملة ، المجلد ١٥ ، ص ١٩٢ »

والنضال ضد سباق التسلح ومن اجل تعميق الانفراج هو أحد المسائل الرئيسية للصراع ليس فقط في مجال السياسة ، وانما في الايديولوجية كذلك . وهذا الرئيسي ، كما نرى ، هو أن الغالبية العظمى للشعب ينبغي :

— ان تدرك الخطر المتزايد لسباق التسلح « فقد ضعف ادراك هذا الخطر في بعض الدوائر اخيرا » .

— ان تحاول تلمس حيل السياسة الامبريالية ، وتترك حقيقة مناوراتها حول هذه المسألة .

— ان تدرك تماما ان الامبريالية هي السبب الحقيقي لسباق التسلح والنزعة العسكرية .

وهذا ضرورى على وجه الخصوص لان العدو الطبقي يبذل كل ما في وسعه لالقائء اللوم عن مثل تلك التطورات على البلدان الاشتراكية .

لقد اعتبر الحزب الشيوعى السوفييتى على الدوام ان حماية السلام ، وتجنب حرب ذرية ومقاومة سباق التسلح مهمة يتحمل حيالها مسئولية اممية . وسباق التسلح الذى فرضته الامبريالية يجبر الاتحاد السوفييتى بالطبع على انفاق اموال ضخمة على تعزيز دفاعاته . بيد ان الحسْرَب الشيوعى السوفييتى والدولة السوفييتية قد دافعا دون كل بولا يزالا يدافعا عن الحد من سباق التسلح على اساس عادل ومتبادل .

وكما اكد ليونيد بريجنيف ، فانه اذا لم تجد جهود اكثر النواثر الامبريالية عدوانية لتصعيد سباق التسلح ، ردعا مناسباً « فان التهديد بالحدسرب سينمو مرة اخرى . ومثل هذا الخطر خطر على كل شعوب الشرق والغرب وسوف يبذل الاتحاد السوفييتى كل جهوده لمواجهة ذلك ، وفصح ما يتضمنه من اخطار . »

ان ازدياد حدة ازمة الرأسمالية ، التى اصبحت كما يعترف الان على نطاق واسع ، اكثر خطرا على النظام الرأسمالى ، فى عديد من الوجوه ، من الازمات السابقة ، يطرح كذلك عددا من المسائل الدولية العامة .

وهناك اليوم ما يكفى من الاداة للحديث عن ازمة للنظام الاقتصادى الرأسمالى العالى وازمة السياسة الاستعمارية الجديدة . وسمة بارزة لصدومات الازمة الحاضرة هو طابعها الدولى .

ويلاحظ ان هناك اتعاشا معينا فى السوق فى عدد من البلدان فى الوقت الحاضر ، بيد ان ذلك لايعنى ان الاقتصاد الرأسمالى قد تغلب على الازمة فالتنمو المستمر للبطالة ، والتضخم وفيرهما من عمليات الازمة تقدم الدليل على العكس . والهوة بين احتياجات الجماهير وبين تلبية هذه الاحتياجات تتسع على الدوام ، كما يزداد وضوحا عجز الطبقات الحاكمة وعدم رغبتها فى أن تأخذ فى الاعتبار احتياجات الناس العاديين ، كما يزداد التباين الاجتماعى وبصورة جلية . وهكذا فما زالت تعمل الاسباب الاجتماعية السياسية وكذلك الاقتصادية التى تدفع الجماهير للدفاع عن مصالحها بتصميم اكبر ، مما يترتب عليه جذب فئات اجتماعية جديدة فى الحركة

النشطة . وتثرى اشكال الصراع الطبقي ، وفي المحل الاول ، يصبح الصراع الاقتصادي أكثر اندماجا على وجه الخصوص مع الصراع السياسي .

وقد وضعت الأحزاب الشقيقة في العالم الراسمالي نصب عينيهامهمة عدم السماح بحرمان الجماهير العاملة من المكتسبات التي حققتها في النضال الطبقي العنيد لسنوات مابعد الحرب . وهي تسعى لدمج النضال ضد الأزمة مع النضال ضد تحكم الاحتكارات ومن أجل تغييرات اجتماعية اقتصادية عميقة ، من أجل التجديد الديمقراطي لحياة المجتمع في جميع المجالات ، ومن أجل مصالح الطبقة العاملة ومن أجل الأهداف الاشتراكية . ويتركز اهتمام الأحزاب الشيوعية كذلك على ربط النضال ضد ظواهر الأزمة واثارها على الجماهير العاملة بالنضال من أجل الانفراج ، الذي تنسف عن امكانية تطور عريض للتعاون الاقتصادي بين البلدان ذات الانظمة الاجتماعية المختلفة .

والنتيجة الايديولوجية والسياسية الرئيسية للاحتدام الراهن لازمة الراسمالية هي أن سمعتها تزداد سوءا كنظام اجتماعي في اعين الجماهير العريضة . ومن المستحيل تجاهل ذلك ، كأحد الأسباب الرئيسية لصراع الايديولوجي والسياسي الشامل بين قوى السلام والاشتراكية وقوى الامبريالية ، والدعوان والرجعية ، والذي يزداد اشتعالا في العالم . لقد انجذبت الى العمل جماهير غفيرة من الناس في المنطقة غير الاشتراكية . وهذه الزمة الراديكالية حقيقة واضحة . أن المصالح الحيوية للجماهير العاملة تتطلب اجابة على المسائل الملحة لمصرنا :

— كيف ، وبأي طرق تناسب المصالح الاقتصادية والسياسية للجماهير العاملة يمكن إيجاد مخرج من هذه الأزمة التي تمسك بخنلق النظام الراسمالي بكامله ، اقتصاده ، وسياسته ، وايديولوجيته ، ومعنوياته ، — كيف نتجنب خطر الحرب الماشتر وتبني سلاما وطيبا حقا ، سلاما ديموقراطيا حقا وعادلا ، وكيف نوقف سباق التسلح والذي يستنفذموارد هائلة يمكن أن تستخدم لجعل الحياة أكثر سهولة بالنسبة للجماهير العاملة

— كيف نستخدم مزايا المجتمع الجديد ، التي اكدتها الآن كل الممارسة الاشتراكية ، وكيف نحقق الفرص الموضوعية التي خلقتها للطبقة العاملة وحركة التحرر جبروت وهيبة الاشتراكية المعاصرة .

ولا غرابة في أن السياسيين والايديولوجيين والدوائر الحاكمة للامبريالية بشكل عام تسعى بكافة الوسائل لمنع الجماهير من ادراك أن الحل الواقعي الطويل الاجل والوحيد لمشاكل الجماهير العاملة يسكن في التحويل الاشتراكي للمجتمع . أن حقيقة أن البديل الاشتراكي قد يجذب على وجه

التحديد أقساما جديدة من الجماهير العاملة هو مايرغب الرأسمالية اليوم وكل ذلك قد حفز الدوائر الحاكمة الامبريالية على التركيز بشكل خاص على اللعابة وغسيل المخ النفسى للجماهير العريضة فى المصالح غير الاشتراكي ، وبخاصة الجماهير العاملة بروح العداء للشيوعية والعداء للسوفيت . ويهدف الهجوم الاساسى الى تشويه سمعة المثل العليا العظيمة للاشتراكية - وزرع عدم الثقة بين البلدان التى يطبق نحوها هذا الهجوم . ولهذا الغرض صعد الامبرياليون الخرا حملة ضخمة معادية للشيوعية ومعادية للسوفيت . وقد اقامت الامبريالية جهاز تخريب ايدولوجى ضد البلدان الاشتراكية لم يسبق له مثيل فى اتساعه حقا . ومما تلفت النظر ، ان احد التحركات الاولى للحكومة الامريكية الجديدة كانت المطالبة بعمليات لاقامة ١١ محطة اذاعة قوية جديدة لاستخدامها لللعابة التخريبية ضد الاشتراكية القائمة .

والحملات المعادية للشيوعية والمعادية للسوفيت ، التى اتخذت ابصارا لم يسبق لها مثيل ، تدهش المرء باعتبارها امتحانا للمنطق السليم . والرأسمالية ، ذلك النظام الذى بلبل كل مافى وسعه خلال الستين عاما الماضية للقضاء على الاشتراكية ، يتظاهر الآن بأنه مدافع عن تحسينها . والرأسمالية فى الواقع ، ضد الاشتراكية بالطبع ، وليست فى صف تحسينها ، ولم يكن مضحكا ان تختار من بين كل الاشياء ، حقسوق الانسان باعتبارها مادة للتصدير . لان الرأسمالية على وجه التحديد هى التى تنكر حقوق الملايين .

وسما له اهمية ، ان حملات اللعابة التى شنت فى الفترة الاخيرة تروى الى نحورهم . فالجماهير العاملة وتنظيماتها التقدمية تتمسك بما يقوله حكام العالم الرأسمالى وتقدم كشف حسابها ، مما يترتب عليه اجبار الحكام على النكوص من تلك الاقوال ، وحتى تخفيف حملاتهم لفترة . والحزب الشيوعى السوفييتى يقدر عاليا العمل الذى يقوم به زملائنا الشيوعيون يوميا فى الخارج فى ظروف معقدة لفضح اللعابة البرجوازية ووضع الحقائق حول حقوق الانسان فى البلدان الاشتراكية امام الجماهير فى بلدانهم .

ونرفض الصحافة الاحتكاكية الاشارة الى انه فى كل يوم يوضع عشرات ومئات الناس الابرياء تماما فى السجون فى بلدان ما يسمى « بالعالم الحر » وان المتظاهرين والمضربين يطلق عليهم الرصاص فى عديد من هذه البلدان . ومع ذلك نجدهم يتصايحون من فوق الاسطح عندما يقوم الاتحاد السوفييتى او أى بلد اشتراكي آخر بمعاينة هذا الفرد او ذاك - بما تحنى تماما وقوانينه - لنشاطه المعادى للاشتراكية والذى يضر بمصالح الشعب .

فلماذا تثنى الحملات الحالية ضد البلدان الاشتراكية تحت الشعار الزيف للدفاع عن حقوق الانسان ؟

اولا ، لان مقارنة واسعة ، وقد نقول مباشرة ، لحالة الامور فى العالم الرأسمالى مع التقدم الذى حققته البلدان الاشتراكية فى الاقتصاد ، والعلوم ، والتكنولوجيا ، والثقافة ، ومستوى المعيشة قد تضع الامبريالية فى موقف خاسر . ولدى البرجوازية فرصة اقل الان للمناورة الايديولوجية ورمزايا الاشتراكية بشكل عام واضحة للغاية ، وبخاصة على خلفية الأزمة الى اصابت العالم الرأسمالى ، لدرجة ان مثل هذه المقارنة سوف تبرز من جاذبية النظام الاشتراكى لجماهير الناس .

وثانيا ، لان مشكلة حقوق الانسان هي مشكلة حقيقية فى العمال البرجوازي ، مشكلة تؤثر على مصالح ومشاعر الناس الذين يمتن راس المال حقوقهم ويقيمها . وفذلك تحاول الدعاية البرجوازية ان تبعد اللوم عنها ، وبإثارة قضايا افراد ، تستطيع ان تؤثر على مشاعر الناس ، وان تثير الراى العام وتحول اهتمام الجماهير عن المعنى الاجتماعى للعلاقات السلبية التى تجرى فى المعسكر الامبريالى ، وعن شروبه وامراضه .

وفى هذا الخصوص ، اود ان اؤكد على الزيف والنفاق الكامل للدعاية البرجوازية التى تبرز قصة من يسمون بالمشقيين فى البلدان الاشتراكية . والوسائل الرئيسية التى اختارها « المشقون » لمقاومة النظام الاشتراكى هي النداءات المباشرة للدول الامبريالية لممارسة ضغط اقتصادى وحتى عسكري اكبر على البلدان الاشتراكية . وهذه المجموعة التافهة من الافراد الحقيرين الذين لا يمثلون احدا والذين قطعوا كل صلاتهم بشعبهم لا تهتم على الاطلاق بمصير الاشتراكية ، كما تلعن الصحافة الامبريالية . ونقد « المشقيين » للاشتراكية سلبى ومعاد تماما . انه فى الحقيقة شكل من الصراع ضد النظام الاشتراكى ، ضد الشيوعية . وانه لمنطقى تماما ان « المشقيين » ، عندما يجدون انفسهم خارج البلدان الاشتراكية ، يتخلون تماما عن شعاراتهم الديماغوجية دفاعا عن الحرية ويعلمون صراحة عن تعاطفهم مع اعداء الشعوب الالقاء ، وعن الرجعيين الدوليين الاكثر افتضاحا

وليس هناك جديد بالنسبة لاستخدام الامبريالية لاحتالة المهاجرين لأغراض معادية للشيوعية ، ومعادية للسوفيت . وعندما هزم الغزاة الامبرياليون والحرس الأبيض فى الحرب الاهلية ، منذ اكثر من نصف قرن مضى ، هرب كثيرون من الحرس الأبيض الى الغرب . وفى ١٩٢١ ، ١٩٢٢ ، كان هناك من مليون ونصف الى مليونين من المعادين للثورة النشطين بضمروهم بباريس ، وبرلين ، واستانبول . وعواصم بلدان برجوازية اخرى وواصلوا كفاحهم من هناك ضد بلاد السوفيت . بيد ان حزبنا ، والأحزاب الشيوعية :نفذية

في البلدان الرأسمالية ، من جانبها ، تغلبت على الهجوم ، وتلاشى الهجوم الخبيث للحرس الأبيض . والوضع الآن مختلف تماما . « فالمنشقون » اليوم مجرد عدد محدود من الأفراد . بيد ان الامبرياليين بخلفهم استعاضوا دعائية حول وجود معارضة في بلادنا ، يعتمدون على جهل الناس ويستخدمون هذا العدد المحدود من الأفراد للاعلان .

وهناك مع ذلك جانب آخر للحملات المعادية للسوفييت والمعادية للاشتراكية . ونحن نسير الى محاولات رجال الدولة في انغريب للتدخل في شئون الاتحاد السوفيتي الداخلية . وبالتأكيد ، فان هذه المحاولات لا يمكن ان تؤثر على سياستنا الداخلية ولكنها تسمم بالتأكيد المناخ الدولي لقد رفض الحزب الشيوعي والحكومة السوفيتية هذه المحاولات وسوف يرفضونها على الدوام .

ان غاية وغرض حملات اليوم المعادية للاشتراكية واضحة لكل شخص ناضج سياسيا . وكما هو معتاد وجهت الامبريالية سهام نضالها ضد احزاب البلدان الاشتراكية والاسرة الاشتراكية في مجموعها . وخلف هذه الحملات توجد عناصر تود ان تفرض تغييرات سياسية جوهرية على البلدان الاشتراكية كشرط لاستمرار الانفراج . ويستخدم المرتدون من البلدان الاشتراكية وكذلك مشكلة « المنشقين » بصراحة كوسيلة لتعطيل مسيرد من الخطوات نحو الانفراج ولنفس الطريق الى علاقات دولية تركز على التعتاش السلمي .

ويكشف تحليل الدعاية الغربية ان كيفية مع الوضع المتغير ادى الى ظهور عناصر جديدة في طرق واساليب تأثيرها على الرأي انعام . فقد اصحبت الدعاية البرجوازية اكثر تركيزا ، وهي توجه ضرباتها الى اهداف اقل ولكنها تجعلها اكثر قوة لتحقيق اثر اكبر . وجدير بنا ان نشير بشكل خاص الى ان هذه الدعاية مخططة ومنسقة بعناية على المستويين القومي والدولي

وفي هذه الظروف ، يولي الحزب الشيوعي السوفيتي اهمية خاصة لتشديد المقاومة ضد الحملات الايديولوجية والسياسية التي اطلقتها الامبريالية ضد الاشتراكية العالمية ، والحركة الشيوعية الدولية وضد احزاب مفردة . ولذلك يعتبر حزبنا ان من المهم تنسيق عمله بدرجة اكبر مع عمل الاحزاب الشقيقة الاخرى في الهجوم الايديولوجي ضد الامبريالية في فضح طبيعتها الطفيلية المعادية للشعب ، وفي توضيح مزاي النظام الاشتراكي .

ان خبرة ستين عاما مضت منذ انتصار الثورة الاشتراكية في روسيا تقدم دليلا لا يتطرق اليه الشك على ان الامبريالية نستخدم على الدوام

معاداة السوفيت كسلاحها الرئيسى ضد الحركة الشيوعية وكافة القوى التقدمية . وتهدف الهجمات الامبريالية على البلدان الاشتراكية الى احصاء الطامع المادى للديموقراطية للنظام الرأسمالى ذاته . والحملات المضادة للاشتراكية ليست سوى وجهة نشاط يهدف الى تعزيز الرجعية فى مختلف المجالات . انها مسألة الهجوم العنيف المباشر على الأحزاب الشقيقة وتصفيد الكفاح ضد الحركة النفاية ، ومنع اليساريين من القيام بوظائف معينة ، واخضاع الموظفين « لاختبارات الامن » وممارسة التمييز العنصرى وغيره من انواع التمييز . ويتبنون هناك دلائل مزعجة فى عدد من البلدان الرأسمالية ، لنمو خطر الفاشية ، وخاصة فى تلك البلدان التى اصبح للامزة فيها ابعاد عميقة . ويتضمن الكفاح ضد الديموقراطية والحصرية محاولات ارباب السكان بالحديث عن « تهديد » سوفيتى ، وشيوعى بشكل عام .

والامبرياليون بتشويههم للواقع الاشتراكى ومحاولتهم الحط من شأن منجزاتنا يبدلون كل ما فى وسعهم كذلك لتشويه الأفق الاشتراكى والنيل من سمعة المثل العليا الاشتراكية ، كى تبعد الجماهير عنها وتعرى الاساس الايدىولوجى للحركة الشيوعية .

وتهدف الحملات المضادة للاشتراكية بثبات الى تقويض نفوذ الشيوعيين فى البلدان الرأسمالية ، واضفاف صلاتهم بالقوى الاجتماعية والسياسية الاخرى . وكل من هذه الحالات تشجع القوى المضادة للشيوعيين وتزقل الكفاح من اجل مساكنتهم بين الجماهير .

والاشتراكية القائمة ليست فحسب مصدر قوة مادية وسياسية ومعنوية عظيمة لطبقة عاملة أصبحت فى بلادها القائد السياسى للمجتمع . ولكنها فى نفس الوقت مصدر قوة عظيمة للطبقة العاملة العالمية فى مجموعها .

والاشتراكية القائمة ، سواء نظريا أو عمليا قد وفرت الحرية من سلطة رأس المال ومن استغلال الانسان للانسان ، الحرية من استخدام الناس فى حروب مدمرة للعنوان تشن لصالح الامبريالية ، الحرية من القهر الاجتماعى والتمييز العنصرى .

لقد وفرت الاشتراكية حقوق الانسان المضمونة التى يعتد بها ، بحق العمل والتعليم والامن الاجتماعى والعناية الطبية المجانية وحق الراحة والاستحمام . وألغت العداوات الطبقة فى بلادنا ورفعت تعليم الشعب ومستواه الثقافى للدرجة كبيرة ، مما يساعدهم على المشاركة بشكل أكثر كفاءة وفاعلية فى ادارة كافة الشؤون العامة . لقد ضمنت الحرية الحققة للكلام والصحافة التى يستفيد منها ملايين وملايين المواطنين السوفيت بشكل فعال .

ولم يزل الديموقراطية الاشتراكية وتطويرها في كافة المجالات السياسية والاجتماعية والسياسية على السواء - هو أحد الخطوط الرئيسية لعمل الحزب . وهذا ما يعبر عنه بجلاء الاجتماع الموسع الأخير للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي في مايو ١٩٧٧ ، الذي ناقش مشروع الدستور الجديد للاتحاد السوفيتي ووافق عليه في اتجاهاته الأساسية . وفند اوضح ليونيد بريجنيف السكرتير العام للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي بأسلوب علمي الحاجة الى الدستور الجديد ، ومغزاه السياسي الداخلي والدولي الكبير . وقدم موجزا مطولا لهذا المشروع للقانون الاساسي لدولتنا ، مشيراً بصورة خاصة الى أنه يعمم كل التجربة الدستورية للاتحاد السوفيتي كما يستند الى خبرة التطور الدستوري المتراكمة في البلدان الاخرى للأسرة الاشتراكية . وأكد الرقيق بريجنيف « ان العناصر الرئيسية الجديدة في المشروع تهدف الى توسيع وتعميق الديموقراطية الاشتراكية » . والناقشة الحرة والجادة على نطاق البلاد للمشروع والتي تجرى الآن في الاتحاد السوفيتي بمشاركة عشرات الملايين من الناس ، تقدم للعالم صورة واضحة للديموقراطية الحقبة لاجتمع اشتراكي متطور في التطبيق .

وهذا هو عام الذكرى الستين لثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى وقد اتخذت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي قراراً خاصاً يحدد الخطوط الرئيسية للعمل الايديولوجي والسياسي في بلادنا بمناسبة هذه الذكرى والتدابير العملية المرتبطة بها . ويشير الشيوعيون السوفيت بارنيان الى أن عدداً من الأحزاب الشيوعية قد اتخذت كلكل قرارات خاصة وبدأت الاعداد على نطاق واسع . ونحن نرى في ذلك تعبيراً عن اعتراف الحركة الشيوعية العالمية بالعلاقة بين مصالحها القومية وبين الافكار التي بدأت ثورة أكتوبر تجسيدها ، وكذلك تعبيراً عن تضامنها التقليدي مع نضال شعبنا من أجل الاشتراكية والشيوعية .

وتبذل الدعاية الامبريالية جهوداً متزايدة مع مرور السنين كي « تعطي طابعاً روسياً » لثورة أكتوبر ، عن طريق انكار الجوانب المعترف بها عالمياً لتجربتها وادعاء أن تلك التجربة قاصرة على الظروف الروسية المتميزة . ولا يحتاج الأمر الى كثير من البصيرة لرؤية أن الهدف هو تشويه سمعة المثل العليا للحركة الشيوعية بشكل عام ، المثل العليا التي لاتنفصل عن أكتوبر والتي يعتبر ترجمتها الى واقع المهمة الاممية المشتركة لكافة الأحزاب الشيوعية والعملية .

وتتميز الرحلة الراهنة للعملية الثورية العالمية بالتنوع الواسع لاشكال النضال التي تستخدمها الطبقة العاملة والأحزاب الشيوعية والعملية في القسم غير الاشتراكي من العالم . والصراعات الطبقة والتحررية تستند وتتصاعد ، قوة في ركن من العالم ، وقوة في ركن آخر . وخلال السنوات القليلة الماضية اكتسبت القوى الثورية في كافة البلدان خبرة

جديدة ومتنوعة . وهذه الخبرة تدرسها بشكل وثيق على أساس نظري الأحزاب الشيوعية ، التي ترسم خطوطا مرشدة استراتيجية وتكتيكية جديدة تنطبق على المرحلة الحالية للحركة الثورية وعلى الواقع القومي في بلدانها .

ويقدر حزينا هذا العمل الواسع والهام . ولهذا السبب يعتر من الجوهري الترويج لكتسيبات الأحزاب الشيوعية في البلدان الأخرى ، مؤكدا أنها تشكل مساهمة هامة لقضيتنا المشتركة - القضية التي يحملها على عاتقه الشعب السوفيتي بالمثل - للنضال ضد الحرب والسياسة الامبريالية للعدوان والاملاء ، ومن أجل السلام الوطيد والامن والتقدم الاجتماعي للشعوب . وحزينا بدوره يشارك بدور نشط في التبادل الجماعي للخبرة ويساهم في دراستها من وجهة نظر اممية .

ان كثيرا من المشاكل السياسية والايدولوجية تواجه الشيوعيين في مختلف البلدان اليوم . وهي تتضمن التمكن من كافة أشكال النضال ، سواء تلك التي اختبرت من قبل أو الجديدة منها ، بهدف دفع قضية الثورة ، واندفاع عن مكتسباتها ، والحاجة الى الاهتمام الكبير بتفاصيل العوامل الخارجية والداخلية في تطور العملية الثورية ، والبحث عن أكثر الوسائل فعالية كي تتمشى الاهداف العاجلة للصراع الطبقي مع النضال من أجل مستقبل اشتراكي . وتواجه الأحزاب الشيوعية كذلك مشكلة تصميم صفوفها على أساس مبادئ الماركسية اللينينية ، وتوسيع نفوذها بين الطبقة العاملة وربط هذا العمل مع تطوير تحالفات طبقية على أساس عريض ، والربط بين مسؤوليتهم السياسية المتزايدة على المستوى القومي وممارسة دورهم كقسيطة في الحركة الشيوعية العالمية ، التي يسخر دورها ومسؤوليتها في عالم اليوم في التزايد . وهناك ايضا مشاكل عديدة تتعلق بتعميم خبرة البلدان ذات المنحى الاشتراكي .

وليس سرا ان هناك آراء مختلفة بين الأحزاب الشيوعية حول بعض المسائل الايدولوجية والسياسية . كما انه ليس سرا ان الامبرياليين يعتمدون على تزايد عمق الخلافات في الراي داخل الحركة الشيوعية . وهم يبدلون كل نافي وسمهم لتوسيع هذه الخلافات واستغلالها لاهدافهم البطقية . وهم في ذلك يعتمدون على اضعاف وحدة الحركة الشيوعية ووضع الأحزاب الشقيقة في البلدان الراسمالية في تعارض مع مثيلاتها في البلدان الاشتراكية .

وبنفس الاهداف في الاعتبار ، لبذل الجهود لوضع فكرة المستقبل الاشتراكي لبلدانهم التي تطوره الأحزاب الشيوعية ليلائم ظروفهم القومية الخاصة ، في تعارض مع الاشتراكية توافق . وحزينا لم يعتبر على الاطلاق ان الاشتراكية القائمة قد حدث بالفعل كل قسم متنا على الاعلى الاجتماعي،

والا لما كان هناك سبب لان نتقدم ببرنامج للانتقال الى الشيوعية . وهكذا فان انتقاد الاشتراكية القائمة من موقع مجرد امر لا مبرر له . ومن ناحية اخرى ، فان المنجزات التاريخية التي لا تبارى يمكن ان تكون عاملا يعتمد عليه في النضال من اجل التقدم الاجتماعي ومن اجل الاشتراكية في مختلف اجزاء العالم .

ان الحاجة الحيوية للتعاون الاممي على اساس الافكار العظيمة لماركس وانجلز ولينين معترف بها عالميا في الحركة الشيوعية . وموقف الحزب الشيوعي السوفيتي حول هذا الموضوع يظل دون تغيير . وقد حدد بشكل كامل الرفيق ليونيد بريجنيف في خطابه الى مؤتمر الاحزاب الشيوعية والعمالية الذي عقد في برلين منذ عام مضى ، حيث قال :

« ان كل حزب شيوعي انشئ من حركة الطبقة العاملة في البلد الذي يعمل فيه . وهو مسئول كذلك عن نشاطه اولا امام الجماهير العاملة في بلده ، التي يصير عن مصالحها ويدافع عنها . وهذا ما يوفر الاساس للتضامن الدولي للشيوعيين ... اما فيما يتعلق بالاممية البروليتارية ، اى تضامن الطبقة العاملة وشيوعي كافة البلدان في النضال من اجل الاهداف المشتركة ، وتضامتهم مع نضال شعوبهم من اجل التحرر الوطني والتقدم الاجتماعي ، والتعاون الاختياري بين الاحزاب الشيوعية التي تحترم بدقة استقلال كل منها والمساواة بينها ، فنحن نعتبر ان مثل هذا التضامن الدافقي الذي كان الشيوعيون حملة الويته لاكثر من مائة عام ، يحتفظ بشكل كامل بمعزاه العظيم حتى يومنا هذا . لقد كان ولا يزال سلاحا قويا ومختبرا للاحزاب الشيوعية وحركة الطبقة العاملة بشكل عام »

وهذا ما يؤكد بقوة الخبرة التي اكتسبها كل حزب شيوعي وحركتنا في مجموعها . فخيرتها تعلمنا ان نجاح قضية السلام والاشتراكية وتقدم كافة الاحزاب الشيوعية بشكل عام وكل منها بشكل خاص لا ينفصل عن وحدة الشيوعيين ودرجة التفاعل التي يتوصلون اليها في تحقيق المهام الاممية . وهي تعلمنا كذلك ان اضعاف هذا التفاعل قد يضر ضررا بالفسا بتقدم الانفراج والنضال ضد خطر الحرب ، وكذلك بالمصالح الطبقيّة لحركة الطبقة العاملة الثورية .

ان حزبنا ، الذي ينطلق من قرارات مؤتمره الخامس والعشرين ، سيواصل العمل ببات من اجل تفاعل وتعاون اخوي اوثق بين الاحزاب الشيوعية والعمالية على النطاق الدولي ، ومن اجل مزيد من وحدة الحركة الشيوعية العالمية على اساس مبادئ الماركسية اللينينية والاممية البروليتارية

شيلي

الدور السياسي للطبقة العاملة

بقلم : جلاديس ماريينا

لم يكن تولى حكومة الوحدة الشعبية للسلطة في شيلي تطوراً قائماً على الصدفة ، أو نتاجاً لحظائري الحساب من جانب الرجعية ، كما اعتقد البعض . لقد كان انتصاراً ناتجاً عن العمل الموحد من جانب الشعب لعبت فيه الطبقة العاملة الدور القيادي ، وعن نضال طويل .

وكان ذلك عندما زاد التحالف الاشتراكي الشيوعي قوة وتشكل المركز العمالي الموحد الذي تمت تحت قيادته اغرابات ضخمة لمطالب اقتصادية وسياسية . وحارب الفلاحون بطريقة منظمة من أجل الأرض وسكان المدن من أجل السكن ، وتطورت حركة واسعة وقوية للطلبة والعناصر الأكاديمية من أجل اصلاح الجامعة ، وباستخدام اشكال جديدة ، انضم الشباب بجرأة تنمى مع سنهم الى النضال الذي تحدت اهدافه بالحاجة الى التغير الثوري . وعلى وجه الخصوص ، فقد وسعت الحريات السياسية في هذه السنوات ، واشيعت الديمقراطية في حياة البلاد وازداد النضوج السياسي للشعب . وشكل النضال السياسي وعيهم السياسي ، عندما ساندوا خلال المعركتين الانتخابيتين عام ١٩٥٨ ، ١٩٦٤ ، ترشيح سلفادور الليندي للرئاسة .

وسياسة حزبنا الصائبة في ظل حكم الديموقراطيين المسيحيين - سياسة توحيد كافة التقدميين والديموقراطيين بين قوى المعارضة وفي الحكومة ومقاومة كافة الرجعيين في الحكومة وبين المعارضة - ساعدتنا على أن نوضح للجمهور أن وعود الحكومة خادعة وأن تجذب انتباههم الى المشاكل السياسية والاجتماعية الملحة . وهذه المشاكل التي اثارت أكثر مجموعات السكان تباينا ، هي استعادة موارد شيلي الطبيعية ، واساساً مناجم النحاس الهامة بمواصلات حقوق الملكية ، ووضع حد لنظام الضياع اللاتيفوندي من خلال اصلاح زراعى بعيد المدى ، وخلق وظائف جديدة ، وانهاء التخلف واتخاذ خطوات لضمان تطور البلاد كدولة مستقلة ذات سيادة .

واصبح الاقتناع بان شيلي تحتاج الى تغييرات اقتصادية واجتماعية وسياسية بعيدة المدى جزءا من الوعي لمعظم الشيليين . ووجد انعكاسه في سياسة الاحزاب التي انضمت فيما بعد الى الوحدة الشعبية وفى مشاعر معظم الديموقراطيين المسيحيين والمستقلين .

وفي هذا الجو العاصف في اواخر ١٩٦٩ ظهرت الكتلة السياسية للوحدة الشعبية الى الوجود . وكان برنامجها يتمشى ومصالح غالبية السكان ويدعو الى تغييرات عميقة في المجتمع الشيلي .

ويرجع قيام الوحدة الشعبية اساسا الى الشيوعيين . فلقد كان للحزب برنامج سياسى يبرز الحاجة الى تحالف عريض للقوى التقدمية لى عزل الرجعية .

وقدم الحريان الاشتراكي والراديكالي والديمقراطيون المسيحيون الذين انسحبوا من حزبهم ليشكلوا حزب حركة العمل الشعبى الموحد مساهمة حاسمة لتشكيل الوحدة الشعبية .

ان انتصار ٤ سبتمبر ١٩٧٠ حققته اولا الطبقة العاملة والفلاحون الاكثر تقدما في تحالف مع القوى الثورية للبرجوازية الصغيرة الحضرية وقسم هام من الفئات الوسطى . ولتحقيق مزيد من التقدم الى الامام ، كان من الضروري تدعيم التحالف بزيادة الدور القيادي للطبقة العاملة وتعزيزه بحلفاء من مجموعات سكانية جديدة .

وارتكزت سياستنا للتحالف على دراسة عميقة للوقائع . فالسيطرة الامبريالية ووجود اوليجاركية احتكارية فى الارض تتعارض مصالحها مع مصالح الغالبية الساحقة من السكان كانت هي اساس التناقضات الرئيسية التي كان لابد من حلها في شيلي . وكانت الطبقة العاملة في حاجة الى الاتفاق مع كافة الفئات الاجتماعية التي تاترت مصالحها بالسيطرة الامبريالية

والاوليغاركية الحلية او على الاقل محايدة هذه الفئة !و تلك . وكان لدى القوى الشعبية خبرة معينة يمكن ان تساعدها في التوصل الى هذا الهدف . وقد نمت بشكل ملحوظ نتيجة للتحالف الذي شكلته التيارات الايديولوجية المتباينة - الماركسيون ، والمسيحيون ، والعقلائيون - لانتخاب الليندى كرئيس . وتطور التحالف بسرعة نتيجة للبحث المستمر عن ارض مشتركة ، مع التاكيد على ما يقيد الوحدة في النضال ضد العدو المشترك ويقوى من نضالية الشعب . وتشكلت حوالى ١٥٠٠ لجنة فرعية خلال الحركة الانتخابية .

وفي هذه الظروف ، كان من الضروري التقدم الى الامام واضعين في الاعتبار بشكل ثابت قول لينين « ان القوى عدو يمكن هزيمته فحسب يميل اقصى جهد ، وبلاستخدام الاكثر دقة وحرصا وعناية ومهارة والزاما ، لاي بل لاقبل انشقاق بين الاعداء ... والاستفادة كذلك من اى ، بل القبل فرصة لكسب حليف جماهيرى ، رغم ان هذا الحليف قد يكون مؤقتا ، متبدلا ، غير ثابت لا يعتمد عليه ومربط بشروط معينة » .

ولواصله سياسة مشتركة تجعل من الطبقة العاملة محورا وقسوة دافعة للتغير الثورى ، كان من الضروري تجميع وحدة الطبقة العاملة نفسها ثم وحدة كل العاملين باجر ، التى كان عليها بدورها ان تساهم في تشكيل تحالف قوى عريض للقوى الشعبية حول الطبقة العاملة . وارتكز هذا التحالف من الناحية السياسية على وحدة العمل بين الاشتراكيين والشيوعيين . وتطورت الوحدة النقابية بتشكيل المركز النقابى الموحد . وظهر تأثير القوى الثورية القوى على الجماهير العاملة ، عندما تأسس المركز النقابى الموحد عام ١٩٧٢ وانتخبت قيادته بالتصويت المباشر . وساندت مجموعات كبيرة من الناخبين (٣٢٥ ٪ على التوالى) النقابيين الشيوعيين والاشتراكيين ، وفاز الراديكاليون بـ ٢٧ ٪ .

ومن الناحية الاخرى ، اوضح التصويت ان الحزب الديموقراطى المسيحى لا يزال قوى النفوذ بين الجماهير العاملة « فقد حصل على ٢٥٩ ٪ من الاصوات) وانه رغم تكييف العمل التنظيمى بدرجة كبيرة ، كانت اعداد كبيرة من ذوى الاجور والرواتب لا يزالون غير منتظمين . ثم هناك العديد من المؤسسات الصناعية الصغيرة والورش الحرفية ، التى تستخدم ٣٩ ٪ من قوة العمل الصناعية ، وفقا لاحصاءات ١٩٦٧ ، ١٩٦٨ . وكان هنالك كذلك النمو السريع لنسبة العاملين باجر نتيجة لتدقيق العمل من الفئات والطبقات الاجتماعية الاخرى ، وخاصة من بين الفلاحين ، وكذلك الى تدقيق الشباب الذين يبدأون لتوهم حياة العمل ، وزادت قوة العمل القومية حوالى ٢٦ فى خمس سنوات فقط (١٩٦٦ - ١٩٧١) . وهاتان الواقعتان تطلبنا تمييز القوى فى الحركة النقابية والجهود الدوابة لتثوير الاجتماعى للذين انضموا الى صفوف الطبقة العاملة .

وخلال عملية التغيير هذه ، لم تكن مهمة سهلة أن تكسب غالبية الجماهير العاملة . وارتكت العديد من الأخطاء . ولناخذ المجال الاقتصادي ، مثلا . فقد أدت التقديرات الخاطئة في سياسة الوحدة الشعبية ، الى أن بولد بشكل خاص اتجاه نحو اتفاق تبديلي لا تناسب وامكانيات البلاد . وظهرت سياسة تحديد الاسعار مقابل مطالب اقتصاديات مغال فيها تموضت مع برنامج زيادات الاجور التي استهدفتها حكومة الوحدة الشعبية والتقلبات وبشما نصت خطة ١٩٧١ على زيادة قدرها ٤٠ ٪ (زادت عن نمو الاسعار) ، بلغت الزيادة الفعلية في المتوسط أكثر من ٥٠ ٪ . وعلى عكس السياسة التي وضعتها الحكومة ، رفعت العديد من المؤسسات الاجور حوالي ١٠٠ ، أو ٢٠٠ ، أو حتى ٥٠٠ ٪ زيادة على مؤشرات الخطة . وامتدت الرجعية على هذا التخطيط لمواصلة سياسة اشاعة عدم الاستقرار ، كما كان متوقفا فحسب . وحتى هؤلاء الذين عارضوا مطالب الجماهير العاملة على الدوام ، ساندوا الآن بحماس أكثر المطالب غير معقولة .

واحد العراقيل الأخرى بالطبع ، هو أن بعض الدوائر النقيابية التي تساند الحكومة عجزت عن أن تدرك أن الوضع قد تغير . لقد تشبوا بشعارات الماضي التي تدعو الى الاضرابات الاقتصادية . واستغفادوا من الاهتمام الذي أولته القيادة القومية الجديدة لحاجات الجماهير العاملة ، وكذلك من تخفيف أساليب أرباب الأعمال التصفية .

وتوضح التجربة أن المطالبة بظروف اقتصادية أفضل ، وغيرها من المطالب الخاصة ، التي تعبر بشكل عام عن نضال الجماهير العاملة ضد الطبقات الحاكمة يمكن أن تستغلها تلك الطبقات الحاكمة لاهدانها الخاصة اذا لم تبصر الجماهير العاملة بالوضع الشامل خلال تشكيل حكومة شعبية .

وتوضح أحداث شيلي كذلك أن الانتهازية اليمينية واليسارية يمكنهما أن ياتقيا موضوعيا في مثل هذه الظروف . وليس هذا مصادفة ، على ما نعتقد ولكنه أمر ملازم للغاية ومن الممكن أن يحدث في الظروف الحاسمة . إن المنافسة بين الاتجاهات اليسارية واليمينية المتطرفة داخل وخارج الطبقة العاملة على صياغة الشعارات المتطرفة كانت دليلا جديدا على الحاجة الى مقاومة الانتهازية .

وتبين تجربتنا أن مثل هذا الكفاح ، بدلا من أن يصنف وحدة عميل وتماسك الجماهير العاملة ، انما هو شرط لازم لوحدها ويساعد هؤلاء الذين تأثروا بالانتهازية على الانخراط في الحركة الموحدة . إن مخططات التأميرين للقيام بانقلاب ، ساعدت بشكل كبير اضرابات أرباب الأعمال في أكتوبر ١٩٧٢ ويوليو - أغسطس ١٩٧٣ ، واستندت الاتجاهات الانتهازية على العسوال

التي ذكرناها ، تركيب قوة العمل ذاتها في شيلي ، ووجود جماعات غير منتظمة ولا مبالية بالسياسة في هذه الثنية وتنفق قوة عمل جديدة لها ايدولوجيتها الخاصة . وبالإضافة الى ذلك ، ارتكبت القوى الثورية أخطاء في نشاطها بين الجماهير العاملة . وكان للانتهازية اليمينية واليسارية المتطرفة سند جماهيري معين ، قوى بما فيه الكفاية ، رغم أنه غير كبير للغاية

ولدفع العملية الثورية ، كان لابد ، الى جانب النضال الايدولوجي ضد التأثيرات الغريبة على الطبقة العاملة ، العمل على ضمان أوسع مشاركة للجماهير العاملة في الادارة الاقتصادية ، في الحكومة ، وفي نشاط كل قطاع اجتماعي . وبالتالي ، فقد طرح حزبنا مرارا مسألة سياسة الطبقة العاملة في مجرى التحولات الاقتصادية في شيلي . واعتقد أنه من المهم أن تقدم فكرة عن موقف الحزب الفعلي من هذه المسألة .

« ان معركة الإنتاج لن تكون معركة مالم تكن هناك خطط معينة ، واهداف محددة ومشاركة حقيقية للجماهير العاملة . وعندما نتحدث عن الخطط ، فإننا لانفي التقديرات غير النهائية ، ولا صياغة التنبؤات بالمقاييس المعتادة في ظل الرأسمالية . اننا نتقدم بخطط تضع مهامنا محددة وتحوي تقديرات بخصوص الإنتاج والتسويق والاستثمار والتمويل ، وقسوة العمل وإنتاجية العمل ، ومتوسط الأجور ، والصادرات والواردات ، والإجراءات الاجتماعية والثقافية ، واستخدام الفواقي . وبدون مثل هذه الخطط لا يمكننا أن نصل الى الاستقرار المنشود لرفع الإنتاجية وضمان أن تعمل مؤسسات القطاع العام لتحقيق أرباح .

« ان وضع وتنفيذ تلك الخطط لا ينبغي أن ينظر اليها كشئ بيروقراطي . بل ينبغي أن تشكل عملية تشكل فيها الخطوط المرشدة المدة وفقا لمقاييس علمي أساسا لصناعة القرارات ، مع أوسع مشاركة للجماهير العاملة . ويجب أن تحدد الخطط مهامنا جزئية شهرية ، حتى يمكن أن يفهمها كل عامل وكل تكتيكي وحتى نضمن تنفيذها . وينبغي أن تقدم مجالس الادارة تقارير الى اجتماعات العمال العامة شهريا حول التقدم في تنفيذ الخطط . وبدلا من ارباب اصحاب الأعمال ، وتقديم العمال لمطالب ، ينبغي تمهيد الطريق في القطاع العام والمختلط للانفاقات الديمقراطية حول خطط الإنتاج والأجور ، وأن توضع مشاريعها بالتعاون مع النقابات باعتبارها المدافعة عن ارادة الطبقة العاملة في دورها الجديد كقوة فائدة للبلاد تتحمل المسؤوليات الثورية والوطنية .»

وسياستنا لم تصغ فحسب وفقا لقواعد عامة . وقد بلل الكثير لوضعها في التطبيق . وسجلت مكاسب لا يتطرق اليها الشك ، مثلا ، في اليارور ، وبروجرسو للتسيج ، وماديكو ، وسوكورا ، وانمار ، وغيرها من المؤسسات

التي أدبرت بكفاءة وفقا للخطوط المرشدة العامة للحكومة ، وحيث أصبحت مشاركة العمال في الإدارة حقيقة واقعة ، وساهم ذلك في تنظيمات وتشغيل أفضل وأرباح أكبر . وجدير بالذكر كذلك أن نشير الى الجهود التي بذلت لتنظيم تشغيل الآلات ، وتخطيط الإنتاج ، والحوافز المادية ، والاستخدام المخطط للارصدة الأجنبية في القطاعين العام والمختلط .

وكانت الخطوات التي اتخذتها حكومة الهند في هذا المجال ذات مغز تاريخي اذا ما نظر اليها على خلفية وضع شيلي في ذلك الوقت . ومع ذلك ، فإننا نراها ، من وجهة نظر اليوم ، محدودة للغاية .

لقد نجحت الحكومة في اشراك الجماهير العاملة في الإدارة في العديد من المؤسسات . وخلقت قنوات توزيع جديدة وكان للنقابات كلمتها في المشاكل القومية الهامة ، وكان ذلك هاما لتقدم البلاد كما ساعد على تعزيز الوعي الاجتماعي للجماهير العاملة وادخال أشكال جديدة من انضباط العمل ليحل محل الانضباط القائم على الاستغلال الرأسمالي ، ونجحت الحكومة أكثر من أي مكان آخر حيث تحمل العمال مسؤولية أكبر في الإدارة . ولكن حيث لم يقوموا بذلك وقت الحكومة ضد مظاهر الفوضى التي أضرت بالإنتاج ، وأضعفت من هيبة الحكومة ، وهذا هو الأكثر خطورة . وحال ذلك دون أن يستخدم لصالح الشعب مزايا التغييرات البنوية المبكرة التي نفذت في البلاد . وكان لتطبيق أشكال جديدة لمشاركة العمال في الإدارة خارج النقابات بالمثل أثر سلبي ، لأنه عطل مشاركة العمال الفعلية في الإدارة وأدى الى الفكرة الخاطئة القائلة بأن النقابات يجب ألا يكون دورها مقصورا على تحديد المطالب الاقتصادية .

ومع ذلك ، فالى جانب الاتجاهات التي تقلل من مشاركة العمال في الإدارة تطورت اتجاهات عديدة أخرى ساهمت في وحدة العمال وبقتهم . والاستنتاج الذي برهنت الممارسة الثورية على صوابه ، والقاتل بأن هذه التغييرات يحتمل أن تزيد بسرعة من الوعي الاجتماعي للشعب ، قد أكدته التجربة الشيلية . ولعبت الطبقة العاملة الدور الحاسم في أوضاع كانت صعبة للغاية بالنسبة للحكومة . وخلال اضراب ارباب الاعمال في أكتوبر ١٩٧٢ والذي كان يهدف الى شل الصناعة ، وضع العمال أيديهم على الإنتاج واستأنفوه بعد ذلك بوقت قصير . وتوافرت فرص جديدة أمام الحركة الثورية رغم الصعوبات . واقنعت الحقائق العمال بأنهم أكفاء على إدارة المؤسسات بأنفسهم . ومما له دلالة أن تكوين القطاع العام كان نتيجة لأعمال ضخمة من جانب العمال . ومع ذلك ، ففي بعض الحالات، عندما قررت الحكومة نقل المؤسسات الى القطاع العام ، لم تستطع أن تفعل ذلك ، عادة لأنها لم تستطع التوصل الى اتفاق مع العمال .

واتخذت مشاركة العمال في الإدارة أشكالا أكثر تعديدا في المؤسسات

الزئمة . اما فيما يتعلق بالقطاع الخاص ، لم توجد أشكال مناسبة للمشاركة ، رغم ان العمال هناك اقاموا كذلك هيئات شبيهة بالجمعية للاشراف على الانتاج وضمان الا يتصرف ارباب الاعمال بما يتعارض مع المصلحة الوطنية .

وكان الشرط الاسمى للازم للنجاح هو التفاهم المتبادل بين الاشتراكيين والشيوعيين والعمل المشترك من قبل الوحدة الشعبية . بيد ان الافتقار الى قيادة موحدة ادى الى الحد من قوة العمال الثورية وترك مجالا لانتشار الاتجاهات الغريبة في حركة الطبقة العاملة .

ولكى تقوم الطبقة العاملة بدورها كمركز لوحدة التي تشكلت وكقوة محرك للتغيير الثوري ، كان عليها ان تعبر وتدافع عن مصالحها الخاصة وعن مصالح الطبقات والفئات التي تحتاج لان توحدها حول نفسها . وكانت المهمة الاولى هي تدعيم التحالف العمالي الفلاحي لانه لم يكن قويا بعد بما فيه الكفاية ، رغم ان سكان الريف في الستينات اصبحوا اكثر تنظيما وكان النضال في الريف يتصاعد . وكانت التفورات التي حدثت هامة للغاية .

وزاد عدد اضرابات العمال الزراعيين من ثلاثة عام ١٩٦٠ الى ٢٩ عام ١٩٦٤ ، والى ٦٩٢ عام ١٩٦٧ والى ١٥٨٠ عام ١٩٧٠ . وبعد اقرار قانون الاصلاح الزراعي ، ادركت الاقسام الاكثر تقدما من سكان الريف ان عمق العملية يتوقف ، على مدى نشاطهم . وفي ١٩٧٠ ، انتقلت ٣٦٨ ضيعة ريفية الى الذين يعملون عليها ، واساسا كنتيجة للنضال من اجل الاصلاح الزراعي .

وتحقق تغيير هام مماثل في تنظيم اسكان الزراعيين . فقد ازدادت عضوية اتحادات نقابات الفلاحين من ١٠٣٦٦٤ عام ١٩٦٩ الى ٢٧٧٨٩٥ عام ١٩٧٣ ، وكان النمو ملحوظا بدرجة اكبر في التنظيمات التي يقودها الشيوعيون او الاشتراكيون . كنتيجة لذلك كسبت الوحدة الشعبية ، وعلى الاخص الشيوعيين ، نفوذا اكبر في المناطق الريفية خلال الانتخابات العامة عام ١٩٧٣ .

وازداد التحالف العمالي الفلاحي قوة بدون شك في ظل حكم الوحدة الشعبية (وكذلك في ظل حكومة فري ، التي بدأت اصلاحا زراعيا) . وفي نفس الوقت شارك عدد اكبر من السكان الزراعيين في الشؤون القومية . واتخذت الحكومة ، وفي مقدمتها الشيوعيون ، اجراءات عديدة لمساعدة الريف ، خاصة عام ١٩٧٣ . وكانت الحملة من اجل التنفيذ الكامل للاصلاح الزراعي ، والموجهة في المحل الاول ضد ملاك الضياع الكبيرة ، هامة للغاية

لان نتائجها كان لها اثرها على كل عملية التطور الديموقراطى . فقد كانت تلك الضياع حائرا فى وجه تطور الزراعة ، وتقديم البلاد الشامل .

لكن فى الوقت الذى تحققت فيه مكاسب بعيدة المدى سوف يتضح اثرها فى المستقبل ، فان سياسة الحكومة الشعبية الزراعية لم تكن معفاة من اخطاء فى التقدير . فالحكومة لم تزود بالطعام كل المجموعات الريفية الواردة فى برنامجها . وافاد الاصلاح الزراعى اساسا العمال الزراعيين واشباه البروليتاريا . وكان هذا انجازا لكنه لم يكن كافيا . وكان من الواجب ان يشمل المستفيدون صفار الفلاحين واشباه البروليتاريين الذين يملكون قطع ارض اكبر نسبيا . وكان لابد ان يوضع فى الاعتبار مصالح كافة الفئات التى يمكنها ان تحصل على مزايا محددة من سياسة الحكومة الشعبية والتى احتشدت لمساندتها نتيجة لذلك . وقد قال لويس كورفالان فى تقريره الى اللجنة المركزية ، التى اجتمعت فى اغسطس ١٩٧٢ لمناقشة المسألة الزراعية ، « يوجد أكثر من ٢٠٠.٠٠٠ حيازة اصغر من القطع المقررة التى تبلغ مساحتها ٤ هكتارا ، ويعمل عليها مئات الالاف من الشيليين » . ولا يمكننا ان نسد حاجة البلاد اذا ما تخطينا عن انتاجهم . لقد مدت الحكومة الشعبية مساهمتها لهم على شكل قروض ائتمانية لكل ذلك غير كاف ، ولا بد من مساهمتهم على الانتظام فى تعاونيات ، ومنحهم قروضا اكبر ، وزيادة مشتريات الحكومة للمحاصيل الزراعية بشكل فعال .. وفى المحل الاول ، ضمان تامين ملكية الارض فى الواقع .

« وينبغى ان يصبح الفلاحون الصفار والمتوسطون حلفاء للعملية التاريخية التى تجرى فى شيلي . وادى امرىء يملكه موقوفه الاخرق نحو الجانب الآخر هو معاد الثورة » .

والنتائج التى يمكن ان نوجسرها الان تبين ان تلك النواقص لم يتم التخلص منها تماما بعد بآية حال . وزاد الوضع تفاقم نتيجة لزيادة شعور كثير من الملاك بعدم الاطمئنان بسبب الاعمال التى حرض عليها اليساريون المتطرفون بهدف الاستيلاء على الاراضى التى لم يشملها الاصلاح الزراعى ، ونتيجة لاستفادة الرجعية بذلك فى دعايتها . ولم تواجه الحكومة على الدوام مثل هذه الاعمال على الوجه السليم .

وكان من سوء الحظ كذلك سواء من الناحية السياسية او الاقتصادية انه فى تنفيذ الاصلاح الزراعى ، غالبا ما تجاهلت السلطات اراد الفلاحين وحاولت ان تفرض اشكالا تنظيمية من اعلى ، متخفية مراحل معينة من عملية اقامة التعاونيات الزراعية . وفى اغسطس ١٩٧٢ وضع الحزب الشيوعى حالة الامور ، فقال : « يمكننا ان نخرج ببعض الاستنتاجات من التجربة التى اكتسبناها فى هذا المجال . فلا اسيتامينتوس التى اقامهنا

الديمقراطيون المسيحيون ، ولا مراكز الإصلاح الزراعى التى اقيمت فى ظل الحكومة الحالية ترضى الفلاحين تماما .. ونحن نعتبر ان المهمة الجوهرية التى لا تحتل اى تأخير هى مراجعة كل هذه الاشكال التنظيمية وان نأخذ فى الاعتبار رأى الفلاحين ومصالحهم على وجه التاكيد ، اذ ان هذه هى الطريقة الوحيدة لكسب مساندتهم فى تنفيذ المهام الكبيرة التى تواجهنا فى الريف » .

وتلك واحدة من المشاكل التى لم تحل على خير وجه . وكانت احد النواقص الأخرى انه فى البحث من أشكال جديدة لتنظيم الانتاج والمكبة ، وركز الاهتمام كلية على القطاع الذى نقل فيه الإصلاح الزراعى . ولم تبلل محاولات جادة لتشجيع تطور الاشكال التعاونية للمكبة الأرض بواسطة صغار الملاك كما استهدف البرنامج الرئيسى لحكومة الوحدة الشعبية واستغل اليساريون المتطرفون هذه التقديرات الخاطئة . وكانت بعض تحركاتهم انعكاسا للمشاكل الحقيقية لأقسام متباينة من السكان الزراعيين ولكن الحلول التى قدموها كانت خاطئة . أن « جوع الأرض » الذى يؤثر على قسم هام من سكان الريف يتطلب اشكالا جديدة من تنفيذ الإصلاح الزراعى مع الاهتمام بمصالح كافة الفئات الاجتماعية .

وفى شىلى كما فى بعض بلدان أمريكا اللاتينية الأخرى ، كان تحقيق التفاهم المتبادل مع الفئات الوسطى الحضرية مسألة ذات أهمية متزايدة بالنسبة لسياسة الطبقة العاملة فى التحالف . ولعبت العديدة لهذه الفئات ، وبدرجة أهم ، فعاليتها السياسية المتزايدة ، دورا فى ذلك .

كان سكان الحضر يتزايدون على حساب سكان الريف . ففى ١٩٧٠ وصل سكان الريف النشطون اقتصاديا الى ٢٩٪ فقط . وتأتى الفئات الوسطى ، من الناحية العددية ، فى المرتبة الثانية فقط بعد الطبقة العاملة (بالنسبة للسكان فى مجموعهم) . وتركيب هذه الفئات غير متجانس للغاية ، لان بعضها قد تشكل نتيجة للاحتفاظ بأشكال الانتاج السابقة على الرأسمالية ، بينما تطور البعض الآخر فى ظل الطريقة الرأسمالية للانتاج .

وفى عام ١٩٦٨ ، كان حوالى ٩٤٪ من صناعة شىلى يتكون من ورش حرفية ومصانع صغيرة تستخدم كل منها حتى ٤٩ عاملا . وهذا القسم من الفئات الوسطى - الحرفيون وبعض صغار المنتجين - كانت تستغله المجموعات الاحتكارية والأوليغاركية المالية ، والتغييرات التى أحدثتها حكومة الوحدة الشعبية حررتهم من الاستغلال ، مما يعنى انه كان من الواجب عليهم أن يرحبوا بها أو على الأقل أن يتخلدوا منها موقفا محايدا . وقد نفذت كافة الإجراءات المبكرة للتغييرات البنوية فى وقت كان توائمن القوى فيه موات . ولتوطيد هذا الوضع لم يكن من الضرورى فحسب

تحويل القطاع العام المتطور الى اكثر القطاعات الاقتصادية دينامية وانما إقامة علاقات من نوع جديد مع المؤسسات الخاصة ، التي كانت تربطها بالفعل كل مؤسسة في القطاع العام ، وبخاصة عندما أصبح العديد من المجموعة الأخيرة معتمدا على السابقة فيما يتعلق بالمواد الخام .

وزاد المنتجون الصغار والمتوسطون من أرباحهم ولكنهم لم يعتبروا ذلك نتيجة للتغيرات التي حدثت في البلاد . واتضح أن كثيرين منهم في الحقيقة اشتركوا في أعمال الكسب غير المشروع وصفقات السوق السوداء (وهذه التطورات كانت تفديها سياسة الرجعية في اشاعة عدم الاستقرار) . لقد اعتبروا الإجراءات التي اتخذت للتضييق على مثل هذه الأعمال كدليل على « تقييد » نشاطهم . وقد اكنت التجربة الشيلية فكرة لينين عن أن تلك الفئات تتذبذب بين الرغبة في التخلص من أغلال رأس المال الكبير وبين الخوف من التغير الثوري .

ورغم الفرص التي أتاحت لها للنمو والنشاط ، فشلت القوى الثورية في شيلي في أن تبين أن التقدم الذي تحقق كان نتيجة للتغيرات التي نفذت . وفشلت في إقامة علاقات قوية من نوع جديد بين الدولة ، والقطاع العام والمؤسسات الخاصة . وكان الافتقار الى التفاهم المتبادل يرجع كذلك الى المالفات في إقامة القطاع العام . لقد اشترك قسم هام من البرجوازية الصغيرة وكثير من الحرفيين في اضرابات ارباب الأعمال ، وقد ضلهم شعار الرجعية الديماجوجي عن « حماية الملكية » والمطالبة « بالحرية » بينما كان الهدف الحقيقي للذين حرضوا على الاضرابات هو افساح الطريق أمام الانقلاب . وفي ظل النظام الفاشي اليوم ، الذي يقضي على نطاق واسع على صفار المنتجين ومتوسطيهم ، بل وحتى كبارهم (غير الاحتكاريين) ، من الواضح أن مصالحهم الحقيقية لم يكن يحترمها سوى الحكومة الشعبية فحسب .

والفئة الوسطى الحضرية الجديدة ، التي لا تزال في مرحلة التكوين ،

تصبح أكثر نشاطا من الناحية السياسية بالمقارنة مع الفئات الوسطى الحضرية الأخرى . ان الطلبة ، وأعضاء المهن الحرة ، والمتقنين ، وبعض ضباط الجيش الذين يمكن اعتبارهم أفراد هذه الفئة الوسطى تزداد بالمثل فعالياتهم الاجتماعية .

وقد تطور تحالف قوى العمال والطلبة ، الذين ازدادت علاقاتهم المتبادلة عمقا عندما كانت الحكومة الشعبية في السلطة . وساعدت حركة الطلبة بشكل عام الحكومة بطرق مختلفة . ومع ذلك ، كان ذلك مجرد جانب واحد من عملية معقدة أصبحت فيها مجموعات الطلبة التي تساند

المعارضة اكثر عدوانية ، ودافع كثير من المثقفين كذلك عن آراء تقدمية من حيث الجوهر . وفى ذلك الوقت وجد تفكيرهم الإبداعي تعبيرا فى أكثر الاشكال بدينا . وكان الوضع مختلفا فى تنظيمات المهنيين . فقد أصبح بعضهم أدوات لآكثر العناصر رجعية . وكان هناك بين ضباط الجيش تيار ديمقراطى ضعف عندما تدهور الوضع بكامله ، ولم يبذل هذا التيار جهدا لتقوية صلاته مع القوى التى تساند الحكومة .

وكان الصراع بين الثوريين وبين اعداء الثورة من أجل توازن موات للقوى يهدف لدرجة ملحوظة الى كسب الفئات الوسطى . بيد أن الطبقة العاملة فشلت فى خوض معركة حازمة من أجل مطالب هذه الفئات باستخدام المواقع التى تحتلها فى الحكومة .

وتدلنا التجربة على مدى أهمية أن نضع فى أذهاننا طبيعة التفيرات التى تحدث فى شيلى والميزة لثورة ديمقراطية ، حتى لا تكون هناك محاولات لتخطى مراحل ، وأن نحمل بعناية الاسهام الذى كان يمكن للفئات التى اخرجت بها التناقضات القائمة ، أن تقدمها ، وأن ندرس إمكانيات العملية الثورية التى تنتقل الى مراحل أعلى بمساندة غالبية هذه الفئات .

والسياسة الصائبة للتحالف تتضمن تفاهما متبادلا بين الوحدة الشعبية وبين الحزب الديمقراطى المسيحى ، وهو الحزب المتعدد الطبقات الذى يحتل مواقع مويه بين الفئات الوسطى ويشتمع بنفوذ كبير بين العاملين باجر ، لقد صوت الحزب الديمقراطى المسيحى مع تأكيد مجلس البرلمان لانتخاب الليندى للرئاسة ، وكذلك مع تأميم مناجم النحاس الهامة ، وهو اجراء وافق عليه البرلمان بالإجماع .

ومن وجهة نظر الحكومة الشعبية ، كان التوصل الى تفاهم متبادل يعنى التهاون ، وقد بذلت جهود محددة من أجل ذلك لكنها فشلت نتيجة للمقاومة داخل الحزب الديمقراطى المسيحى والوحدة الشعبية . فمن ناحية ، ضمت المعارضة قطاعات برجوازية وبرجوازية صغيرة لا يدفعها شيء آخر سوى الخوف من أن تدعم الطبقة العاملة من مواقعها . ومن الناحية الأخرى ، ضمت قوى يسارية اعتبرت كل المساومات تراجعا - على أساس الافتراض الرائل بأن المهمة هى الإسراع بالتفيرات الاشتراكية رغم الافتقار الى الشروط الاقتصادية والسياسية اللازمة لذلك . ومع ذلك ، فقد كانت معارضة يمكن التنبؤ بها بدقة والتخلص منها من خلال العمل الدعوب بين الجماهير .

وفى شيلى ، كما نعرف من التجربة ، فإن التوصل الى التفاهم المتبادل جعل التقدم أمرا ممكنا . واعتمد النجاح فى الجهود من أجل إقامة جبهة ديمقراطية عريضة ، لدرجة ليست بصغيرة على القوى التى كانت خارج

الوحدة الشعبية والتي اتخذت موقفا مرنا من هذه المسألة وعلى طبيعة التيارات التي تتطور بين الجماهير ، بما في ذلك الديمقراطيين المسيحيين ، وهند الإشارة الى امكانية وضرورة الممسك المشترك مع الديمقراطيين المسيحيين حددت قيادة الحزب الشيوعي النقاط التالية :

« بالتأكيد ، هناك أشياء فصلت وما زالت تفصل بين الماركسيين والديموقراطيين المسيحيين . لكن لدينا كذلك مصالح مشتركة واحد دروس التاريخ الواضحة في بلادنا أنه حينما نجحنا في التوصل الى العمل المشترك وتحقيق الوحدة حول المشكلة الرئيسية ، كانت النتيجة منافع واضحة للشعب ...

« وهذا أحد وجهي العملة . لكن هناك الجانب الآخر كذلك ، لأن الحزب الديموقراطي المسيحي حزب متعدد الطبقات غالباً ما يعبر فيه المصالح المتعارضة عن نفسها . وهذا يفسر السبب في أنه في كل مرة ارتبطت القوى المتعصبة ، مع الاحتكار ووجدت مساندة لا تقدر في مظاهر متعصبة بين القوى اليسارية التي أصبح لها الغلبة في قيادة الحزب الديموقراطي المسيحي ، كانت النتيجة انقساماً او حتى مواجهة عادت بالفائدة على المصالح والامتيازات الرجعية » .

ويقول الحزب الشيوعي بوضوح ، كما نرى ، أنه كان من الضروري الكفاح من أجل الوحدة مع كل القوى المعادية للفلاحية ، وهو يؤكد كذلك الاهمية الخاصة للنضال الايديولوجي ضد هؤلاء الذين يعرقلون أو يعارضون الجهود من أجل الوحدة . والنضال من أجل الوحدة ، الذي يلعب فيه الحزب الشيوعي دوراً ملحوظاً ، لا يتضمن التخلي عن النضال الايديولوجي . أو تناسي المهمة المركزية ، مهمة التقريب . بين المواقف بزيادة امكانيات التحالف .

وليس هناك سبب يدعو لأن تصبح الخلافات القائمة بين الحزب الديموقراطي المسيحي والوحدة الشعبية خلافات عدائية ، وخاصة اذا ما نظر الى المسألة وجهة نظر التركيب الطبقي للحزب الديموقراطي المسيحي . والذين عارضوا سياسة الطبقة العاملة في التحالف قائلوا ان الطبقة العاملة تتخلي بذلك عن دورها القيادي وسوف تكون عاجزة عن التصرف بشكل مستقل . وفي كلمات أخرى ، فقد حول الانتباه الى تناقض خيالي غير قائم . وفي النهاية ، فان الطبقة العاملة يمكنها أن تصبح قائدة ليس بمرسوم وإنما نتيجة تفاهم متبادل مع الطبقات والفئات الأخرى ، ويتوقف ذلك على مدى مواصلة نشاطها بصورة أفضل وإلى أي مدى تصبح مصالح تلك الطبقات والفئات مصالحها . ولا يتناقض ذلك مع النشاط المستقل لحزب الطبقة العاملة ، وزيادة على ذلك ، فإنه يجعل استقلالها ضرورياً ، والوحدة

داخل التحالف ترتبط بالضرورة بالنضال ، وخاصة حينما يشمل التحالف أكثر القوى تباينا .

وهذا يجعل من الضروري على حزب الطبقة العاملة أن يحافظ على استقلاله الطبقي داخل الجبهة المشتركة وأن يوسع من نفوذه الايديولوجي . وقد أكدت الفترة التي نحلها أن ذلك يمكن التوصل اليه بالاستناد بشكل ثابت الى الجماهير ، واحاطة الجماهير العاملة بالحقيقة ، ومساعدتها على التغلب على المصاعب والتوصل الى حلول صائبة . وهذا ما تعلمنا اياه خبرتنا .

ان تسمية مرشح مشترك للقوى الشعبية عام ١٩٧٠ ، وصيغة برنامج وحدة وتحديد المعايير الاساسية لنشاط الحكومة الشعبية قد تم بمشاركة الشعب النشطة ، التي لمست الفئور الحاسم في التغلب على الصعاب . ومع ذلك فإن الحكومة لم تمسك دوما بهذه المساعي . وكثير من المناقشات الجاسمة حول ما اذا كانت العملية الثورية تقاد بطريقة صائبة ام لا كانت تجري فقط « في القمة » او في دوائر محدودة للغاية . ونتيجة لذلك تزايدت الصعوبات الناجمة عن الافتقار الى قيادة موحدة ، مما وجد تعبيرا عنه مرارا في تحركات انقسامية وفوضوية بل واتجه احيانا الى شل الحكومة . ولكن في كل مرة اتجهت الحكومة الى الجماهير المساملة ابدوا قدرة كبيرة على التبعة .

والتأكيد على أهمية العمل الجماهيري لا يعنى التقليل من أهمية العمل بين القادة . وسوف يكون مضرا بقضيتنا فحسب اذا ما ميزنا بشكل مصطنع بين العمل وسط الجماهير والعمل وسط القادة .

ان ما سبق يقودنا الى الاستنتاج بان احد المشاكل الرئيسية للعملية الثورية الشعبية هي انه لم توجد قيادة ثورية متجانسة ومتماسكة . وفي نفس الوقت فالكاسب التي تحققت ترجع بدرجة كبيرة الى عملية تشكيل مثل هذه القيادة . والدور الرئيسى في تشكيلها وتطويرها لمتة الطبقة العاملة ، بسبب طبيعة العملية الثورية ذاتها ، والى الدرجة التى تفشل الطبقة العاملة في هذا الخصوص ، تجعل الامر اسهل على العدو .

ومن الواضح كذلك ان دور الحزب الشيوعى نما مع تطور الوضع الثورى والنضال من اجل السلطة .

ونحن الشيوعيين نتخذ موقفا انتقاديا ذاتيا من منجزات ونواقص العملية الثورية في شيلي كى نتعلم دروسها ، وهو ما نعتبره الشرط الضرورى لتحويل هزيمة الامس الى انتصار الغد .

ماذا عن حقوق الإنسان؟

تولى وسائل الإعلام في البلدان الرأسمالية في الفترة الأخيرة اهتماما كبيرا بضرورة احترام الالتزامات الدولية حول حقوق الإنسان والحريات الإنسانية . ويهمني أن أعرف شيئا ما عن هذه الالتزامات وما هي الحقوق والحريات التي تنادي بها ، وكيف تحترم ومن يحترمها ؟

وبصفتي فلسطينيا فأنني أدرك تماما أن شعبي قد حرم من كل حق وأنه يناضل في سبيل حريته وقد بذل في سبيل هذا تضحيات لا تحصى . كما أنني أعرف من هم حلفاؤنا ومن هم أعداؤنا في هذا النضال وعندما يزعم أي إنسان أن نضال شعبي نضال غير شرعي أو أن الاشتراكية تتجاهل القانون الدولي أو أن أصدقاؤنا ينكرون الحريات الديمقراطية لمواطنيهم ويضرب المثال بغياب « المعارضة الشرعية » في البلدان الاشتراكية ووجود « عدد كبير من المنشقين » وماشابه ذلك ، فأنني لا أملك إلا الامتناع من هذه المزاعم .

أنا لست شيوعيا - بل عامل مثقف - ولكن هذه المزاعم تبدو لي زائفة . هل يمكنكم أن تلقوا الضوء حول هذه القضية ؟

خليل سلامة « الأردن »

هذا وقد طلبنا من البروفيسور ايجور بليششسكو سكرتير الرابطة الدولية للمحامين الديمقراطيين « الاتحاد السوفييتي » والبرتو كوهين « الارجنتين » وهو صحفي له عدد من المؤلفات تتناول القضايا القانونية الاجابة عن الاسئلة التي اثارها خليل في رسالته ، وفيما يلي تسجيل للحوار الذي تم حول هذه القضية بين بليششسكو وكوهين

بليششسكو - ان المشاكل التي اثارها الخطاب ذات اهمية بالغة . فالنضال في سبيل حقوق الانسان اليوم قد اصبح جزءا من النضال في سبيل التقدم الاجتماعي والسلام والانفراج . وبشكل المفهوم الحقيقي لهذه الحقوق شيئا يشبه الحد الفاصل بين التقدم والرجعية ، وحيث انها تفسر بطرق مختلفة فاني اقترح تحديد اطار الاسئلة التي نتولى الاجابة عنها .

كوهين - انني اعتقد اننا بحاجة الى تعريف مختصر للاحكام الاساسية للاتفاقيات الدولية حول حقوق الانسان . وعلينا ان نشير الى هؤلاء الذين يقومون بتنفيذها وكيف ، وكذلك اعطاء صورة عامة من كيف تعطي تفسيرات متعددة للحريات وحقوق الانسان . ثم يتعين علينا بعد ذلك ان نفصح مرامم الدعاية البورجوازية التي اشار اليها القارئ الاردني .

بليششسكو - بمعنى بصورة خاصة التعرض لمشكلة « المنشقين » في البلدان الاشتراكية .

كوهين - اوافق . دعنا تقدم اولا فكرة عن الاحكام القانونية الدولية المتعلقة بحقوق الانسان . اوليس كذلك ؟

القوانين الدولية حول حقوق الانسان

كوهين - للتشريعات الدولية حول حقوق الانسان سجل طويل ولكنها في صورتها الحالية قد تبلورت بعد ثورة أكتوبر وبالتحديد بعد الحرب العالمية الثانية ، وذلك تحت تأثير افكار وقوى الاشتراكية والاسلام والديموقراطية والتقدم . وهذه التشريعات تشكل سفرا ضخما ولكنني سأتناول بصورة خاصة ثلاث مجموعات من المعايير المتفق والموافق عليها على المستوى الدولي . واولا وقبل كل شيء هناك ميثاق الأمم المتحدة المستمدة منه الاحكام الهامة الاهمية في هذا الشأن ، البيان الغتامي المؤتمر هيلسكي حول الأمن والتعاون في اوروبا وعدد الاخر من الاتفاقيات بين البلدان الاشتراكية والراسمالية التي تنص على عدم شرعية الحرب كأداة في السياسة الحكومية وتدمو الدول للعنينة لتسوية منازعاتها

بالوسائل السلمية ، وتؤكد حقوق الشعوب والأفراد فى السلام والحياة السلمية . واتنى اعتقد انه من الواجب التذكير دوما بهذا المبدأ القانونى البالغ الأهمية لأن كثيرا من الناس ليسوا مدركين للحقيقة بأن العيش فى سلام هو أحد الحقوق الإنسانية التى لا يمكن دحضها .

وهناك مجموعة أخرى من الاتفاقيات التى تتضمن الإعلان الدولى لحقوق الإنسان الذى أقرته الأمم المتحدة فى عام ١٩٦٦ والمواثيق حول حقوق الإنسان « ميثاق الحقوق المدنية والسياسية وميثاق الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية مثلا » وعدد من الاتفاقيات الدولية الأخرى تتضمن معايير ومبادئ عامة متصلة بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والحقوق والحريات المدنية و « السياسية للفرد . وأخيرا هناك قوانين نورمبرج والأحكام التى أصدرتها المحاكم العسكرية الدولية فى نورمبرج وطوكيو ، والمواثيق حول منع ومعاقبة جرائم الاضطهاد العنصرى وإبادة الجنس وكذلك إلغاء كافة أشكال التمييز العنصرى وعدم تطبيق قواعد السقوط بالتقادم على جرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية وكذلك الاتفاقيات الأخرى التى تحدد المسؤولية عن الانتهاك الإجرامى للحقوق الإنسانية .

بليشسكى - أود أن أؤكد أن الاتفاقيات الدولية حول حقوق الإنسان تقوم على أساس مبدأ حق الشعوب والأمم فى تقرير مصيرها (١) .

وقد حدثت إضافات وملاحق لهذه الاتفاقيات تجرم مخالفتها وتنص على الحقوق المتساوية للرجل والمرأة . واتطابقا من هنا فإن ميثاق حقوق الإنسان يتضمن الحق فى العمل والحق فى ظروف عمل مناسبة وملائمة ، والحق فى تكوين النقابات ، والحق فى الضمان الاجتماعى

(١) المادة الأولى من ميثاق حقوق الإنسان تقول :

(أ) لكل الشعوب الحق فى تقرير المصير . ووفقا لهذا الحق فإنها تحدد بحرية مصيرها السياسى وتقرر بحرية تطورها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية .

(ب) لكل الشعوب وفقا لأهدافها الخاصة الحق أن تصرف بحرية فى ثرواتها ومواردها الطبيعية دون الحاق الضرر بأية التزامات قائمة على أساس مبدأ المنفعة المتبادلة والمكتنون الدولى .

وفى جميع الحالات لا يمكن حرمان أى شعب من وسائله فى المعيشة .

(ج) الدول الموقعة على هذا الميثاق بما فيها الدول ذات المسؤولية فى إدارة المناطق ذات الحكم الذاتى والخاضعة للموصاية عليها أن تعمل من أجل تنفيذ مبدأ حق تقرير المصير وكذلك عليها احترام ذلك الحق بما يتفق مع أحكام ميثاق الأمم المتحدة .

بما فيه الحق فى التامين الاجتماعى ، وحق الاسرة بما فيها الامهات والاطفال فى الحماية والمساعدة ، والحق فى مستوى لائق من المعيشة ومستوى صحى سواء بدنى او عقلى لائق ، والحق فى التعليم والمشاركة فى الحياة الثقافية .

وتؤكد هذه المواثيق الحق فى حياة مأمونة يصونها القانون ، بما يتضمن من عدم حرمان أى انسان بصورة تعسفية من حياته . وتحرم هذه الاتفاقيات عمليات التعذيب أو غيرها من وسائل المعاملة غير الانسانية أو المهينة أو الوحشية . وتحرم أيضا العبودية وتجارة المبيد والممسل القسرى أو الاكراهى . وتطالب هذه المواثيق من الموقعين عليها ان يكفلوا حرية وأمان الانسان وأن يمنعوا التدخل التعسفى فى الحياة الخاصة للفرد أو العائلة والانتهاكات لحرمة المسكن أو لسرية المراسلات . كما تتضمن هذه المواثيق أيضا الحقوق المتعارف عليها كحقوق سياسية ومدنية الحق فى الخطابة وحق الاجتماع ، وحق التنظيم ، وحرية الرأى والضمير والتعبير وما الى ذلك . وتدين هذه المواثيق وغيرها من الاتفاقيات الدولية العنصرية والتمييز العنصرى وإبادة واضطهاد الأجناس وتجريم كل هذه الأفعال .

كوهين - بالإضافة الى ماسبق فان جميع المعاهدات والاتفاقيات الدولية تجرم النكابة للحرب ولبت الكراهية والعداوة بين الشعوب وذلك بفضل الجهود التى بذلها الاتحاد السوفيتى والبلدان الأخرى المحبة للسلام . وفوق هذا ، فان أى نظام اجتماعى مثل الدكتاتورية الفاشية والأنظمة العنصرية والأنظمة القائمة على القهر الاستعمارى أو العنصرية تعتبر - وفقا للقانون الدولى - أنظمة مخالفة للمعايير الشرعية . وفى هذه الحالة ، فان القانون الدولى يعترف بحق الشعوب فى اللجوء الى كل الوسائل لتحقيق حريتها الفعلية وحققا الشرعى فى حمايتها .

بليشيشنكو - وهذا هو السبب فى ان الحروب التى تشن كوسيلة لقائمة العدوان وكذلك الحروب الوطنية التحريرية لا تعتبر جرائم فى نظر القانون الدولى . وقد استفاد نضال الشعب الفلسطينى استفادة مباشرة فى هذا ، اذا وضعنا فى الاعتبار أيضا ان عددا من وثائق الأمم المتحدة تؤكد بصرامة ووضوح حق كل شعب فى تقرير المصير وحق الشعوب تحت سيطرة الحكم الاستعمارى فى القتال فى سبيل حريتها بكل الوسائل بما فيها استخدام القوة . « انظر - على سبيل المثال - تقرير اللجنة السادسة للأمم المتحدة » ١ - ١٨٠٩ - ٤ ديسمبر ١٩٦٩ » .

كوهين - اعتقد أننا بهذا قد أوردنا الاتفاقيات الدولية الاساسية حول حقوق الانسان بتفصيل كاف . والان دعنا نلقى نظره على كيفية تطبيقها .

لماذا لا تحترم دائما المعايير الدولية لحقوق الإنسان

كوهين - ليس بسر أن الولايات المتحدة وهي أغنى بلد رأسمالي عاجزة عن أن تكفل لـ ٨٪ من سكانها الأصحاء الحق في العمل وتكرس الحقوق المدنية والاجتماعية للغالبية العظمى من الأمريكيين الأزواج والهنود والبرتوريكو وغيرهم من القوميات الأخرى . وبالنسبة لشيلي فقد أعادت الدورة إل ٣١ للجمعية العامة للأمم المتحدة تأكيد ادانتها القوية لأعمال الخرق الفاضحة الجارية ، الآن لحقوق الإنسان . وفي السلفادور أسفرت انتخابات الرئاسة عن قيام مدبحة بعد أن تلاعبت الرجعية بالانتخابات . وهناك أعمال خرق فاضحة عديدة لحقوق الإنسان في الشرق الأوسط وجنوب أفريقيا وبلدان أمريكا اللاتينية التي تحكمها الأنظمة الفاشية أو الدكتاتورية .

ورغم أن الوضع في الأرجنتين مختلف من الوضع في البلدان المحاورة لها الحكومة بواسطة أنظمة دكتاتورية فإن خضوع اقتصاد البلاد للاحتكارات الأجنبية وكبار ملاكي الأراضي يحول دون إقامة ديمقراطية حقيقية ويولد الانقلابات وأعمال الإرهاب والكبت وعدم الاستقرار السياسي والاجتماعي . وتعد أعمال الكبت الوحشية للإرهاب اليساري المتطرف والتفاسي من أعمال الإرهاب البميني المتطرف أمثلة حية على انتهاك أبسط حقوق الإنسان ، وحقه في الحياة وهو الأمر الذي بشير قلق الرأي العام الديمقراطي في الداخل والخارج . وبرزت قضية حقوق الإنسان في الأرجنتين إلى المقدمة نتيجة لاعتقال مئات السياسيين دون اتهام أو محاكمة وبفعل أعمال الطرد والفصل لأسباب تتعلق بالنشاط السياسي والنقابي ، وأعمال الخطف اليومية والتعذيب والجرائم بالجملة ضد الشعب كله ، وضد رجال الدولة الذين ييغون نوعا من التطلع إلى طريق ديمقراطي . وتشير إلى هذا الوضع تصريحات التحليلين باسم حركة الطبقة العاملة والدوائر السياسية وحتى تصريحات جنرال جورج ر . فويلا رئيس الأرجنتين وغيره من القادة العسكريين وغيرهم من ممثلي الكنيسة الكاثوليكية .

بيد أن الممارسة الفعلية والحقيقية لحقوق الإنسان قد أصبحت قضية ملحة . ففي الأرجنتين ، مثلاً ، فإن هذه القضية تتطلب انخراط تدابير ضرورية لفتح الطريق أمام حوار شعبي غير مقيد . ولكن إجراء مثل هذا الحوار لا يمكن تصوره إذا استمرت أعمال الخطف وإذا لم تتوقف أعمال القس على الناس دون اتهام أو محاكمة ، وإذا لم تجر عملية مقرطة كاملة للحركة النقابية وإذا لم ترفع القيود على الأحزاب السياسية . كما أنه من المستحيل إجراء مثل هذا الحوار إذا لم تحل مشاكل التسهمور

الاقتصادي والديون الخارجية والطرء بالجملة والبطالة والانحدار في
الأجور الحقيقية والارتفاع المضطرد في تكاليف المعيشة .

وفي معظم البلدان الرأسمالية لا تتفق احوال النساء والشباب والأثليات
القومية مع المعايير والالتزامات الدولية المنصوص عليها في الاتفاقيات
الدولية حول حقوق الإنسان . ويدعو هذا الوضع الى تسليط البعض عما
إذا كان اقتراح بعض المحامين والقانونيين لانشاء هيئة عالية تختص بمثل
هذه الأمور مفيدا . ولكن من الصعب الموافقة على مثل هذه الفكرة
الليبرالية البورجوازية .

بليشسنگو - اعتقد أنك على حق . فان قبول هذه الفكرة معناه خرق
حق السيادة لكل دولة في ممارسة التشريع فوق أراضيها . والأوجب أن
تقوم الدول نفسها بتعديل وتطوير تشريعاتها بما يتفق مع المعايير القانونية
الدولية المقبولة منها ، وقد ارتفعت في الآونة الأخيرة نداءات قوية متزايدة
في البلدان الرأسمالية تدعو الى تكوين وكالة قانونية دولية تعمل بصورة
محكمة مليا للحقوق المدنية وتنظر في شكاوى ودعاوى الأشخاص والأفراد
وانني اعتقد أن المروجين لهذا الاقتراح يأملون من ورائه الى استغلاله
كوسيلة تسهل عملية تدخلهم في شؤون البلدان الاشتراكية وهي البلدان
التي صدقت على جميع الاتفاقيات الدولية حول حقوق الإنسان . وتحمل
الدول الرأسمالية مسؤولية اضعاف الوقت حتى لا تتحمل المسؤولية القانونية
في تنفيذ هذه الاتفاقيات ، فهذه الدول وقفت بادىء الأمر ضد توقيع
هذه الاتفاقيات والان تمتنع من التصديق عليها .

كوهين - هل يمكنك ان تكون أكثر تحديدا ؟

بليشسنگو - طبعاً - هناك كتاب جيمس جرين « الأمم المتحدة وحقوق
الإنسان » . وقد قرأت في هذا الكتاب « صدر في واشنطن عام ١٩٥٦ -
ص ٤٠ » أن الولايات المتحدة لعبت الدور الرئيسي بين الوفود التي اصرت
على قصر حقوق الإنسان على الحقوق المدنية والسياسية . ويمكن ان
تذكر أن الولايات المتحدة وبريطانيا ونظام سالازار في البرتغال وجنوب
افريقيا قد صوتت ضد مشروع الميثاق حول منع ومعاينة جريمة الاضطهاد
العنصري - واصرت بريطانيا وبلجيكا وجنوب افريقيا على استبعاد
المواد المتعلقة بحقوق الشعوب والأمم في تقرير المصير في التصرف المستقل
في ثرواتها الطبيعية . وقد حاولت الولايات المتحدة أيضا منع توقيع
الميثاق حول تحريم جميع أشكال التمييز العنصري . ووقفت بريطانيا
وهولندا وبلدان رأسمالية أخرى ضد المادة التي تجرم الحرمان التعسفي
لأي شخص من حياته .. وفي هذا الصدد عدد الوفد الهولندي الحالات

التي يمكن فيها السماح بحرمان الشخص من حياته دون محاكمة أو اتهام بحالات القتل والثورات .

أما بخصوص الامتناع عن التصديق على الاتفاقيات فقد لعبت الولايات المتحدة أيضا الدور الرئيسي في ذلك . ويقول تقرير « دراسات جامعية حول حقوق الإنسان » وهو تقرير تم اعداده بالتعاون مع اليونسكو أن الولايات المتحدة لم تصلق على أية وثيقة دولية حول حقوق الإنسان باستثناء الميثاق حول العبودية . « صدر التقرير في عام ١٩٧٥ - انظر ص ٣٥ » . وفي هذه البلاد تجرد كثير من المعاهدات الدولية في فعاليتها بفعل ما يسمى حق الاعتراض الفيدرالي ، والذي يقول ان أحكام الميثاق الدولية تنقل فقط في حالة عدم تناقضها مع تشريعات الولاية التي تتضمن الكثير من القيود على حقوق الإنسان بما فيها القيود العنصرية . وقد كشف النقاب عن هذه المناوئة المنيدة **جون فوستر دالاس** وزير الخارجية الأمريكي السابق وأب الحرب الباردة عندما قال أن الولايات المتحدة لا تنوى على الاطلاق الالتزام بالمعاهدات الدولية التي يمكن ان تفضي الى تفرات احتمالية داخلية . « انظر الى م . موسكوفيتز « حقوق الإنسان والنظام العالمي » - نيويورك ١٩٥٨ » .

كوهين - ان هذا القول من جانب دالاس اظهر الحقيقة . او ليس كذلك ؟

بليششتنكو - نعم ، انه اعتراف اضطرارى بالحقيقة بان الاشتراكية وحدها هي التي تستطيع ان تمنح الشعوب اوسع الحقوق والحريات الديمقراطية .

كوهين - بالقبض - والان دعنا ننتقل الى موضوع الحقوق والحريات كمفاهيم محددة في ظل الرأسمالية والاشتراكية .

الحقوق والحريات في ظل الرأسمالية والاشتراكية

بليششتنكو - دعنا نبدأ بتقرير الحقيقة بان النظام الرأسمالي يوفر ويضمن الحرية الحقيقية في المقام الأول لاقلية ضئيلة من المستغلين وأنه مصدر لفقدان الحرية بالنسبة للاغلبية العظمى من المستغلين . وقد اثبتت حتى أفنى البلاد الرأسمالية مجزها عن أن توفر لشعوبها الوظائف الكافية والتخزين أو التعليم وأن تحافظ على صحة الناس أو تضمن لهم شيخوخة آمنة .

كوهين - وحتى في البلدان التي كانت تعتبر لفترة طويلة مهد الحضارة

البورجوازية فاننا نشهد فيها عملية فقدان مفهوم الحقوق المدنية لمعناه الأصلي ، وتنقص أكثر فأكثر الفرص المتاحة للمواطنين العاديين لممارسة حقوقهم كمواعين . ولا تقصد بذلك أنهم لم يعودوا يستطيعون قراءة الجريدة التي يفضّلونها أو الاشتراك في اشراك ما ، وذلك لأن الديمقراطية البورجوازية مازالت تتحمل وجود هذه الحريات وغيرها التي كسبها الشعب بنضاله وإن كانت تقيم المزيد من العراقيل في طريق ممارستها . ومن الناحية الشككية فإن الناس أحرار في التعبير عن آرائهم ولكن حريتهم في التفكير تتضاءل بصورة متزايدة وهو الأمر الذي يرجع إلى أن نطاق السيطرة الاحتكارية يتزايد ويتسع ليس فقط في مجال الإنتاج بل أيضا في مجال تشكيل وتلبية احتياجات الإنسان . فالاحتكارات عن طريق استخدام وسائل الإعلام تفرض قيمها ومفاهيمها الخاصة على المواطن العادي . وتحاول أن تجعل من الصعوبة أو الاستحالة عليه أن يفكر أو يتصرف باستقلال .

بليششتوك - وعلى النقيض من هذا ، فإن الحريات في ظل الاشتراكية التي تكسب الفعالية لحقوق كل فرد تتميز بانعدام الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج وبالمساواة في مجال الإنتاج والتبادل وتكفلها أصالة هذه المساواة . ويستند المفهوم الاشتراكي لحقوق الإنسان وحرياته إلى حقيقة أن الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية المكفولة تمكن الشعب من أن يتمتع تمتعا كاملا بحقوقه السياسية والمدنية وأن يقدم مساهمة حقيقية في تقدم المجتمع . وكانت البلدان الاشتراكية في مقدمة البلدان التي اقترحت وضع مشاريع قوانين دولية حول حقوق الإنسان وتبنى هذه القوانين . وبالإضافة إلى هذا ، فقد عملت على تنفيذها بالكامل وصدقت على الاتفاقيات الدولية حول حقوق الإنسان وحرياته وجعلت منها قوانين وطنية وهو الأمر الذي اعترف به العالم أجمع .

وقد أبرزت لجنة حقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة أن نطاق حقوق الفرد التي اقتضت في الأصل على الحريات الشخصية والسياسية قد اتسعت إلى أقصى حد في البلدان الاشتراكية لتتضمن الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي تحددت بنفس دقة ووضوح الحقوق السياسية .

كوهين - انطلاقا من هذا يمكننا القول بأن الرأسمالية بطبيعتها لا يمكنها أن تكفل الحقوق المتساوية للجميع . وطالما ظلت هناك عدم المساواة فيما يتعلق بوسائل الإنتاج ، التي تقوم على أساس الملكية الخاصة فإن عدم المساواة ستظل قائمة فيما يتعلق بالحقوق الاجتماعية والسياسية والمدنية . ومن الناحية الأخرى فإن الاشتراكية هي أول نظام في التاريخ أعلن وكفل :

— التطوير الشامل لجميع الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية
للأفراد :

الحق في العمل والتعليم والراحة والترويح عن النفس والفسحمان
الاجتماعي والتي لا يمكن تصور الحرية الحقيقية بدونها .

— حق الاقتراع الشامل وغير المقيد وكذلك الديمقراطية الانتاجية
الحقة المتمثلة في شكل المشاركة العمالية المباشرة في الادارة .

— الحل العادل للمسألة القومية مما أدى الى التقدم السريع لسلك
الشعوب والقوميات .

— الحل العادل لمشكلة المساواة في الحقوق للنساء .

يليششكنو — هناك كثير من الحقوق والحريات المعترف بها عالمية
سواء التي صيغت طبقا للمعايير القانونية الدولية . او حتى صيغت
في الشكل المتطور في قوانين أكثر البلدان الرأسمالية الديمقراطية كانت
مفتقدة في التشريعات قبل ثورة أكتوبر . وقد حفزت التطبيقات القانونية
في الاتحاد السوفييتي والبلدان الاشتراكية الأخرى الجماهير لتشديدنضالها
في سبيل التشريعات الديمقراطية واضطرت المشرعين الرأسماليين الى
توسيع نطاق حقوق الشعب العامل .

واذا صادقت هذه الاستنتاجات القبول فإنه يمكننا الانتقال الى المجموعة
الأخرى من الأسئلة المتعلقة بالنقد البورجوازي السقيم للمفهوم الاشتراكي
لحريات وحقوق الإنسان .

نقد لا يمكن الدفاع عنه

كوهين — لقد تعرضنا لهذا الموضوع عند مناقشة الاختلاف بين العالم
الاشتراكي والعالم الرأسمالي في تفسير مفهوم الحقوق والحريات . ولكن
نعود الى الأسئلة التي جلت في الخطاب ، ففي الواقع فإن الأيديولوجيين
البورجوازيين بينما يبرزون أن الثورة الاشتراكية قد خلقت مجتمعا جديدا
وشريعة جديدة ونوعا جديدا من الدولة . فإنهم يزعمون أن الثورة تتناقض
مع القانون وتكرهه . ويقولون أيضا أن الدول الثورية والاشتراكية تنظر
الى القانون كوسيلة تكتيكية وتحترم أو تخرق المعايير القانونية الدولية

منعنا تشاء . ويتفق هذا الرأي من زاوية ما مع ما يعتقده اليساريون
المتطرفون بأنه يتعين على البلد الذي تنجح فيه الثورة أن تنبذ جميع
المعايير القانونية .

بليشسكنو - ان مثل هذه النظريات قلب الحقائق . نعم ، لقد حرمت
الثورة - وأنا أشير هنا الى ثورة أكتوبر في روسيا - عدة مئات أو حتى
عشرات الألوف من المستغلين من الحقوق المدنية . ولكنها منحت الملايين
وعشرات الملايين من الشعب الفقير المحروم الحقوق المدنية والاجتماعية
والاقتصادية الحقيقية .

كوهين - وعلاوة على هذا ، فان الثورة الروسية لم تحرم كل المستغلين
السابقين من حق الاقتراع . وقد اخبر لينين أحد الصحفيين الأمريكيين
ان الدولة السوفيتية بعد ثورة ٧ نوفمبر ١٩١٧ لم تطلق حتى الجرائد
البورجوازية وانها لم تطلق سراح العديد من اعضاء وزارة كيرسكي
فحسب بل اطلقت سراح الجنرال كراسنوف الذي شن صراعا مسلحا ضد
البلاشفة والشعب العامل . ولم يصبح من الحتمي الدفاع عن الثورة بكل
الوسائل بما فيها وضع قيود معينة على حقوق اعدائها الا بعد ان شنت
الطبقات المستغلة الحرب الاهلية .

بليشسكنو - ينطبق هذا ايضا على البلدان الاشتراكية الاخرى التي
حرمت بصورة كاملة جميع المستغلين السابقين من حقوقهم المدنية . وفي
الحقيقة فان الفضل يرجع فقط الى انتصار ثورة أكتوبر ونمو النفوذ
الدولي للاتحاد السوفيتي وهزيمة ألمانيا النازية ونمو قوى السلام
والاشتراكية في تمهيد الطريق أمام اعلان حقوق الانسان وحرياته
الاساسية على المستوى الدولي . وقد ضمنت بفضل جهود الاتحاد
السوفيتي المعايير القانونية الجديدة التي صاغها لينين في قالب نظري
في ميثاق الأمم المتحدة باعتبارها مبادئ للقانون الدولي معترف بها عالميا ،
وقد غيرت هذه المبادئ الجديدة - تحريم حروب العدوان والالتزام بحماية
السلام وحقوق الشعوب في تقرير مصيرها ، والغاء الاستعمار ، والمساواة
في السيادة ، والتسوية السلمية للنزاعات وغيرها وكذلك حظر اعادة
الاحتلال ، الاضطهاد العنصري والتمييز العنصري ، وتأكيد حقوق الانسان
الاقتصادية والاجتماعية - تغييرا شاملا جوهر وطبيعة القانون الدولي .
وبفضل الاشتراكية اكتسب هذا القانون محتوى ديموقراطيا عاما واصبح
قانونا للسلام والتعايش السلمى بين الدول المستقلة ذات السيادة من
مختلف الانظمة الاجتماعية ويتسم بالأصالة الحق . وبهذا اصبح هذا
القانون بخدم مصالح جميع الشعوب والتقدم الاجتماعى ، ومن أجل
هذا تخرق الامبريالية هذا القانون .

كوهين - وبما أن الشرعية الاشتراكية هي واحد من أهم المبادئ اللبينية من الدولة والتنظيم القانوني للمجتمع فإنه يمكننا أن نناقش الآن السؤال الذي طرحه خليل في خطابه عن حق المعارضة . يدعى النقاسد البورجوازيون أن غياب الأحزاب المعارضة في البلدان الاشتراكية يعنى غياب الحرية هناك . ولهذا الادعاء تأثير معين على الجماهير طالما أن هناك أحزاب شيوعية وعملية قوية في بعض البلدان الرأسمالية تقف في صفوف المعارضة بل ونجحت في بعض الحالات في احتلال مراكز هامة بلغت حد الاشتراك في الحكومة مما يعتبر مؤشرا للمكاسب الديمقراطية التي أحرزها الشعب العامل .

بليششنگو - أن وجود الأحزاب المعارضة في ظل الرأسمالية مسألة طبيعية وضرورية - حيث أن المجتمع الرأسمالي يتكون من طبقات متعادية . حقا هناك اختلافات معينة حتى في صفوف المجموعة الحاكمة ناشئة عن عدم تجانس آراء أعضاء هذه المجموعة حول مصالح طبقتهم والبلد ككل . ويمكن في هذا ، المصدر الموضوعي لوجود التعددية السياسية في الديمقراطية البورجوازية .

لا توجد أحزاب معارضة في البلدان الاشتراكية ، وفي بعض البلدان يوجد نظام تعدد الأحزاب ولكن هذا لا يعنى أن الأحزاب غير الشيوعية تمثل المعارضة حيث أنه لا يوجد في ظل الاشتراكية مستغلون أو مستغلين ولا توجد مصالح متعادية ومن ثم ليست هناك ثمة حاجة للتعبير عن هذه المصالح في صورة تكتلات سياسية متحاربة .

وفوق هذا فإن تشكيل كل دولة قد تأثر بمختلف العوامل والخصائص الاجتماعية والاقتصادية والتاريخية والقومية التي تركت بالضرورة طابعها على التركيب الحالي لكل دولة . ومن ثم يكون من الخطأ « النقل » الميكانيكى لأوضاع بلد ما إلى بلد آخر .

كوهين - وبكلمات أخرى ، فإن المطالبة بقيام أحزاب معارضة في ظل الاشتراكية لقائمة حيث توحيد وسائل الإنتاج والسلطة السياسية في أيدي الشعب العامل يعادل المطالبة بالردة الاجتماعية والجمعة إلى إلغاء النظام القائم وإعادة الاستغلال وطحن المساواة .

بليششنگو - تماما ، وهذا يفسر الحماس الذى تبديه الدعاية الاحتكارية في محاولة خلق الإحساس بأنه توجد « معارضة داخلية » في البلدان الاشتراكية ، وفى تحريض أفراد يعملون على أصابع اليد الذين يسمون أنفسهم بالناهضين للاشتراكية . أما بالنسبة لوقف المجتمع الاشتراكي من « المشفقين » فإننا يمكن أن نلاحظه في الأدانة الجماعية لهم من جانب الشعب .

بالدور الذي لا ينكر للتضامن الامعى الا اننا نستعجن ادعاءات الامبريالية
الامريكية فى الدفاع عن حقوق الانسان خارج حدودها لانها تنتهك هذه
كوهين - ومع ذلك ، فان نقاد الاشتراكية ، بمن فيهم اعضاء فى حكومات
بعض البلدان مثل الولايات المتحدة يسمون ان معاملة « المنشقين » كاشخاص
خونة لصالح بلدهم وشعبهم من جانب الدول الاشتراكية فان هذه اندول
تتصرف بطريقة غير قانونية و « تنتقص » من حقوق الانسان وحرياته .

بليششنيكو - فلنبدا أولا ببحث الجانب الاخلاقى فى الموضوع . اننا
نعرف ان لدى الحكومة الامريكية والمنتاجون والمخابرات المركزية خبرة
كاملة فى كبت الحقوق المدنية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وحرية
الشعوب . فقد حاولوا تدمير هذه الحريات فى الهند الصينية بواسطة
القنابل والنابال . وقد دفعوا ومازالوا يدفعون للقذرة العاملين فى شيلي
وباراغواى وغيرهما من البلدان . ومن الانصاف الان وقد شرع هؤلاء
« الانسانيون » فى « الدفاع » عن الحريات فى البلدان الاشتراكية
ان نسال : ضد حريات وحقوق من يشنون حملاتهم ؟ والاجابة بسيطة .
انهم يشنون الحملات ضد حق الشعوب فى البلدان الاشتراكية فى بناء
حياتهم كما يرغبون وطبقا لقوانينهم ودساتيرهم وليس طبقا لقوانين ودساتير
واشنطن . انهم يشنون الحملات ضد حق جميع الشعوب فى حياة سلمية
وهو الامر الذى يحتاج الى الانفراج والتعايش السلمى .

انه فى هذا وليس فى الانسانية الملعنة للمتحمسين البورجوازيين «الحقوق
الانسان » يكمن السر فى هذه الضجة عن « المنشقين » وعن « المعارضة
الداخلية » والادعاء بالقدرة « لارشاد الآخرين كيف تكون الحياة » والمعارلات
لفرض نظامهم فى الحكم التعسفى وانتهاك القانون ، على الاتحاد
السوفييتى والبلدان الاشتراكية الاخرى .

كوهين - ان حكام امريكا هم آخر من يستطيعون تقديم بلادهم كنموذج
لاحترام الحقوق المدنية . ان امريكا لنموذج حقاً . انها البلاد التى يسترق
فيها مرشح الرئاسة السمع على منافسه فى الانتخابات ، بلاد يمكنك ان
تؤجر فيها أحد رجال العصابات للتخلص من أحد منافسيك السياسيين ،
بلاد يوضع بها ١٤٠٠٠ شخص معظمهم من السود والهنود فى ٧٧ سجناً
فى شمال كارولينا وحدها ، بلاد حكم فيها على بنيامين شافيس بطول
الدفاع من الحقوق المدنية بـ ٣٤ عام سجن بناء على اتهام ملفق . ومن ثم
فان القاء الخطب « دفاعاً » من الحريات المدنية من هذا النوع الاخلاقى
لا يمكن وصفه . الا بالنفاق .

وقد كشف قادة الحزب الشيوعى الأرجنتينى فى بيان اخر تدحلى
الامبريالية الامريكية فى شئون بلادى تحت المستوى الزيفة « للدفاع » عن
حقوق الانسان هذا بينما تمثل المخابرات المركزية والاحتكارات العمود
الرئيسى لسيادة موجة الارهاب الوحشى . ويؤكد البيان أنه « بينما نعترف

بالدور الذى لا ينكر للتضامن الاممى الا اننا نستعجن ادعاءات الامبريالية
الامريكية فى الدفاع عن حقوق الانسان خارج حدودها لانها تنتهك هذه
الحقوق فى داخل حدودها وفى اجزاء مختلفة من العالم ؟ . واعلم
الشيوعيون الشبليون ، بدورهم ، ان اقصى ما يتوقعونه من الادارة
الامريكية الجديدة ان تضع حدا لتدخلها فى الشؤون الداخلية لشبلى
التي تتمثل فى تقديم المساعدة للنظام الفاشى .
نمرضا فيما سبق الى الجانب الاخلاقى فى الموضوع ولكن ماذا عن
الجانب القانونى ؟ هل تنتقص القوانين السوفيتية مثلا فى حرية الراى
او الاختلاف ؟

هل تنتقص الاشتراكية من حرية الراى ؟

بليششسكو - فلنتفق اولاً عما هو مقصود « بحرية الراى »
و « الاختلاف » . ان نقد النواقص هو نوع من « الاختلاف » تشجعه
الاشتراكية . ويمكن لاي شخص يقرأ الصحافة السوفيتية ان يتأكد
بنفسه من هذا . وتناقش صحافتنا أكثر المشاكل حساسية والتحديات
التي تواجه بناء الاشتراكية . ونحى القوانين السوفيتية حرية النقد
على كافة المستويات والمناقشة الواسعة لكل مشكلة اجتماعية والتي تعتبر
معايير لحياتنا الداخلية . وانه الامر مزر من جانب الحقودين فى البلدان
الرسمالية ان يضمنوا فى قائمة « المنشقين » عمالنا وفلاحينا ومنثقينا
الذين يعيشون بانتقاداتهم الى الصحف او يدلون بها فى الاجتماعات العامة
او فى اجتماعات الاجهزة الحكومية . انه الامر مزر لان هؤلاء النساس
ليسوا « بمنثقين » كما يحاول ان يصوره نقاد الاشتراكية بل مواطنون
يشاركون فى الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية لشعبنا .
وانه لمز ايضا ، كما اعتقد ، ان نطلق صفة « المنشق » على اى
شخص غير راغى لسبب او لآخر عن حياته وعلوم المجتمع لفشله الشخصى
ولسوء تقديراته . فهناك اشخاص ساخطون فى اى مجتمع ولا ينبع
سخطهم من اسباب سياسية او اجتماعية او اقتصادية بل من اسباب
سيكولوجية . ويوجد ايضا فى بلادنا اشخاص ذوى عقلية استهلاكية
وضعاف النفوس او اناس يستبد بهم الطموح والفرور بواهبهم وقدراتهم
كما هناك اناس واقعون ضحية للوهم بانه قد اساء اليهم فى هذا الوقف
او ذاك ، وهم يلومون الدولة السوفيتية على تخلفهم ولكن الدولة
انسوفيتية لا تعتبرهم مناهضين لها فهي تعمل على معالجة نواقصهم والاخذ
بيد من سقط منهم وتساعد الضعيف على ان يجد مكانه فى الحياة .
ولا يفوتنا القول بهذه المناسبة ان نقادنا لا يدلون اى اهتمام بمصر امثال
هؤلاء « المدافعين عن الحقوق » حاملما بهاجرون من الاتحاد السوفيتى .
وليس من قبيل المصادفة ان كثيرا من المهاجرين لا يجدون اعمالا او
يعيشون فى فقر او حتى يقيمون فى مصحات عقلية . وليس من المصادفة

أيضا أن السفارات السوفييتية تتلقى خطابات كثيرة من « أبطال الدفاع من حقوق الإنسان » السابقين يطالبون فيها بإعادة السماح لهم بالعودة للاتحاد السوفييتي وذلك بعد أن لمسوا بأنفسهم ماهية الحياة والحريات الرأسمالية .

كوهين - ماذا عن « المنشقين والساخطين العديدين » الذين تحدثت الدعاية الرأسمالية عن وجودهم في الاتحاد السوفييتي وعن حقوقهم المهددة المزومة ؟

بليشمنكو - يوجد منهم عدد يعد على أصابع اليد وحتى هذا العدد متناثر الاتجاهات . فهو يشغل هؤلاء الذين غرر بهم ونحن - من جانبنا - نرغب في الحوار مع مثل هؤلاء الناس وأن نبين لهم خطاهم ومثل هذا الحوار مثير . فقد تخلى كثيرون من هؤلاء الذين كانت لهم آراء معادية للسوفييت لسبب أو لآخر من أفكارهم الخاصة ونفضوا عن كاهلهم تأثيرات الأيديولوجيات الغربية . أما بالنسبة لحالة سولجنيتين ويوكوفسكي وآملريك وغيرهم من الكلاب المسعورة المعادية للشيوعية فأمرهم مختلف

ونحن نعرف أيضا أن المزامم « بخرق حقوق الإنسان » في البلدان الاشتراكية تأتي في الغرب أيضا من جانب بعض التقدميين بمن فيهم هؤلاء الذين يقفون مع الاشتراكية من ناحية المبدأ . وسنتعرض على الفور لهذا الاتجاه . بصورة عامة لابد أن نضع في أذهاننا أنه بينما توفر الديمقراطية الاشتراكية للفرد أقصى الحقوق والحريات إلا أنها ما زالت نظاما اجتماعيا في طريق التطور والاكتمال كما يتضح ذلك في مشروع الدستور السوفييتي الجديد المعروض على الشعب للمناقشة . ولكننا نرفض - ونحن نطور الديمقراطية - المفهوم المجرد عن الحرية غير المقيدة التي لا يمكن أن تفضي إلا إلى الفوضى . فهناك قيود معينة لا مناص منها ولا بد أن يكون للفرد التزامات معينة إزاء المجتمع . ولقد أدرك حتى الرومان هذه الحقيقة - فهم كانوا يرددون « الحرية هدف كل قانون » ولكن « هناك حدودا لكل شيء » . فالقانون هو الذي يحدد بصورة رسمية معيار الحرية الفردية والحرية الاجتماعية . وقد أشار ماركس إلى أن « الحرية في دولة ما تتواجد في شكل قوانين .. ومجموعة المبادئ القانونية هي التي تجعل الحرية » . ففي الاتحاد السوفييتي تعتبر جرائم المعادية للحرب والمعدمية والمنصرة أو النزعة العسكرية ، وكذلك تعتبر الأفعال وأعمال الإثارة الهادفة إلى تقويض أو إضعاف النظام الاجتماعي السوفييتي أفعالا تنتهك القانون السوفييتي . وعندما ترتكب الأفعال من هذا النوع بتعمد وبثأيد من الدول أو المنظمات الخارجية أو من أشخاص يعيشون في الخارج فإنه يصبح من واجب المجتمع أن يدافع عن نفسه . اتنا على يقين بأننا إذا كنا لا نرغب في التخلي عن موقفنا الطبقي

او في خرق قوانيننا الخاصة فانه يتعين علينا الا نسمع بحرية العمل
في داخل بلد اشتراكي لاعطاء الاشتراكية ولاعطاء الحريات والحقوق التي
منحتها الاشتراكية للعلايين من الشعب العامل .

كوهين - في الحقيقة ان الاعلان العالمي حول حقوق الانسان يتحدث
عن التزامات ازاء المجتمع ويحدد الشرعية بمفهوم ان القانون يمكن ان يقيد
حقوق وحريات الفرد فيما يتعلق بالاعتراف واحترام حقوق وحريات
الاعضاء الآخرين في المجتمع ولضمان مستوى معين من الاخلاقيات والنظام
العام والرعاية العامة . ولكن يحدث أحيانا ان تثار الاعتراضات على
وضع مثل هذه القيود من زاوية القانون الدولي .

بليشيشنكو - هذه الاعتراضات لا اساس لها . فقد اشارت ندوة الامم
المتحدة حول حقوق الانسان التي عقدت في قبرص عام ١٩٦٩ الى ان
الاشخاص الذين يعيشون معا في مجتمع منظم عليهم ان يتقبلوا قيودا
معينة على حقوقهم لانه يجب موازنة حقوق الفرد مع مصالح المجتمع
وفي هذا الصدد فان المواثيق الدولية حول حقوق الانسان تجيز وضع
قيود قانونية معينة على عدد من الحريات الواردة فيها . ومثل هذه
القيود من هذا النوع تضمنها جميع الدول . وبحضرتي في هذا المجال
ان القوانين في بلجيكا تعاقب بـ ٥ سنوات سجن وبغرامة تصل الى ٢٠
الف فرنك للشخص الذي يقوم بنشاطات او دعايات تستهدف زعزعة
ولاء المواطنين للوطن اذا استعان في ذلك بأموال من الخارج .

كوهين - اود الاشارة الى التعارض الكامل بين القيود التي تفرضها
القوانين الاشتراكية والقوانين الرأسمالية بالرغم من التشابه الخارجي
بينها . فالقانون البورجوازي يفرض هذه القيود لحماية مصالح النظام
الرأسمالي والاقلية المستقلة بينما يضعها القانون الاشتراكي لحماية
مصالح الشعب العامل وكل المواطنين ضد انتهاكات وتمديدات بعض الافراد
وبهذه الصورة تكون قد اجبتنا عن سؤال المواطن الاردني خليل حول
حقوق الانسان من يدافع عنها وكيف ، وكذلك سؤاله عن الحقوق
الانسانية في ظل الرأسمالية والاشتراكية .

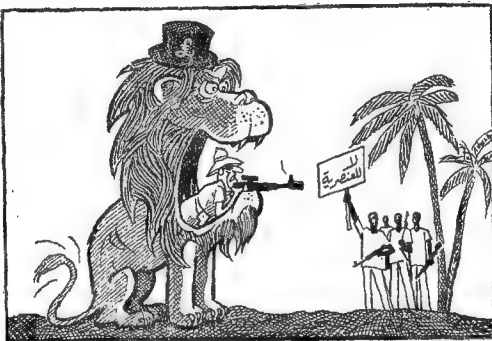
بليشيشنكو - انني اتفق معك تماما في هذا . ولكنني ارى انه يتعين
علينا ان نستخلص استنتاجات محددة . وبمعنى ان تؤكد ان الجوهر
الديمقراطي العام والشامل للمعايير القانونية الدولية كان نتاجا للنضال
التصاعدي للشعوب من اجل الديمقراطية وحقوق الانسان وحرياته
وفي سبيل السلام والتقدم الاجتماعي وان هذا النضال يلعب دورا متزايدا
في هذا المجال .

كوهين - اظن انه بإمكاننا صياغة الاستنتاج الثاني فى الكلمات التالية
يستخدم الامبرياليون الأكلوية المقصوغة عن « خرق » حقوق الإنسان
وحرياته فى الاتحاد السوفييتى والبلدان الاشتراكية الأخرى كسلاح
سياسى ضد الحركة الجماهيرية المتصاعدة من أجل الحقوق الديمقراطية
الحقيقية للغالبية الشعب . أن الحملة حول « انتهاكات » حقوق الإنسان
ماهى إلا واجهة دعائية تختفى وراءها الدوائر الامبريالية الرجعية وخاصة
فى الولايات المتحدة التى تحاول تغطية دورها كالكريزة الأساسية
للانظمة افغانسية . وكذلك تستخدمها الدوائر الامبريالية الرجعية فى محاولة
منها لصرف أنظار الرأى العام عن المفهوم الاشتراكى والتقدمى لحقوق
الإنسان وحرياته وللتقليل من جاذبيتها فى أنظار الغالبية من الشعب
العامل وكذلك لصرف الأنظار عن التصف البوليسى والانتهاكات لحقوق
الإنسان وحرياته فى العالم الرأسمالى .

بليششنيكو - وهناك أيضا أهداف سياسية وإيدولوجية أخرى لهذه
الحملة . تعتقد المجموعات الامبريالية العدوانية أن الهجوم على النظام
السائد فى البلدان الاشتراكية والتدخل الفاضح فى شئونها - بمسا
يتناقض مع جميع المعايير الدولية - سوف يؤدى الى تقويض المناخ
الدولى السياسى والقانونى المناسب الذى ظهر مع الانفراج . وهذا فى
اعتقادى هو الاستنتاج الثالث الذى يمكن أن نخرج به .

كوهين - بالنسبة للماركسيين - اللينينيين ولكل إنسان يريد تفسير
المجتمع وفق خطوط اشتراكية فإن مقياس الحرية هو الحرية الممنوحة
للطبقة العاملة وغيرها من فئات الشعب الكادح ، وأن النضال فى سبيل
الديموقراطية ماهو إلا جزء هام من النضال فى سبيل الاشتراكية . ولم
فإننى اعتقد بضرورة أن نوضح دائما بأن التأكيدات حول انتهاكات حقوق
الإنسان وحرياته فى البلدان الاشتراكية خاطئة بفض النظر عما إذا كانت
ضادرة عن اعتبارات طبقية أو تنبع من فهم خاطئ أو معلومات مضللة .
ويجب علينا ألا ننسى أن العداء للسوفييت والعداء للاشتراكية والعداء
لشيوعية يشكل عقبة أمام النضال فى سبيل حقوق الإنسان فى تلك
البلدان التى يجرى خرقها فيها . ومن ثم فإن العمل التوضيحي والحجج
الرصينة تساعد الحركة العاملة من أجل السلام والديموقراطية والتقدم
الاجتماعى فى كسب قوى جديدة وكذلك تساهم فى توطيد وتعبئة
الجماهير فى النضال فى سبيل هذه الأهداف .

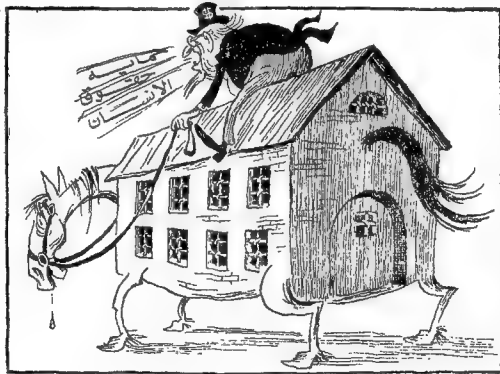
● کاریکاتیر ●



ف. فوکوفے

موقع دفاعی لڑائی سمیٹ

●●●



م. ایلیموفے

جواد مفضل

قاسم أمين وتحرير المرأة

بقلم: د. محمد عامر

(... هناك تلازم بين الحالة السياسية والحالة العائلية ... فشكل

الحكومة يؤثر في الآداب المنزلية ، والآداب المنزلية تؤثر في الهيئة

الاجتماعية ... على الفرق نجد المرأة هي رق الرجل ، والرجل في رق

الحكومة ... وحيثما تتمتع النساء بحريتهن الشخصية يتمتع الرجال

بحريتهم السياسية ، فالحالتان مرتبطتان ارتباطا كلياً .

والفكار المرأة الغربية الى الاستقلال بكسب ضروريات حياتها هو

المسيب الذي جر ضياع حقوقها ، فقد استأثر الرجل بكل حق ، ونظر

اليها نظره الى حيوان لطيف ، يكفيه لوازمه كي يتسلى به)

قاسم أمين



هدى شعراوي تخطب في المؤتمر الثاني عن قضية فلسطين « ١٥ - ١٠ - ١٩٢١ » .
« وفرغت المرأة وجودها في العمل السياسي منذ ثورة ١٩١٩ »

ان التعميم في الحكم على الميراث العربي والشرقي فيما يتعلق بحقوق المرأة والنظرة اليها وتقييم دورها في المجتمع وعلاقتها بالرجل . ذلك الميراث الذي واجهه قاسم أمين ومعاصروه عندما فكروا في دخول هذا الميدان من ميادين الاصلاح الاجتماعى .. ان التعميم في الحكم على هذا الميراث هو خطأ ، وخطأ كبير ..

ذلك أن تراث العرب والشرق قد اشتمل على تيارين رئيسيين تمايزا الى حد كبير في هذا الموضوع .. فحيثما كانت هناك حركات فكرية عقلانية أو ثورية أو تقدمية ، وجدنا للمرأة في صفوفها دورا ملحوظا ، نسبيا ، ووجدنا في فكر هذه الحركات والتيارات حديثا مشوبا بالكثير من الاحترام للمرأة ودورها في الحياة .. نجد ذلك عند المعتزلة ، والخوارج ، وبعض فرق الشيعة ..

وحيثما كانت السيادة للفكر المتخلف ، والمهام الاولى للحركات الفكرية هي التبرير لمظالم الحكم واضفاء الشرعية على تصرفات المستبدين بالسلطة كان الاحتكار للمرأة ، والنظر اليها كسلعة من سلع المتعة ، ومخلوق جميل وضعيف قد خلقه الله كي تتزين به القصور ويستمتع به الرجال ! ..

ولما كانت الغلبة والسيادة ، ان في الزمن طولا او في الصوت قوة وعلوا ، كانت من نصيب ذلك المفهوم الثاني والتقييم الاخير ، فلقد اصبحت ألوان

تراثنا الفكرى مليئة بكل ما يحقر المرأة ويفض من شأنها ، ورسخ ذلك فى فكرية المجتمع الشرقى ، خصوصا بعد أن طال ليل العصور « المملوكية - العثمانية » ، حتى لقد غابت من الميراث الفكرى الذى كان الناس يتداولونه أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر تلك القسمة الأخرى فى تراثنا ، التى تنصف المرأة وتضع اعتبارا لدورها الإيجابى فى الحياة ..

ومن هنا نستطيع أن نتخيل : أى ميراث فكرى كان يطالعه جيل قاسم أمين عن المرأة وحظها من الحرية ونصيبها من المساواة ؟! .. وهذا التخيل أمر ضرورى ، لا لتقييم العمل الفكرى والتطبيق الذى بدله وأنجزه قاسم أمين ، فى ذلك الميسدان ، التقييم الذى يستحقه فحسب ، بل ولادراك : لماذا كانت أحلام قاسم أمين وجيله فى هذا الميسدان متواضعة جدا ، عندما تنظر لها الآن فى ضوء ما أنجزته حركة تحرير المرأة فعلا ، فضلا عن الآمال التى ما زالت تسعى فى سبيل تحقيقها على هذا الدرب الطويل ؟!

ونحن نستطيع أن نكشف ملامح تلك الفكرية المتخلفة التى ورثها ذلك الجيل ، فى هذا الموضوع ، بالإشارة الى نصين يعبر كل منهما عن فكرة وموقف حددهما المجتمع من المرأة ..

اولهما : يعبر عن المقولة القائلة بأن موت المرأة خير من حياتها ، وأن يطن الأرض أكرم لها وللحياة من ظهرها !! .. ويعبر عن هذه المقولة أبو بكر الخوانزمرى (٩٣٥ - ٩٩٢ م) .

عندما يكتب الى رئيس « بهراء » معزيا فى وفاة ابنته ، فيقول :
« ... ولولا ما ذكرته من سترها ، ووقفت عليه من غوايب أمرها ، لكنت الى التهنة أقرب من التمزية ! فان ستر الموريات من الحصنات ، ودفن البنات من المكرمات ! ونحن زمان اذا أقدم احدا فيه الحرمة ، فقد استكمل النعمة ، واذا زف كريمة الى القبر ، فقد بلغ أمنيته من الصور ! قال الشاعر :

ولم أر نعمة شملت كريمة كنعمة عورة سترت بقبر
وقال آخر :

تهوى حياتى وأهوى موتها شغفا والموت أكرم نزال على الحرام
وقال آخر :

وددت بنيتى وودت آتى وضعت بنيتى فى لحد قبرى

وقال آخر :

ومن غابة الجسد والمكرمات بقاء البنين وموت البنات

وقال آخر :

سميتها اذ ولدت : تموت والقبر صهر ضامن وييت !! (١)

وثانيهما : اى ثانى النصين - هو المبرر عن سيادة المجتمع الانفصالي ، وصرامة هذا الفصل بين الرجال والنساء .. ويعبر ابو الصلاء المعري (٩٧٢ - ١٠٥٧ م) عن هذه المقولة عندما يقول :

اذا بلغ الوليد لديك عشرا فلا بد على الحـرم الوليد
وان خالفتني وأضمت نصحي فانت ، وان رزقت حجي ، بيد
الا ان النساء جبال غي بهن يصيع الشرف التليد (٢)

تلك كانت مواريث الفكر ، من المرأة ، التى واجهها قاسم امين وجيل قاسم امين . ومن ثم فنحن نستطيع ان نبصر عمق قاسم امين عندما ربط بين تخلف المرأة وعبوديتها وبين سيادة النظم المستبدة ، في فترات طويلة ، حياة الشرق ومجتمعاته .. فلا الاسلام ، ولا طبيعة الاشياء ، ولا خصائص ضعف المرأة وقصورها ، هي التى ميزت بين الرجال وبين النساء وفُسمت شئون الحياة بينهم تلك القسمة غير العادلة ، وانما هو الاستبداد الذى جعل من المرأة احدى فرائسه ، فكلها بالقيود والاغلال .. ومن ثم فان تحررها مرتبط بتحرر الرجل من الاستبداد ، اى بتحرر المجتمع ككل .. وهو يعبر عن هذه الفكرة الهامة عندما يتحدث عن « ان مبدا تشكيل الحكومة كان على صورة العائلة ، والحكومة التى تؤسس على السلطة الاستبدادية لا ينتظر منها ان تعمل على اكتساب المرأة حقوقها وحريتها .. فهناك تلازم بين الحالة السياسية والحالة العائلية في كل بلد ففي كل مكان حظ الرجل من منزلة المرأة وعاملها معاملة الرقيق حظ نفسه وافقدها وجدان الحرية ، وبالعكس ، في البلاد التى تتمتع فيها النساء بحريتهن الشخصية يتمتع الرجال بحريتهن السياسية ، فالحالتان مرتبطتان ارتباطا كلياً .

وان لسائل من يسأل : اى الحالتين اثرت في الاخرى ؟ نقول : انهما متفاعلتان ، وان لكل منهما تأثيرا في مقابلتها ، وبعبارة اخرى : ان شكل الحكومة يؤثر في الازاب المنزلية ، والاذاب المنزلية تؤثر في الهيئة الاجتماعية

انظر الى البلاد الشرقية ، نجد ان المرأة في رق الرجل ، والرجل في رق الحاكم ، فهو ظالم في بيته مظلوم اذا خرج منه ! ثم انظر الى البلاد

(١) (الهلال) تايين قاسم امين . انظر مقدمة ناظر (اسباب وتاثير) لقاسم امين ص ٤ ، ٥ .
(٢) المعري : (لزوم ما لا يلزم) ج ١ ص ٢٤٧ . لحاقيق امين عبد العزيز الخالجي - طبعة القاهرة سنة ١٩٢٤ م .

الأورباوية ، تجد أن حكوماتها مؤسسة على الحرية واحترام الحقوق الشخصية ، فارتفع شأن النساء فيها الى درجة عالية من الاعتبار وحرية الفكر والعمل ! » .

وحقيقة أخرى على جانب كبير من الأهمية ، والعمق أيضا ، وعاما قاسم أمين ، عندما أدرك أن افتقار المرأة الى « الاستقلال الاقتصادي » ، وبعدها عن ميادين العمل المنتج في المجتمع جعلها تابعة وخاضعة لمن يسد رمقتها ويضمن لها مقومات الحياة وضرورتها .. وأدراك قاسم أمين لهذه الحقيقة هو امتداد للمنهج الاجتماعي الذي استخدمه في دراسة المجتمع وتفسير التاريخ .. وهو يعبر عنها عندما يتحدث عن عمل المرأة ودوره في تحريرها، إذ لو تبصر المسلمون لملوا أن أغلاء المرأة من أول واجب عليها ، وهو التاهل لكسب ضروريات الحياة بنفسها ، هو السبب الذي جر ضياع حقوقها . فإن الرجل لا كان مسئولاً عن كل شيء استأثر بالحق في التمتع بكل حق ، ولم يبق للمرأة حظ في نظره إلا كما يكون لحيوان لطيف يوفيه صاحبه ما يكتفيه من لوازمه تفضلا منه ، على أن يتسلى به ! » (١) .

ذلك هو الميراث الفكري ، المعبر عن الواقع العملي ، أي وجهها العملية الجسدية لوضع المرأة في المجتمع الشرقي عندما نادى بتحريرها قاسم أمين وذلك هو تقيمه للأسباب الجوهرية لذلك الوضع المتخلف الذي كانت عليه النساء في مجتمعه الذي عاش فيه ..

ونحن نستطيع ، دون تفصيل يطيل بنا الحديث ، أن نستدعي الى الأذهان صورة امرأة ذلك العصر ، كما رآها قاسم أمين ..

فهى ، اجتماعيا ، لا وجود لها ، لعزلتها عن المجتمع وقبوعها خلف جدران الحريم .. وكما يقول قاسم أمين : فإنه « ليس بين الأمهات إلا عدد قليل جدا يعرف القراءة والكتابة ، وليس واحدة لها المام ، ولو سطحي ، بمقدمات أى علم من العلوم أو فن من الفنون ، وهى فوق ذلك جاهلة بكل أحوال الدنيا ، ولا تدرى شيئا من المعاملات والتجارة ولا من نظمات وقوانين البلاد التى تسكنها ، فضلا عن الإلمام بأى شيء من أحوال البلاد الأخرى ، وهى مع رفيقاتها من النساء عالم مستقل بذاته لا يجمعه بعالم الرجال فكر أو عمل ، وأمة داخل الأمة لها أخلاقها ومبادئها ومعتقداتها . وفى الحقيقة : أنهم آثار عتيقة لأجيال مضت ، وبقيت أزمدة بعيدة .. باقيات على ما كن عليه فى تلك الأوقات ! » (٢) .

(١) قاسم أمين : (تحرير المرأة) . فصل : (تربية المرأة) .
(٢) قاسم أمين : (أسباب ونتائج) . مقال : (الأمهات والتربية) .

ولم يكن حال المرأة داخل المنزل بالخير كله ، فلم تكن ، كما قد يتوهم البعض ، ملكة لملكة المنزل ، وإنما كانت مخلوقا ضعيفا قد أعد ويعد للاستمتاع أولا وقبل كل شيء .. ومن حالتها المعنوية هذه يقول قاسم أمين :

« وأما من الناحية المعنوية ، فهي - (أى المرأة) - مخلوق متكامل ، ذات طبيعة تأملية ، وبعيدة عن الفاعلية ، تكثر الحديث والضحك ، تحب دينها ، ولكنها لا تمارسه ! ليس لها مثل أعلى ، وتناقم مع الحياة الواقعية ، وهى زوجة نموذجية ، وأم حانية ، لكنها محدودة المواهب فى التدبير المنزلى ! » .

فهى مخلوق ذلت مواهبه وإمكاناته من طول تعطلها وحرمانها من التدريب على ممارسة ما خلقها له الخالق سبحانه ! .. ولقد بقيت لها من هذه المواهب والإمكانات ما كان متعلقا منها « بالشكل » ، فهى على قدر لا بأس به من الجمال « يتجلى على وجه الخصوص فى نسب أعضائها ، ومتانة الجسد وتماسكه ، كم تنتشى العيون التى تنطلع الى فلاحه جميلة تمشى مستقيمة بارزة النهدين مثقلة القوام ممثلة العينين بالاحلام ، طويلة تقريبا ، فى كفها وقدميها دقة رائعة ! .. أما ما تتميز به حقا فهو عيناها الواسعتان السوداوان الحائيتان حتى ليحسبها المرء عيني « ملك » ، والعبرتان ، حتى ليفهمهما المرء قبل أن يتحدث هى ! » .

وعلى عظم الضجة وضخامة الرفض اللذين قولت بهما صيحات قاسم أمين ، فإن مطالب الرجل كانت متواضعة ، بل شديدة التواضع ، إذا ماقيست بما يجب لتحرير المرأة حقا من انجازات وأصلاحات . ولكن هذه المطالب كانت تمثل ثورة حقيقية وتغيرا جذريا فى فكر المجتمع وأعرافه . بالقياس الى واقع المرأة الذى أشرنا الى الملح العام من ملامحه ..

• **ففى التعليم :** لم يطلب قاسم أمين مساواة المرأة بالرجل فى جميع مراحلها .. بل طلب لها فقط المساواة به فى التعليم الابتدائى !؟ .. وعبر عن مطلبه التواضع هذا عندما قال :

« .. ولست ممن يطلب المساواة بين المرأة والرجل فى التعليم ، فذلك غير ضرورى ، وإنما أطلب الآن ، ولا أتردد فى الطلب ، أن توجد هذه المساواة فى التعليم الابتدائى على الأقل ، وأن يعنى بتعليمهن الى هذا الحد مثل مايعتنى بتعليم البنين » .

وهو لا ينسى فى حديثه عن تعليم المرأة أن يميز بين التعليم الجساد الذى يطلبه لها ، وهو الذى يصبح فى حياتنا قوة تغير سلبيتها فتجعلها

أجابية ، ويطورها بتطوير مجتمعا ، وبين ذلك التعليم الذى ليس له من التعليم سوى المظهر والقشور .. ولذلك فهو ينتقد ما كان موجودا يومها من « تعليم » نتقاء المرأة ، كى تقل به « متعة » أكثر جودة ! .. فيقول :

« .. أما ما يتعلمه بعض البنات الآن فإراه غير كاف ، لانهن يتعلمن القراءة والكتابة بالعربية وبلغة أجنبية ، وشيئا من الخياطة والتطريز ، والموسيقى ، ولا يتعلمن من العلوم ما يستغنين منه فائدة يلتفت اليها ، وربما زادهن تلك المعارف غرورا بأنفسهن ، فتظن الواحدة أنها متى عرفت أن تقول : نهارك سعيد ، بالغة الفرنسية ، فقد فاقت أترابها ، وارتفع شأنها ، وسما عقلها ، ولا تتنازل بعد ذلك لأن تشتغل بعمل من الأعمال المنزلية ، فتقتضى حياتها في تلاوة أقاصيص وحكايات قل ما تفيد إلا في إثارة صور من الخيالات تطوف بها وتمثل لها عالما لطيفا .. تفرح فيه طرفها وهى شاخصة الى دخان السجارة التى تقبض عليها ! .. أكثر ما تعرفه المرأة ، التى يقال الآن أنها متعلمة ، هو القراءة والكتابة ، وهذه واسطة من وسائل التعليم وليست غاية ينتهى اليها ، وما بقى من معارفها فهى قشور تجمعهما الحافظة في ريعان العمر ثم تنفقت منها واحدة بعد واحدة حتى لا يبقى شيء . أين هذه القشور من الطفاق الصلبة التى يجتلى منها العقل ويتقوى على مطاردة الوهم ؟ » (١) .

ذلك هو حال تعليم من كن يتعلمن يومئذ من البنات .. وهذا هو رأى قاسم في هذا التعليم .. ومطلبه في تعليم النساء ..

♦ وفي الحجاب : لم يطلب قاسم سفور المرأة على النحو الذى كان عليه أمرها في أوربا يومئذ ، ولا على النحو الذى وصل اليه أمرها هذه الأيام .. وهو كذلك لم يطلب إباحة خلوة المرأة الواحدة بالرجل الواحد ، وهو غريب عنها ، ليس يحرم لها .. وإنما طالب فقط بكسر أسوار عزلة المرأة من المجتمع ، وتحريرها من الحجاب المعوق لها من العمل وممارسة وظائفها العامة والطبيعية والضرورية ، وجبذا الوقوف بالحجاب عندما هو شرعى . منه وفق آراء الفقهاء ، ونادى بالاختلاط الذى تحتمه ضرورات العمل ومقتضياته في معترك كسب الرزق والحياة .. وعن هذا المطلب المتواضع يقول :

« ربما يتوهم ناظر اننى أرى الآن رفع الحجاب بالمرة ، لكن الحقيقة غير ذلك ، فأننى لا أزال أذاع عن الحجاب ، وأعتبره أصلا من أصول الأداب التى يلزم التمسك بها ، غير أنى أطلب أن يكون منطبقا على ما جاء فى

الشريعة الإسلامية ، وهو على ما في تلك الشريعة يخالف ماعارفه الناس عندنا ، لما مرض عليهم من حب المغالة في الاحتياط ، والمبالغة فيما يظنونونه عملا بالاحكام ، حتى تجاوزوا حدود الشريعة وأضرروا بمنافع الأمة .

والذى أراه في هذا الموضوع هو أن الفريين قد غلوا في إباحة التكشف للنساء الى درجة يصعب معها أن تتصون المرأة من التعرض لمشارت الشهوة ، ولا ترضاء عاطفة العياض ، وقد تفالينا نحن في طلب التحجب والتخرج من ظهور النساء لعين الرجال حتى صرنا المرأة أداة من الأدوات أو متاعا من المقتنيات ، وحرمانها من كل الزايا العقلية والادبية التى أعدت لها بمقتضى الفطرة الانسانية ، وبين هذين الطرفين وسط ، هو الحجاب الشرعى ، وهو الذى أدعو اليه .. « (١) » .

والحجاب الشرعى هو كشف المرأة وجهها وكفيها عند كل الفقهاء ، وأجزاء أخرى من بعض أطرافها الاخرى ، عند نفر منهم ، كما تحدث عن ذلك قاسم أمين ..

♦ وفى العمل : تدرج موقف قاسم أمين وترقى تبعا لتطوره الفكرى ازاء تحرير المرأة .. وهو هنا قد مر بمراحل ثلاث :

١ - ففي البداية : وهى مرحلة كتابة (المصريون) سنة ١٨٩٤ م كان يطلب تعليم المرأة ، ويطلب كذلك أن تظل في البيت ، خاصا بها ومختصة به ، وينقد اشتغالها ، لا بالوظائف العمومية ، بل بالاعمال المدنية التى يقوم بها الرجال .. وهو فى التعبير عن هذه الفكرة يقول :

« اننى لا أرى الفائدة التى يمكن أن يجنيها النساء بممارسة حرف الرجال ، بينما أرى كل ما سوف يفقده . فان هذه الحرف سوف تجرفهن عن المهام التى يبدو أنهن خلقن من أجلها ، كما أن هذه الاعمال لن تجعلهن أكثر فائدة للمجتمع ، ولن تزيدهن من سحرهن ، بل على العكس من ذلك . ان مشهد الام المتغافية يملؤنى حنانا ، كما يحرك سرورى منظر الزوجة التى تعنى ببيتها ، فى حين انى لا أشعر بأية عاطفة حين أرى امرأة تهل على فى خطى الرجال ، ممسكة كتابا فى يدها ، وتهز ذراعى فى عنف ، وهى تصيح بى : « كيف حالك يا عزيزى ؟ » بل ألقى أشعر بشيء غير بعيد من النفور .

هل السيدات المؤلفات والسياسات - (ولست أتحدث إلا عن اتخذن حرفة الادب وتجارته) - هل هن حقيقة نساء ؟! وما هى أوجه الشبه بين

هذه الكائنات اللاتي رآين كل شيء ، وقرآن كل شيء ، وفعلن كل شيء ،
واللاتي لم تعد وجوههن تحمر ، وبين تلك الملائكة اللاتي ما يكنن يرسلن
نظرة أو لفظة أو لمسة كف حتى تبتل عيوننا بالدمع وتغمق قلوبنا بالشوة !!

انتي احقر ادماء النساء وتحلقهن ، ولكنني نصير متحمس لآخذ المرأة
قعدا نسبيا من التعليم . انتي انعي تربية النساء المصريات وسط الجهل
المطلق ، يجب ان تعرف المرأة دائما ما يكفي لكي تلقن أبناءها مبادئ
الإخلاق والفضيلة ، ولتقدم لهم شرحا علميا للأشياء التي تحيط بهم ، يجب
ان تعرف دائما كيف تجيب ، دون ان تخطيء ، على تساؤلات الطفولة التي
لا تنقطع .. » (١) .

٢ - وفي المرحلة الثانية : مرحلة كتاب « تحرير المرأة » سنة ١٨٩٨م ،
يبقى قاسم أمين على موقفه الراض تولى المرأة « الوظائف العمومية » ،
ولكنه يتطور خطوة فيطلب لها ان تمارس ، مثل الرجل « جميع الأعمال
المعنوية » .. ملاوة على شئوننا الخاصة .. ويمبر عن موقفه الجديد هذا
بقوله :

« ان الناظر في الاحوال التي فضلت فيها شريعتنا الرجل على المرأة ،
مثل الخلافة والامامة ، والشهادة في بعض الاحوال ، لا يجد واحدة منها
تتعلق بميشتها الشخصية وحريتها ، وان الشارع لم يراع في هذه المسائل
القليلة الا عدم الخروج بالمرأة عن وظيفتها في العائلة ، وحصر الوظائف
العمومية في الرجال ، وهو تقسيم طبيعي جرى على مقتضاه الى الان
التمدن في اوربا - لم تكن المرأة الاوربية قد نالت حقوقها السياسية بعد)
- ولا يوجد فيه شيء يمنع من ترقية المرأة والوصول بها الى اعلى مرتبة
تستحقها ، وما من عاقل يدرك الغرض الصحيح من تلك الحقوق العظيمة
التي خولتها الشريعة الاسلامية الى المرأة في جميع الاعمال المدنية ، ومنها
اهميتها لان تكون وصية على رجل - يستحسن ما يخالفها من موالدنا التي
تؤدي الى حرمان المرأة بالفعل من استعمال هذه الحقوق » (٢) ..

وقاسم أمين يرى اهلية المرأة المصرية ، اذا تعلمت ، لاجادة كل « الاعمال
المدنية » التي تجيدها المرأة الغربية .. كما يرى في ذلك عاملا هاما ينمي ثروة
المجتمع ويدفع بتطوره الى الامام ، فالمرأة مندنا طاقة معطلة واستثمار غير
مستغل ، بل لقد أصبحت عالة على ثمرة عمل الرجال .. « فلان النساء ،
في كل بلد ، يقدون بنصف سكانه ، على الاقل ، فيقالون في الجهل حرمان
من الانتفاع بأعمال نصف عدد الامة وفيه من الضرر الجسيم ما لا يخفى » .

(١) (المصريون) * فصل : (النساء)
(٢) (تحرير المرأة) * فصل : (المرأة والامة) .

ولا شيء يمنع المرأة المصرية من أن تشتغل ، مثل الفربية ، بالعلوم والآداب والفنون الجميلة والتجارة والصناعة ، إلا جهلها وإهمال تربيته . ولو أخذ يبدؤها إلى مجتمع الأحياء ، ووجهت عزميتها إلى مجسراتهم في الأعمال التجارية ، وأستعملت مداركها وقواها العقلية والخصمية لصارت نفسها حية فعالة تنتج بقدر ما تستهلك ، لا كما هي اليوم عالة لا تعيش إلا بعمل غيرها ، ولكان ذلك خيرا لوطنها ، لا ينتج عنه من ازدياد الثروة العامة والثمرات العقلية فيه « ١ » ..

٢ - وفي المرحلة الثالثة : من تطوره الفكرى ، إزاء هذه القضية ، مرحلة كتابه « المرأة الجديدة » سنة ١٩٠٠ م ، يبقى قاسم أمين على موقفه من قضية اشتغال المرأة «بالأشغال العمومية والوظائف العامة» أى العمل السياسى ووظائفه العليا ، ولكنه يتقدم فكريا عن ذى قبل ، عندما يعلل للفروق القائمة بين الجنسين ، والتي أهلت الرجل ، دون المرأة ، لهذه الوظائف السياسية العليا ، فبعد أن كان يرى ذلك تقسيما فطريا وأبديا للعمل ، نشأ من طبيعة كل جنس من الجنسين ، أصبح يراه ثمرة لتأهل الرجل وممراته ، وهو الأمر الذى حرمت منه المرأة وأبعدت عنه قرونا طويلة ، ومن ثم يعلق صلاح دخولها هذه الميادين على اكتسابها هذه المؤهلات وذلك المرات ، وهمسا فى الإمكان ، ولذلك فهو يرى أن حرمانها من هذه الوظائف السياسية العليا هو أمر مؤقت سيزول بزوال ماله من أسباب .. أما عبارته المبررة عن فكرته هذه ، فهي التى يقول فيها :

« انى ما طلبت ولا اطلب المساواة بين المرأة والرجل فى شيء من المزايا والحقوق السياسية ، لا لانى اعتقد ان الحجر على المرأة ألا تتناول الأشغال العمومية ، حجرا عاما مؤبدا ، هو مبدأ لازم للنظام الاجتماعى ، بل لانى أرى أننا لا نزال إلى الآن فى احتياج كبير لرجال يصنعون القيام بالأعمال العمومية ، وإن المرأة المصرية ليست مستعدة اليوم لشيء مطلقا ، ويلزمها أن تقضى انوارا فى تربية عقلها بالعلم والتجارب حتى تنهيا إلى مسابقة الرجال فى ميدان الحياة العمومية .. » (٢) .

هكذا رأى قاسم أمين قضية « عمل » المرأة .. وهكذا تطور فكره إزاءها ما بين سنة ١٨٩٤ م وسنة ١٩٠٠ م ..

والآن .. لقد آن الأوان لنسال هذا السؤال :

-
- (١) (تحرير المرأة) - فصل : (تربية المرأة) .
(٢) (المرأة الجديدة) - فصل : (الواجب على المرأة لنفسها) .

لية امرأة تلك التي ركن قاسم أمين حديثه عنها ؟؟

وبنت اية طبقت الامة تلك التي سعى لتحريرها ؟ ..

لقد كان قاسم أمين داعية مصلحا يشر بقيم المجتمع البورجوازي ويدعو لفتح الطريق امام مصر كي تتطور فتختلف عصر الاقطاع وراءها وتدخل الى رحاب التنوير البورجوازي .. ومن ثم فان المرأة التي شغلت قضايا تحريرها عقل قاسم أمين ، كانت ، في الاساس ، المرأة البورجوازية ، امرأة الطبقة التي كان ينتمي اليها ، بنت الطبقة الوسطى التي كان متميزة عن بنات الارستقراطية الاقطاعية وكبار الملاك الذين يغلب عليهم الانتماء التركي والشركي والانتساب لمناصر التمسرين والتي كانت متميزة كذلك عن بنات الفلاحين .

ولم يكن اهتمام قاسم أمين بنساء الطبقة الوسطى تعصبا لطبقتهم الاجتماعية ، ولا انفلاقا على مالم خاص به من الناحية الاجتماعية ، فهو بالتأكيد مصلح كان ينظر للامة ككل ، وان غلبت عليه رؤية لونها انتماؤه الاجتماعي .. ولكن مبعث هذا الاهتمام انه لم يكن يعلق اية آمال على نساء الارستقراطية الزراعية ، فهن مثل طبقتهم غرباء عن روح هذه الامة وقضاياها المصرية ، بعين طبقتهم على هامش هذا المجتمع ، ولا صلة بينهما الا صلة الاستغلال الاقطاعي واستنزاف ريع الارض من الفلاح

اما المرأة الفلاحة والتاجرة والماهرة لحرفة من الحرف .. فقد رآها قاسم أمين عضوا عاملا في المجتمع وطاقة منتجة .. صحيح انها لا تقرأ ولا تكتب .. صحيح انها غير « متعلمة » .. ولكن انخراطها في الحياة العامة مع الرجل ، وفي مساواة له ، قد جعلها « مثقفة » بالخبرة والتجربة ، فهي ليست قيده على تطور المجتمع الى الامام ، وان تكن لديها طاقات أخرى كامنة يستطيع ان يطلقها من عقائلها .. ان بينها وبين الرجل ، في طبقتها ، مساواة الى حد كبير !

اما امرأة الطبقة الوسطى فانها كانت موضع امل ، بل عليها - مثل طبقتها - تعلق الكثير من الامال في قيادة نهضة الامة وتطورها .. ومع ذلك فهي وان « تطمعت » الا انها بمقاييس « الثقافة » دون امرأة الريف والحرفيين والتجار - فهي الطاقة المعطلة حقا وتامما ما بين النساء اللاتي تتعلق بهن آمال المصلحين .. ومن ثم فان اتخاذ قضية تحريرها محورا لقضية تحرير المرأة عامة هو امر له ما يبرره ، خصوصا من مصلح مثل قاسم أمين ..

ونحن نستطيع ان نتأكد من صدق تحليلنا هذا اذا قرأنا بعض عبارات قاسم أمين ..

فهو في المقارنة بين امرأة الطبقة الوسطى والمرأة الفلاحة يقول :
« تساوت النساء عندنا في الجهل مساواة غير محبوبة ، ولا يظهر
اختلافهن إلا في اللبس والحلي . بل يمكن أن يقتل : الله كلما ارتفعت
المرأة مرتبة في تليس زاد جهلها ، وأن آخر طبقة من نساء الأمة يوهي
التي تسكن الأرياف ، هي أكملهن عقلاً ، بنسبة حائنا !

المرأة الفلاحة تعرف كل ما يعرفه الرجل الناح ، مداركها في مستوى
واحد ، لا يزيد أحدهما على الآخر تقريباً . مع أننا نرى المرأة الغالية أو
الوسطى متأخرة عن الرجل بمسافات شاسعة ، ذلك لأن الرجل في
هذه الطبقات تربت عقولهم واستنارت بالعلم ، ولم تتبعهم نسلهم
في هذه الحركة ، بل وقفن في الطريق . وهذا الاختلاف هو أكبر
سبب في شقاء الرجل والمرأة معا .

ثم يمرض للذات القضية ، وهو يتحدث عن « الحجاب » فيقول :
« وإذا أراد القاريء أن يتبين صحة ما أسلفته من مضار الحجاب ،
على وجه لا يبقى للريب معه مجال ، فمأليه إلا أن يقارن بين امرأة
من أهله تعلمت وبين أخرى من أهل القرى أو من المتجبرات في المدن
لم يسبق لها تعليم ، فأنه يجد الأولى تحسن القراءة والكتابة وتتكلم
بلغة اجنبية وتلعب « البيانو » ، ولكنها جاهلة بأطوار الحياة ، بحيث
لو استقلت بنفسها لمعزت عن تدبير امرها وتقويم حياتها ، وأن
الثانية ، مع جهلها ، قد حررت معارف كثيرة اكتسبتها من المعاملات
والاختبار وممارسة الأعمال والمساوى والحوادث التي مرت عليها ،
وإن كل ذلك قد أفادها اختباراً عظيماً ، فإذا تعاملتا ظلت الثانية
الأولى »

فالتعليم لبنت الطبقة الوسطى لم يفدها الثقافة والمعارف والخبرات
.. بينما اكتسبت الفلاحة والتاجرة الثقافة والمعارف والخبرات الخاصة
بالحياة من العمل .. وما ذلك إلا لأن الأولى تعيش مجتمعاً انفصالياً
عزلها فيه الحجاب عن مصدر المعرفة الحق ، بينما تساوت الثانية مع
رجل طبقتها ، تخاضاً معاً غمار الحياة ..

تلك هي الفكر قاسم أمين عن مشاكل المرأة الشرقية .. وآرائه في
اصلاح امرها .. وهذه هي المرأة التي من أجلها أطلق صيحة النهضة
والتحرير ..

الثقافة والصراع الطبقي

بقلم: القيروا هوجمان

ظهر العدد الأول من مجلة كورسكرن في جمهورية ألمانيا الاتحادية منذ اثني عشر عاما مضت ، في خريف ١٩٦٥ . وسرعان ما حظيت بشعبية واسعة وتمتيز اليوم بين الموريات الأدبية الأوسع توزيعا . وشعار المجلة - الادب والنقد وصراع الطبقات - كان حينذاك غير مأثوف كاسمها .

وفي ذلك الوقت كان الشيوعيون وحدهم يتحلقون عن صراع الطبقات بيد أن الحزب الشيوعي الألماني كان مظلوما ومساندته كانت امرا يعاقب عليه القانون . وإلى جانب ذلك، ورغم ان عام ١٩٦٥ كان آخر عام في «المعجزة الاقتصادية» الألمانية الغربية ، كانت التوائر الحاكمة لا تزال في وضوح تستفيد فيه من عدم وجود أزمة اقتصادية وارتفاع مستوى المعيشة لتتكرر وجود أي تناقضات طبقية . ولذلك لم يسكن مستغربا انه في هذه الظروف اعتبرت المواد التي ننشرها عن صراع الطبقات عملا استفزازيا .

وأسس المجلة الكتاب والصحفيون الشبان كريستيان جيسلر ، وفردريك هيتزر وهانز ستوتز وكانت لها صلات وثيقة مع الروائي مارتن وولسر . وكان هناك الكثير الذي يجمع بينهم ، وبخاصة فهمهم لما يخفى وراء الفكرة التي يروج لها على نطاق واسع حول « مجتمع الطبقة الوسطى المتوازن » ، وكانوا يدركون جيدا الأثر الممثل لاندولوجية الدوائر الحاكمة المثارة بتقاليد الكنيسة ، والتي تقدم بشكل سلس نسبيا ، على الحياة الروحية . وكان المحررون يدركون بالمثل أن جزءا هاما من تاريخ العالم والتاريخ القومي تم تطهيره من عقول مواطنيهم بمساعدة العداء للشيوعية الواسعة الانتشار ، تلك السياسة التي ساعدت القوى المعنية على المحافظة على حكمها حتى بعد هزيمة الفاشية الهتلرية . ولهذا السبب اتخذت كوريسكيرن موقفا سياسيا واضحا تماما منذ البداية . وافتتح عددها الأول بقصيدة لبابلو نيرودا ، أعقبها شعر إيريك فريد ضد العدوان الامبريالي الأمريكي في فيتنام ومختارات من مسرحية كينار كيههارت التي تفضح قطائع النازيين . وكانت هناك مواد مؤلفين ألمان غربيين شبان ولكنهم معروفون بالفعل ينتقدون الوقائع البرجوازية . ومما يلفت النظر أنه سرعان ما وجد صوت الشعب مخرجا في المجلة ، التي كانت شيئا تجنبه الأدب الألماني تماما . وكان نشر الاحاديث الصحفية التي اخلت في الشوارع مساعدا كبيرا للمؤلفين الشبان ، الذين كانوا محاطين عادة بجو بعيد عن الواقع . وكان هذا العمل على العكس تماما من الشعوذة الأدبية التافهة للصفوة التي كان ينظر إليها على أنها النوع الوحيد القبول من الكتابة الإبداعية في ألمانيا الغربية في ذلك الوقت .

ومنذ البداية أبدى المساهمون في المجلة اهتماما كبيرا بالماركسية ورغبة في إثارة اهتمام خاص بين القراء .

وقرب نهاية الستينات نمت الحركة الديمقراطية في ألمانيا الفيدرالية بدرجة ملحوظة وانعكست أفكارها في مسائل عديدة . وكانت هناك الخطبة الغاضبة لطالب أمريكي خلال مظاهرة ضد الحرب في فيتنام وبت المجلة نشرها يوم عيد استقلال الولايات المتحدة عام ١٩٦٦ ، وكان هناك حديث صحفي أجراه الكاتب السوفييتي ليف جينزبرج والصحفيون في ألمانيا الاتحادية مع مجرم حرب نازي ، أصبح رجل أعمال ناجحا يعيش في ميونيخ ، رغم أنه حوكم غيابيا في الاتحاد السوفييتي ، وكانت هناك احتجاجات ضد خطر الحزب الشيوعي الألماني ، وحوار بين المسيحيين والماركسيين نشر في حلقات عديدة .

وفي ذلك الوقت كانت الآراء ، وخاصة بين المثقفين الشباب في ألمانيا الفيدرالية ، قد بدأت تتغير ، ووجه البحث عن مواقف معقولة وقدمية يجد تعبيرا عنه في كوريسكيرن ، وخاصة في المناقشات حول كيفية

الانغلب على الاقليمية في ألمانيا الفيدرالية وكيفية تغيير الواقع القائم .
وفي خريف ١٩٦٧ ، عندما انتشرت مظاهرات الطلبة المعادية للامبريالية
طلب من محرري الصفحة ان يحيوه عن السؤال : ماذا تعنى بالنسبة لك
الذكرى الخمسين لثورة أكتوبر ؟ بينما سئل للمرة في أحاديث الشوارع
الصحفية : ماذا تعرف عن لينين ؟ وفي ذلك الوقت تقريباً قدم ناغديكر
يكتب لمجلة سوديتش تسايتونج البرالية ، وهو رينهارد بومجارت ، مقالا
يساريا مطرفا الى المجلة ، واقترح مارتن والسر بدء عام كتاب دولي والفر
ديتر سوغركروب قصيدة تنتهى بالكلمات « عاشت الثورة » . وبالطبع لم
تنشر الجريدة فحسب هذه الآراء المختلفة ، وإنما كانت مناقشة تهدف
الى مساعدتها على تحديد مواقفها التي تستند الى أساس قوى .

ومن المصادفة ، بالنسبة للمجلة ، ان نهاية الستينات كانت فسترة
مناقشات حيه حول أى طريق يجب ان تتخذه الحركة الديمقراطية ، كما
كانت كذلك فترة عانت فيها المجلة من اختلاف في الآراء ، كان في الأساس
نتيجة للمهام والمشاكل الجديدة التي واجهتها . فقد نشأ على سبيل
المثال ، بين الناشئين جدل حول مساندة الكتلة اليسارية في انتخابات
البوندستاج عام ١٩٦٩ ، وعكس العدد الاول من المجلة عام ١٩٦٩ آراء عديدة
حول الانتخابات . وبعد ذلك بقليل بلغت محاولات لعزل القوى التقدمية
التي اتفقت حول الحزب الشيوعي الألماني الذي أصبح دستوريا وشاركته
مواقفه الإيمية . ومع ذلك ، فقد استطاع غالبية مجلس التحرير تحليل
الأحداث والحجج بدرجة كافية لتوضيح المشكلة . وفشلت مقاطعة المجلة
التي بدأها واحد من عضوي مجلس التحرير الذي استقال فيما بعد ،
وواصل الكتاب المروفون في ألمانيا الغربية الكتابة في المجلة .

وكانت بداية السبعينات نقطة تحول بالنسبة للأدب الألماني الغربي حيث
مثل كثير من الكتاب الجدد اتجاهات أدبية ديمقراطية واشتراكية ظهرت
على المسرح . وبين هؤلاء إيريكارونجا ، ف . ج . ديجنهسارت ، وبيتر
مايوالد ، واوتيم ، والكتاب البروليتاريون مارجوت شرودر لواجست
كون ، وآدري ترويمان . وآخرون كانوا مشهورين في الأدب البرجوازي
ولكنهم غيروا مواقفهم فيما بعد ، وقبلوا الأفكار الاشتراكية وسسعوا
الى صلات وثيقة مع الطبقة العاملة ، كانوا يضمون جوتتر هربجر ، ومارتن
والسر ، وفيما بعد فراتز كسافر كروتر ، كاتب مسرحي شاب وناجح .
وكان بعض الكتاب الجدد شيوعيين ، بينما فتح آخرون ، مثل مارتن
والسر حوارا مع الحزب الشيوعي الألماني . وكانوا جميعا ، مع ذلك ،
مستعدين لمساعدة الكتاب الشباب في البحث عن منهج لانفسهم ومواقف
سياسية واسعة .

ومع تغير المناخ السياسي والروحي للمجتمع ، وصلت المجلة الى نطلق

اوسع من القراء وجذبهم الى مناقشات حية ، وكتب فرانك ينسلر الصحفي المعروف الكاتب المحترم لاحد ناشري القصص الالمان الغربيين ، فى العدد ٣ ، ١٩٦٩ : « ينبغي علينا ان ندرس علاقات الانتساج .. والافتراض الاساسى هو شعور بالمسئولية والدفاع النشط عن مصالح الشعب »

وهكذا حدث ان الافكار الديمقراطية الراديكالية والاشتراكية ، التى قويت جذورها لدرجة كبيرة بفضل الحركة السياسية لتلك السنوات ، اثرت على عمل كتاب كوريسكيرن ، ووضعت الاساس لنوع من السكتابة « يبنى على السياسة » ويتركز على الناس الذين يعملون فى الصناعة .

وبدا الكتاب التقدميون فى المجلة يلوسون الظروف المحيطة بالكتاب انفسهم ليروا تأثير رأس المال على عملهم . وعرضت النتائج على الاالا فى مناقشات نشرت منذ ١٩٦٩ . وكان ذلك باعثا على حركة دفعت بالحداد الكتاب الالمان الى النقابات .

ولعبت المجلة دورا غير صغير فى هذه المناقشات . وساعد هانز مانجوس انزنسبرجر ، ومارتن والسر ورئيس تحرير كوريسكيرن فردريك هيتزر فى وضع مشروع وثيقة عمل لأعضاء الكتاب فى شتوتجارت عام ١٩٧٠ . وكان الكتاب قد صوتوا الى جانب الانضمام الى النقابات ، كما تقول الوثيقة ، « لانه كان هناك تغفل احتكارى متزايد فى الثقافة ، وبسبب المائيق الذى لا يحسد عليه غالبية الكتاب والذى يمكن التغلب عليه فحسب عن طريق التضامن والتعاون مع تنظيم عمالى . لقد اعتقد الكتاب التقدميون ان نقابة مشتركة يمكن أن تكون الوسيلة لتحقيق الحق فى حرية الرأى ، وفى مشاركة الجماهير العاملة فى ادارة وسائل الاعلام ، كما يمكنها ان تساعد بمعونة الدستور الالماني الفيدرالى فى اخضاع الشركات الكبرى التى تحتكر الثقافة الان للملكية العامة .

تلك هى الاهداف البعيدة المدى . ولهذا السبب اعتبر انضمام الكتاب الى نقابة مسئلة الطباعة والورق خطوة نحو خلق نقابة قوية وفعالة للعاملين فى وسائل الاعلام .

والمناقشة حول تأسيس مثل هذه النقابة لم تنته بعد ، ولكنها دفعت بالفعل عديدا من الكتاب الى التفكير فى دورهم فى المجتمع ومسئوليتهم حياله ، وجعلتهم يدركون تبعيتهم للعمل المنظم والاهمية التاريخية لقرارهم بالوقوف الى جانبه فى نفس الوقت .

وأثار تلك الآراء نشر المجلة لمقالات مثل « الحقيقة حول التلفزيون » العدد ٣ ، ١٩٧١ » « وقت فراغك » العدد ٢ ، ١٩٧٢ » « التبعية -

فر، صناعة الثقافة » العدد ٤ ، ١٩٧٢ . واحتوى المقال الأخير كذلك على نتائج البحث حول مجموعات مختلفة من المهن تحدد أشكال تبعيتها « وفرص الكتب » المحدودة بشكل مخيف أحيانا ، و تصف ميكانيزم التلاؤم مع مصالح رأس المال . وأكد العديد من المؤلفين أهمية اختيار بديل . وفي مقال قوى كتب مارتن والسر : « .. أن الفنانين والممثلين ، والموسيقين والصحفيين ، وعمال الطباعة والمصورين ، والمخرجين والكهربائيين . وكذلك الكتاب كلهم شاهد على تركيز وسائل الأعلام . ويمكنهم مواجهة ذلك فقط بتنظيم مشترك . فبالإضافة الى حماية مصالحنا الأساسية ، فإن مثل هذا التنظيم ينبغي أن يطور فكرة المسؤولية العامة ، المشروعة لمحطات الإذاعة والتلفزيون ، وينبغي أن تطبق الرقابة العامة وتضمن المشاركة في إدارة كل الوسائل المطبوعة لوسائل الإعلام الجماهيرى ، وإذا كانت الملكية تحمل مسؤولية اجتماعية ، كما يقول دستورنا ، فإن ذلك يجب أن ينطبق كذلك على ملكية وسائل الإنتاج في مجال الطباعة وصناعة الأفلام وغيرها » .

وبعد ١٩٧٢ ، عندما انضم اتحاد الكتاب الى نقابة الطباعة والورق التى تضم الى جانب عمال الطباعة والجمع الصحفيين كذلك ، وعندما انضم الناس فى الاتحادات الثقافية الأخرى الى النقابات الأخرى ، أصبح فى الامكان مواصلة عمل خلق نقابة لوسائل الأعلام فى مجموعها على مستوى جديد .

وصاحب عملية التوحيد فى النقابات عشية السبعينات تغييرات ملحوظة فى المجال الأدبى . فتحت تأثير حركة الطلبة المعادية للامبريالية ، بدأت المجلة تعرف القراء بثقافة الاتحاد السوفييتى ، وبالأدب الخارجى وبخاصة أعمال الشعوب التى تناضل من أجل حريتها . وكرس العدد رقم ٣ ، ١٩٦٩ لثقافة فيتنام « وهو موضوع غالبا ما عولج فيما بعد » ، كما خصصت أعداد أخرى لثقافة بلدان أمريكا اللاتينية ، وبخاصة شيلي المناضلة . وحلرت كوريسكين مرارا من أخطار « الامبريالية الثقافية » للولايات المتحدة ، لكن العدد رقم ٣ ، ١٩٧٢ كان مكرسا كلية لأمريكا التقدمية .

وهناك معلومة عرضية تثير الاهتمام هى أنه عندما كان النشاط السياسى فى البلاد فى عنفوانه ، عشية السبعينات وكانت الشخصيات الثقافية اليسارية المنطرفة تعلن فرحة « أن الأدب قد مات » ، وأصلت المجلة جهودها لتطوير أدب يعكس الواقع ويروج الأفكار التقدمية . وعلى خلاف اليساريين المتطرفين ، أمكن تحقيق ذلك بإلقاء الضوء على العلاقة التاريخية والحائظة على التقاليد التى تربط الأزمنة الحديثة بالتراث القسوى . وابتدت المجلة اهتماما طيبا بالتقاليد المعادية للفاشية والتى استبعدت

رسميا من الثقافة في جمهورية ألمانيا الفيدرالية . وشكل ذلك موضوع العدد المكرس للذكرى الثلاثين لانتهاء النازية .

والمشاكل المتعلقة بالتراث الثقافي ترتبط بالسياسة في ألمانيا الفيدرالية لان الحكومة الفيدرالية تؤكد على الدوام الفكرة القائلة بان كلا الدولتين الالمانيتين ، بغض النظر من اختلاف الانظمة الاجتماعية جزئيا متكاملان من « امة ثقافية » واحدة ، مستخلمة ذلك كأداة في جهودها للتكوص بتطور الاشتراكية في أحد قسمي ألمانيا السابقة - جمهورية ألمانيا الديمقراطية ذات السيادة . وهكذا فقد كان من المهم بشكل خاص للمجلة ان تتحدث عن وجود ثقافتين ، وان تسترجع التقاليد الثورية لعامي ١٥٢٥ ، ١٨٤٨ (١) ، وروح التقدم النضالية في التراث الكلاسيكي للبرجوازية المبكرة ، وهي روح لا تزال تكافح كلا من الرجعية المدنية والكنسية . وفي مددها رقم ٤ ، ١٩٧٤ نشرت المجلة قصة قصيرة بقلم ديترسوفر كروب حول دوافعه لجمع راداء الأغاني الشعبية التي يرجع تاريخها الى ثورة ١٨٤٨ وكيف أثرت على عمله . وكانت التقاليد الثورية موضوع مسرحية عن حرب الفلاحين كتبها مارتن والسر « ويمكن ان تجد اقتباسات منها في العدد ٢ ، ١٩٧٥ » . وكان هدف الكاتب ان يصور ماضينا وحاضرنا . واستفاد والسر من أحداث ١٥٢٦ في نورنبرج ليعين خوف الطبقة الحاكمة من الشعب والاستراتيجية القديمة لحرف الشعب عن مشاكل العصر الحقيقية . ولم يستطع النقد البورجوازيون ان يتفادوا عن أهداف الكاتب ، وكما فعلت الصحافة البرجوازية الكبيرة فيما بعد ، ضد روايات ألفريد أندريش « قميح الشتاء » ، ويتردس « الجمال عند المقاومة » اللتان تتناولان التقاليد المعادية للفاشية ، وجهت انتقادها الهادئ أو الصريح المعادي للمؤلفين في محاولة لقتل أي اهتمام بمعله .

ومن الطبيعي أن الرتبة الرجعية المتصاعدة للصحافة البرجوازية ، تعني ان النقد التقدميين ، ومجلتنا بالطبع ، يواجهون مسؤوليات أضخم كثيرا .

ومجلتنا لا تشارك في الرأي القائل بأن الثقافة امتياز لاقلية مختارة ونحن نؤمن انه تخلفها جهود كل الشعب العامل ، ولكن في مجتمع طبقي استغلالي ، تظل نمرة الثقافة بعيدة عن متناول الاغلبية . وهكذا طرحت المجلة مسألة البدائل المحددة . وقد تناولت مرات عديدة مشاكل الفن والشعب . وقدمت تحليلها الخاص للثقافة الجماهيرية ولعديد من الاساطير التي تحشو بها « صناعة الثقافة » الامبريالية يوما عقول الشعب . وفي نفس الوقت ، وبخاصة في الفترة الأخيرة ، أولى المحررون كذلك اهتماما كبيرا للجوانب الايجابية للثقافة الجماهيرية ، وبذلك قدموا

(١) حرب الفلاحين عام ١٥٢٤ - ١٥٢٦ والثورة البرجوازية الديمقراطية في ألمانيا عام ١٨٤٨ - ١٨٤٩ - المحرر .

مخرجاً للكتاب الشبان ، الذين بدأوا يدركون الحاجة الى قراء جسد
ويمسئوليتهم فى المساعدة على العثور عليهم .

ومما يلفت النظر أن كوريسكيرن قد تخطت أهدافها كمجلة ، وبدأت
تنشر الأدب التقدمى من خلال « مكتبتها الموجزة للعمال » التى بدأتها
عام ١٩٧٢ . ومعظم هذه الكتب حول التقاليد الاشتراكية والبروليتارية
للبلاد ، وأعمال المؤلفين السوفيت والتقدميين الآخرين . بيد أن مهمتها
الرئيسية كانت ترويج الأعمال الجديدة للمؤلفين الألمان الغربيين . وانتجت
هذه السلسلة بالفعل مجموعات قصص قصيرة لكتاب شبان لديهم خلفية
عمالية ، وكذلك قصص لكتاب معروفين . وفى العام الماضى نشر أرتور
ترويمان كتابه « أناس من البيت الثلاثين » . ويحكى الكتاب عن نشاط
الكتاب فى فترة مابعد الحرب على خلفية الوضع فى قسم عمالى من
ميونيخ .

والقد كان للإزمة الاقتصادية اثر سيمى على حياتها الثقافية : فقد
خفشت الموارد المادية الخاصة والحكومية ، وزادت الرقابة ، وشجعت
الكتابات الرجعية . وحولت المجلة اهتمامها الى هذه المسائل وشرحت
اسبابها . وفى نفس الوقت حاولت مساعدة العاملين فى حقل الثقافة
على ادراك مدى أهمية الدفاع عن حقوقهم . وكتب هانز ستوتز ، أحد
ناشرى المجلة وأحد المختصين بالسياسة الثقافية فى مجلس الحرب
الشيومى الألماني ، فى عدد فبراير ١٩٧٥ ، يدرس حالة الثقافة فى اطار
أزمة الرأسمالية ، مقترحاً أن يطالب عمال وسائل الإعلام بأن يسمح لهم
بالشركة فى إدارة وسائل الإعلام . وفى العام التالى كوست المجلة
مقالاً لتدهور الثقافة ، وتناقض المخصصات الحكومية ومايمكن أن تحققه
المنقابات . وفى نفس هذا العدد قال رئيس مجلس اتحاد الكتاب أنه يجب
توفير موارد أكبر للمكتبات العامة لشراء الكتب ، وقال رئيس فرعه
البافارى أن الكتاب يمكنهم أن يستفيدوا من المنقابات للكفاح ضد
الضغوط التى يفرضها الناشرون .

وقد تآثر الكتاب فى ألمانيا الفيدرالية مباشرة بالخطر المفروض على
توظيف التقدميين فى مهن معينة . أن التمييز ضد الكتاب التقدميين الذى
تمارسه المؤسسات القانونية ، وحظر ظهورهم فى الإذاعة والتليفزيون
ومصادرة الطبعات الأولى من الكتب على أساس الفقرة الجديدة ٨٨ حول
« العنف » ، قد بينت جميعها أن التكتيكات الجديدة لإرهاب الديمقراطيين
موجهة فى نفس الوقت ضد الكتاب . والنتائج التى نستخلصها من ذلك
لا نراها فحسب فى موقف المنقابات من قانون حظر توظيف التقدميين ،
وغيره من الخطوات المعادية للديموقراطية ، وأتاما نراها كذلك فى الأعمال
العامة من جانب الكتاب أنفسهم .

ونشر الفريد أندريش ، الذى تظهر مؤلفاته فى كوريسكين ، بعض
القضايا القوية ضد هذا القانون . وقد أثارت هجمات ضده من جانب
الصحافة الرجعية ولم يسمح له بالظهور فى الإذاعة أو التلفزيون . وبمعالج
كتاب ألفه بيرنت انجلمان ، الكاتب المعروف ، نفس الموضوع . وقد
اتخذت المجلة موقفا صلبا ضد القانون ، وفضحت هذا الإجراء على
أساس مواد وثائقية وأحاديث صحفية . وأخيرا نشرت المجلة موادا
تكشف أساليب مماثلة استخدمها الرجعيون فى فترة سابقة ضد
جوهان ج . فيخته ، وألبرت أينشتاين ، وكارل شورز ، وهو أمريكى من
أصل المائى حارب الى جانب الشمال فى الحرب الأهلية الأمريكية .

والوضع فى بلادنا اليوم ، وذلك يتضمن الثقافة ، يمكن وصفه بأنه
استقطاب للقوى نتج عن تفاقم المشاكل الاجتماعية الاقتصادية
والايدىولوجية . والانعطاف نحو اليمين نتيجة للآزمة الاقتصادية يؤثر على
حياة المجتمع الروحية . وبعض الناشرين البرجوازيين ذوى النفوذ، والصحف
والمجلات تدافع بشدة عن أن الكتاب يجب أن يولوا ظهورهم بعيدا عن
السياسة ويشغلوا أنفسهم بالإجراء المرضى لتحليل الذات . والتشاؤم
منتشر لأن الآمال فى إصلاحات ديموقراطية اعتر بها المثقفون فى السنينات
عندما وصل الاشتراكيون الديموقراطيون الى الحكم ، لم تتطور بعد .
وهؤلاء الذين لا يرون اليوم أفقا واقعية بعيدة المدى للمجتمع ، يصبحون
مكتئبين . وتعتبر المجلة أن من واجبها أن تساعد على هزيمة التشاؤم
بين المثقفين بالإضافة الى شعورهم بأنهم معزولون ولا حول لهم .

وليس هناك أية أوهام أو مساومات فى مقالاتها حول تناقضات
النظام الرأسمالى ، والمطالبة بين الشباب مثلا « العدد ٤ ، ١٩٧١ » . ومع
ذلك ، فإنها تتسامح : أين تبدأ المقاومة ضد الوضع الراهن حتى فى أزمة تتصمن
بطاقة جماهيرية يكون النجاح ممكنا فحسب حيث تتوفر التضامن فى
النفصال . وتبنى بعض المقالات اهتماما كبيرا بالجماهير العاملة من الشباب
وكذلك بالعاملين فى حقل الثقافة . وشارك الشباب والكتاب فى المناقشة
التي نظمناها حول كتب الشباب . وكذلك أجرينا حديثا مع مدير مسلسل
تليفزيونى معروف حول المشاكل التى يواجهها الشباب فى ضاحيةعملية
بميونخ .

وتهدف تلك المناقشات الى مساعدة العاملين فى حقل الثقافة على
إدراك أنه بسبب اعتمادهم على الاحتكارات على وجه التحديد ، يجب
عليهم أن ينفذوا الى جانب الطبقة العاملة ، التى يعتبر نضالها ونجاحاتها
فى التحليل النهائى نضالهم ونجاحاتهم .



السياسات الدولية والمعايير الأخلاقية

نقام، رينيه أوربان

ان عصرنا الحالي عصر يتسم بالتغيرات الإيجابية الهامة في نظام العلاقات الدولية التي هي نتاج مباشر للتأثير الثوري للبلدان الاشتراكية والطبقة العاملة العالمية وحركة التحرر الوطني وغيرها من الحركات الديمقراطية على السياسات الدولية . ويرجع الفضل أساسا الى هذه القوى في أن مبادئ التعايش السلمي رغم مقاومة الرجعية الامبريالية قد أصبحت الاتجاه الرئيسى فى العلاقات الدولية .

وقد أكدنا فى القرار الصادر عن المؤتمر ال ٢٢ لحرينا بان « تحولاً أبعد ، تحولاً فى صالح السلام والديمقراطية والاشتراكية قد حدث فى السياسة الدولية وفى الصراع الطبقي العالمى » . وقد اشرنا الى ان التحول يرجع فى الأساس الى النجاحات البارزة التى تحققت فى مجال التطور الاقتصادى والاجتماعى للاتحاد السوفيتى وأسرة الدول الاشتراكية وإلى السياسة الخارجية النشطة للاشتراكية .

وقد أبرزنا أيضا الدور الهام الذى لعبته الطبقة العاملة والرأى العام،
التقدمى فى البلدان الرأسمالية وقوى التحرر فى اقامة علاقات طبيعية-
فى الحياة الدولية .

ولتحليل التغيرات فى المجال الدولى فقد شرعنا كما هو المعتاد فى
سيرفور الأساس الطبقي الذى تركز عليه . وقد قادنا هذا الى التوصل
الى النتيجة بأن التحول نحو الانفراج يمس تحولاً معيناً فى تطور
التناقضات الطبقيّة وخاصة تلك التى تتمثل على النطاق الدولى . وفى نفس
الوقت فإن النظرة الطبقيّة الى مثل هذه العملية التى تدور حول اعادة
تشكيل العلاقات الدولية فى نهج سلمى لاتتفق مع الاستنتاجات الفجة .
مثل تلك الاستنتاجات القائلة بأن الانفراج الدولى يقدم مزايا اكبر الى
جانب دون جانب آخر . فعلى العكس فإنه فى العصر الحادى - النووى
يصبح الحفاظ على السلام وتطعيمه وخلق الظروف السياسية الدولية
لإزالة خطر النزاعات المسلحة فى مصلحة البشرية جمعاء وبقاء الحضارة
وتطورها . ومن ثم فإن الجهود الدولية لتخفيف التوترات السياسية
الدولية ذات طابع إنسانى عميق . فالانفراج وثيق الصلة بالأخلاق وله
هدف أخلاقى صميم .

إن قضية الأخلاقيات فى السياسة الخارجية قضية مركبة غير بسيطة .
ولا يمكن لأى إنسان أن يدعى القدرة على شرحها وتفسيرها فى مقالة تنشر
بمجلة ما ، ولذلك ساقصر كلامى على بعض الجوانب الأساسية ذات الطابع
الملح اليوم .

والشيوعيون ليسوا من هؤلاء الناس الذين لا يقولون بالا الى المبادئ
الأخلاقية التى تعكس نفسها فى أى قرار أو عمل يتصل بالسياسة
الخارجية أو الذين لا يهتمون بمدى تلاؤم الوسائل المستخدمة فى السياسة
الدولية مع هذه المبادئ .

وقد أكد مؤسسو الماركسية بأن القيم والمبادئ الأخلاقية يمكن بل يجب
أن تكون اقوى وسائل الطبقة العاملة فى التأثير على الشؤون الدولية
حال كون الشعب العامل لم يصل بعد الى مستوى سلطة الدولة ولا يزال
غير قادر على ممارسة رقابة مباشرة على السياسة الخارجية لبلاده . وفى
هذا الصدد ، يمكننا أن نستشهد على سبيل المثال فقط بالبناء الذى وجهه
كارل ماركس الى العمال والفئ طبّاب فيه العمال بأن « يدافعوا عن
ويصونوا القوانين البسيطة للأخلاق والمعادلة التى يجب أن تسود
العلاقات بين الأفراد حتى تكون لهذه القواعد السيادة فى العلاقات بين
الأمم » .

وقد نما نفوذ وتأثير الجماهير العاملة بما فى ذلك النفوذ الأدبى والمعنوى
على السياسات الدولية نموا كبيرا منذ أن ظهرت البروليتاريا كطليقة
حاكمة على النطاق الدولى . وبمتاسبة اقتراب الذكرى الستين لسنة
أكتوبر الاشتراكية العظمى يمكننا أن نقرر أن هذا الحدث الأعظم فى عصرنا

قد فتحت مرحلة جديدة في تطور العلاقات الدولية ليس فقط من طريق أحداث تغيير جوهري في توزيع القوى الطبقة في السياسات الدولية . ولكن أيضا بإدخال مبادئ أخلاقية وإنسانية رفعة في هذا المجال لم تكن تمارس من قبل أبدا .

ولقد مثلت الخطوات الأولى التي اتخذتها السلطة السوفيتية في السياسة الخارجية وفي المحل الأول مرسوم السلام الذي أصدره لينين والذي اكتسب شهرة عالمية انتصارا حقيقيا للبروليتاريا في معركتها التاريخية من أجل التحرر والتحرير الاجتماعي والقومي لجميع القهורים والمستغلين . وقد كانت هذه الخطوات والأعمال أيضا ذات طابع أخلاقي حق وتعبر عن اتجاه أخلاقي رفيع تجاه الإنسان ويستند إلى المبادئ الأخلاقية للطبقة العاملة والكادحين .

وإذا كان لنا أن نقيم المساهمة التي قدمتها الدولة الاشتراكية الأولى في تاريخ العلاقات الدولية فائنا يمكن أن نخلصها في الجهد السياسي الذي لا مثيل له الذي بذلته لمنع نشوب الحرب العالمية الثانية والبطولة والتضحية بالذات التي أبدتها لتخليص العالم من الفاشية البربرية وخلق وتعميم أسرة البلدان الاشتراكية في إطار مبادئ المساواة والمسلطة المتبادلة والتضامن والتعاون الشامل ، وكذلك استخدام جميع مواردها ونفوذها لتحرير الشعوب من أغلال التبعية الاستعمارية ، وفي أكبر حملة منسقة وحازمة من أجل ضمان أمن العالم . ولقد كانت أيضا لهذه المساهمة أهميتها السياسية والمعنوية الضخمة .

ولست أغالي إذا قلت أن الأوروبيين والناس الذين يعيشون فوق قارنا التي كانت المسرح الرئيسي لحربين عالميتين والذين عانوا من المخاوف المربعة للحرب الباردة هم أكثر الناس إدراكا للفوائد الناتجة عن السياسة السلمية النشطة للاتحاد السوفيتي والبلدان الأخرى للأسرة الاشتراكية . ويعترف كل شخص أن المناخ السياسي الأوروبي قد تحسن كثيرا في السبعينات . ولم يقتنع البعض بهذه الحقيقة إلا بعد هيلسنكي . ولكن البعض قد لاحظ هذا التغير نحو الأحسن في فترة مبكرة بعد أن تم التوقيع على المعاهدات التي أقامت علاقات طبيعية في أوروبا الوسطى . وائنا نحن الشيوعيين وبتفق معنا كل إنسان لم نستطع العناية بالبورجوازية أن نعيه عن الحقيقة ونسب البداية في هذا التطور الإيجابي إلى المبادرات التي جسدها برنامج السلام المؤتمر الـ ٢٤ للحزب الشيوعي السوفيتي وإلى التحركات السياسية الدولية التي أصبحت معروفة بين الرأي العام باسم الهجوم السلمي للاشتراكية .

ولقد رفع الدور البارز الذي لعبه الاتحاد السوفيتي وأسرة البلدان الاشتراكية ككل في تحقيق هذا التحول من الحرب الباردة إلى الانفراج ، رفع من سمعته واحترامه في أعين الجماهير العريضة والرأي العام العالمي . وهذا شيء طبيعي . بل لعله من الطبيعي أيضا أن الطبقات

الحاكمة في البلدان الرأسمالية تبدى امتعاضها واستياءها من النفوذ والتأثير المتزايد للسياسة الخارجية الاشتراكية . وكما يلاحظ كل امرء يعيش في أى قطر من الأقطار الأوروبية الغربية فإن وسائل الاعلام الواقعة تحت سيطرة الرأسمالية قد ضاعفت وضلعت أكثر حملتها ضد البلدان الاشتراكية والاتحاد السوفييتى ونشاطاتها الدولية في الفترة الأخيرة . ويبدو هذا الأمر أحيانا كشيء محير . فبينما يعمل الدبلوماسيون بمناسد وتصميم للتقدم في طريق الانفراج الصعب فإن الصحافة المملوكة لراس المال الكبير تعمل كل ما في وسعها للارتداد بالرأى العام الى أوهم فترة الحرب الباردة .

وتردد الصحافة والأذاعة والتلفزيون في أوروبا الغربية نفس الأوهام والخزيميلات القديمة من « الخطر السوفييتى » . ونسمع ونقرأ يوميا بأن موسكو تستخدم سياسة الانفراج كغطاء وستار « لسياستها التوسعية » وأن الدول الأعضاء في معاهدة وارسو لا شغل لها إلا بناء قدرتها العسكرية لتتفوق على بلدان حلف الأطنطى .

وتهدف الحملة الافتراضية ضد السياسة الخارجية للاتحاد السوفييتى وإسرة البلدان الاشتراكية ككل بوضوح الى جعل الناس يعتقدون بأن النفوذ الذى لم يسبق له مثيل للاشتراكية على الحياة الدولية يرجع فقط الى قوتها الحربية وإلى استنادها الى القوة المسلحة وما الى ذلك . ولا ينكر أى انسان بأن القدرة الدفاعية للبلدان الاشتراكية لها وزن كبير في السياسة الدولية . ولكن ليس من الواقعية في شيء التوكيد بأن المراكز الدولية للاشتراكية تقوم فقط على أساس قوتها العسكرية وتلقيم هذه القوة . فان عنصرا جوهريا من العناصر المكونة للسياسة السلمية الاشتراكية التى تتمتع بفضلها الشعوب المكونة للسياسة السلمية العالم الأخرى بشعور الأمن ، هذا النضال الحازم والثابت من أجل نزع السلاح والذى وصفه لينين بأنه المثل الأعلى للاشتراكية .

وجميع الخطوات العملية الهادفة الى ندم الانفراج السياسى بانفراج عسكري ليست سوى نتائج للاتفاقيات التى يادر الاتحاد السوفييتى الى تقديمها . وعلى سبيل المثال كان هناك معاهدة موسكو لحظر التجارب ، ومعاهدة عدم انتشار الأسلحة النووية واتفاقية حظر الأسلحة البكتريولوجية وقدم الاتحاد السوفييتى في السنوات الثلاثين الماضية أكثر من سبعين اقتراحا لوقف سباق التسلح وخفض الاتفاق العسكري والصعب الذى يفرضه واقامة موانع أمام استخدام القوة في العلاقات الدولية . وبعد أنجاز خطوات عملية نحو نزع السلاح الشامل أحد الخطوط الرئيسية للسياسة الخارجية السوفيتية المبرجة بواسطة المؤتمر الـ ٢٥ للحزب الشيوعى السوفييتى .

وليس من العقول أن دولة تعتمد كلية في صياغة سياستها الدولية على القوة العسكرية أن تبدى هذا الاهتمام والاصرار والتصميم لنزع

السلاح أو لا تدع فرصة تظت لتخليص شعوبها والإنسانية جمعاء من.
الانقراض المهلك على الأسلحة وعلى تخزين الأسلحة الخطرة والقتال .

وإذا كان المرء أن يتصف بالواقعية فعليه ألا يتجاهل الأهمية العظمى.
للقوة العسكرية للاشتراكية بوصفها عاملاً ضرورياً في السياسة
الخارجية اليوم ولكن عليه ألا يتجاهل أيضاً أن السممة والنقوذ الدولي
لهذه السياسة لا يمكن أن تقاس بعدد الصواريخ والذباب . فلكسوة
جلايتها تكن في سلمية هذه السياسة ، في اهتمامها الكامل بالأشياء
الغريبة للأمن والاستقلال والمساواة بين الشعوب ، وبالتصاقها بالسلوى
الأخلاقية الكفنة في السياسة السلمية التي تتبعها البلدان الاشتراكية .

إننا نعيش في عصر تكتسب فيه أفكار وأحلام وآمال المصالح الحيوية
ومطامح وكذلك القاييس الأخلاقية للملايين بل بلايين الناس العاديين وزنا
أكبر في الشؤون الدولية من أى فترة سابقة منما كان ميزان القوى.
العالمى مختلفاً عن الوضع الحالى . ولقد ذهبت الى غير رجعة تلك الأيام
التي كانت فيها البنوك ركباً منتجى الأسلحة والأوليجاركيات السياسية
والمجموعات الخاضعة لها تقرر مصير العالم . ومنما نتحدث نحن
الشيوعيين من النجاحات الكبرى على النطاق العالمى لقوى السلام
والديموقراطية والاشتراكية فإننا نضع في المحل الأول الدور العظيم
المتزايد للشعوب وللراى العام في صياغة وتشكيل السياسة الخارجية
وتأثيرها المتزايد على الحياة الدولية .

ولكن في أى طراز يكون هذا السياسى الذى يسمح لنفسه أن يغمض
عينيه من هذا الوضع الدولى الجديد ؟ انه لن يكن إلا من هذا الطراز
الذى فقد كل الاحساس بالحقائق الدولية والذى تطع كل صلة له.
بمجريات عصره . وكذلك علينا أن ندرك أن الديموقراطية تستخدم أيضاً
كوسيلة « لاختفاء » مطالب الشعب . والتاريخ السياسى للرأسمالية ومنذ
زمن بعيد حتى يومنا هذا ، ملأ بالمحاولات من جانب الطبقة الحاكمة
والرأسماليين لتكثيف انفسهم مع السيكلوجية الاجتماعية للجماعات
ولطماعهم ورغباتهم الديموقراطية الظاهرة . وفي نفس الأحيان ينخد
فيه مثل هذا التكثيف من جانب الامبريالية مع الظروف والاحوال التجارية
شكل تنازلات حقيقية للشعب وفي أحيان أكثر تكون هذه التنازلات ذات
طابع كلامى أجوف .

وليس من العسير على المرء أن يدرك الأسباب التي دفعت الرئيس
الامريكى الجديد ومعاونيه لبلد هذا الجهد الهائل لتجديد شمساعات
السياسة الخارجية واكسابها الجاذبية المرغوبة ، فهمي تكن في تمعق
أزمة الرأسمالية العالمية ، واقتصادها ونظام علاقاتها الاجتماعية
وسياساتها الداخلية وسياساتها الدولية . وقد أصابت هذه الأزمة بالضرر
الفادح الامبريالية الأمريكية ومراكزها في العالم . فواشنطن لدورها
القيادى في الحرب الباردة ولادعاءاتها الصريحة للسيادة الدولية ولغامرتها

الإجرامية في فيتنام ولاعتدائها المستمر على سيادة البلدان المستقلة وأعمالها التي وصلت الى حد تصدير الثورة المضادة - كما حدث في شيلى مثلاً قد تسببت - وفقاً للتقديرات الأمريكية نفسها - في حلول ٢١٥ حالة من التهديد الخطر باستخدام القوة العسكرية لكي تحمي نفوذها الدبلوماسي ، ولهذا فإن الثمن الذي كان على الولايات المتحدة أن تدفعه هو خسارة سمعتها الأدبية والأخلاقية في المجال الدولي .

وقد استنارت هذه السياسة الشكوك وعدم الثقة حتى في صفوف أوثق أصدقاء الولايات المتحدة . ويمكن تقييم السياسة الخارجية للولايات المتحدة في السبعينات ، وهو تقييم شائع الاستخدام وله ما يبرره ، ويمكن تسميته « بأزمة الثقة » .

وقد أثار هذا الوضع قلقاً بالغاً في الدوائر الحاكمة الأمريكية . وفي الصحيفة الأمريكية « الشؤون الخارجية » في أحد أعدادها التي صدرت قبل عام من التغيير الذي حدث في البيت الأبيض يمكن للمرء أن يقرأ السطور التالية « لقد تدهورت القوة الأخلاقية والسياسية والاقتصادية للولايات المتحدة » ، وأنه منذ حرب فيتنام وفضيحة ووترجيت فلان البلاد قد أصبحت مواجهة بمهمة « التجديد السياسي والسيكولوجي » وأن هذه المهمة قد دفعت صانعي السياسة الخارجية الأمريكية الى البحث عن « واجهة إنسانية عريضة » يمكن أن تجعل مسلك السياسة الخارجية الأمريكية أكثر سهولة . « انظر الشؤون الخارجية - يناير ١٩٧٣ صفحات ٢٧١ - ٢٧٢ » .

والآن وقد أعلن الرئيس كارتر عزمه على جعل الأخلاقيات المبدأ المرشد للسياسة الخارجية للولايات المتحدة ومر وقت أتاح لمبدئه أن يمسر باختبارات عملية أولية يمكن للمرء أن يتساءل هل نجحت الولايات المتحدة في وضع أرجلها على المخرج الذي ينتزعها من « أزمة الثقة » التي تعاني منها .

وبوضوح تام فإن التصريحات الرسمية لواشنطن حول رغبتها لوضع سياستها الخارجية على أساس أخلاقي لاتعدو أن تكون مجرد وعود فسد الثغرة الواسعة بين الأقوال والأعمال التي ظهرت في كل تحركات الولايات المتحدة في العقود الأخيرة . والمثل الكلاسيكي والأمثل على هذا النحو التأييد والمساندة الشاملة من جانب الولايات المتحدة للديكتاتورية وللانظمة البوليسية والفاشية والمنصيرية بينما كانت تعلن إخلاصها لمبدأ الحرية . وبالتأكيد فإن أهمية أي موقف سياسي يمكن الحكم عليه بالأعمال وليس بالأقوال وأن الأقوال إذا لم تتطابق مع الأعمال فإن التصريحات الأخلاقية لا تساوى شيئاً .

وإذا استرشدنا بهذه الأفكار فما هو الأثر الذي أحدثته تحركات واشنطن في المجال الدولي في ظل الإدارة الجديدة ؟
لم تتردد الحكومة الجديدة في الولايات المتحدة في أن تعلن رسمياً

رغم ادعائها اتباع سياسة أخلاقية فإنها تنوى العمل من أجل ادخال تغييرات فى قوانين وقواعد واساليب حياة البلدان الأخرى . وفى الحياة العادية اعتبر دائما تصرفا غير أخلاقى ذلك التصرف الذى ينسب فيه المرء لنفسه الحق فى تعليم الآخرين كيف يتصرفون . أما فى العلاقات الدولية فإن مثل الادعاءات التى تتضمن بالضرورة الاعتلاء على حق السيادة للامم والخرق الفاضح لمبدأ عدم التدخل فى الشؤون الداخلية للبلدان الأخرى لا يمكن أن تمت بآية صلة الى المبادئ الأخلاقية .

ان سلسلة التصريحات والتحركات الأمريكية التى اتخذت طابع الهجمات الفجة على النظام السياسى والاجتماعى للاشتراكية تحت زعم « التحديد الأخلاقى » للسياسة الخارجية الأمريكية تعيد الى الانهيار بقوة أسوأ امثلة دبلوماسية الحرب الباردة . وهل يكون من المقبول أصفاء اسم التصرف الأخلاقى على التصرفات التى تهدد بتسليم منافع الانفراج والارتداد بالعلاقات الطبيعية فى الحياة الدولية التى تطلق الإنسانية عليها الفضل واعز آمالها والتى بدلت فى سبيلها الكثير من العمل والمزيد من الصبر ؟ .. وهل من المقبول أن يكون السلوك الذى يؤدى الى تقويض أمن الشعوب سلوكا ينسجم مع مفهوم « دبلوماسية الشعب » ؟

ومن ثم فإن اعلان المرء تمسكه بالمبادئ والمثل الأخلاقية لا يمثل فى حد ذاته ضمانا ما . وبالإضافة الى هذا فإن مثل هذه الاعلانات تصبح لا أخلاقية وذات خطورة عندما تستخدم لاختفاء الممارسات السياسية التى تنالضى أكثر مطالب عصرنا ديموقراطية وإنسانية .

وليس من قبيل المصادفة أن المفهوم الأمريكى من « السياسات الأخلاقية » بدلا من أن يستحوذ على استحسان العالم قد قوبل من قبل أقسام كبيرة من الناس ببرود وأثار بعض القلق حتى فى صفوف حلفاء واشنطن . وقد شعر كثير من رجال الدولة البورجوازيين بأنه من واجبهم فى ضوء حقائق الحياة الدولية أن يحذروا من هذا التلاعب الأمريكى بالأخلاقيات حيث أن هذه اللعبة يمكن أن تنقلب الى « اللعب بالنار » . وسيتضح فى المستقبل القريب ما اذا كانت الإدارة الجديدة الأمريكية تستنفع هذا أو لا .

أما بالنسبة للقوى التقدمية وبالنسبة لنا نحن الشيوعيين بالتحديد فإننا نرى أنه من واجبنا أن نظل على يقظة بالغة من المناورات الأيديولوجية والسياسية الامبرياليين الأمريكيين وغيرهم بمن فىهم الأوروبيون الغربيون . وعلينا أن نكشف الدافع الحقيقى الذى يكمن خلف هذه السياسات وأن نبرهن للشعب أننا على حق فى تحليلاتنا واستنتاجاتنا

ندوة
عالمية

مشاكل
المدن

ناقشت ندوة عالمية عقدت في براغ بإشراف مجلة « قضايا السلم والاشتراكية » هذه القضية • وحضر الندوة روث كيسلر رئيسة لجنة تخطيط المدينة في درسدن بجمهورية ألمانيا الديمقراطية والبروفيسور ديتز هوسيل باكاديمية العلوم الاجتماعية - السياسية والقانون بجمهورية ألمانيا الديمقراطية ، وجيانكارلو تواجليوتي قائد المجموعة الشيوعية ببلدية تورين في إيطاليا ، ورنيزو تشياولو قائد المجموعة الشيوعية ببلدية بوسولينو في إيطاليا ، ونيقولاى يابلوكوف رئيس اللجنة التنفيذية لسوفييت مدينة ياروسلاف في الاتحاد السوفيتى ، وديمتري برونز كبير المهندسين المعماريين في الاتحاد السوفيتى ، وتيسستو يعتنين محافظ كيمي في فنلندا ، ومارسيل روسيت عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الفرنسى ، وزدنيك زوسكا محافظ براغ في تشيكوسلوفاكيا ، وفاتسلاف كاساليتسكى مدير معهد فنى العمارة فى براغ بالاضافة الى اعضاء لجنة القضايا النظرية العاملة فى مجلة « قضايا السلم والاشتراكية » •

وكانت النقاط المطروحة للنقاش هي : القضايا التي تواجهها المدن وجوانبها المتميزة فى ظل النظامين الاجتماعيين المتعارضين ، ومركز السلطات البلدية فى هيكل سلطة الدولة وقدراتها فى تحقيق المصالح الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للشعب العامل ، وقضايا الرقابة على التحضر وقدراتها فى ظل الرأسمالية والاشتراكية ، والخطوط الرئيسية للنشاط الشيوعى فى مجال اشاعة التحضر فى البلدان الاشتراكية والرأسمالية •

عنصر في النضال ضد الاحتكار

يرتبط تطور المجتمع الرأسمالي اوتق ارتباط بنمو المدن ، وتركز الطبقة العاملة فيها ، ونمو وعيها الطبقي وتنظيمها . وقد عرف لينين المدن بانها « مراكز الحياة الاقتصادية والسياسية والروحية للشعب » . والأداة الرئيسية للتقدم » . (لينين - المؤلفات الكاملة - المجلد ١٩ - ص ٢٧٠) . وقد كانت المدن الرأسمالية دائما يؤرة للتناقضات الاجتماعية للمجتمع البورجوازي التي لا حل لها . فكيف تكون المدينة الرأسمالية اليوم من الناحية الاجتماعية ؟ وما هي الجوانب الجديدة التي تبنيها العلاقات بين الطبقات وبين المجموعات الاجتماعية على مسرح العصر وكيف نضمها السياسة الشيوعية في الاعتبار ؟

أوضح رينز تشيمايوليو أن التحول العميق الذي يجري في المجتمع الايطالي منذ نهاية الحرب العالمية اثنائية كعملية تحفزها المعارك السياسية والاجتماعية للطبقة العاملة والفئات الشعبية الأخرى يتضمن نموا عميقا سريعا للمدن . لقد تدفق على المدن ملايين الناس الذين يفتقرون الى المؤهلات المناسبة والسكن الملائم . ويجبر أولئك الذين تمكنوا من الحصول على مسكن على دفع جزء كبير من أجورهم في صورة ايجار ، ويصل هذا الجزء بالنسبة للبعض الى نصف الأجر . أما بالنسبة لمستوى بناء المدارس والعناية الطبية وغيرها من الخدمات فتتواضع للغاية . وصاحب عملية التدهور اقتصادي وإفقار كثير من المدن . وازداد علم التوازن التقليدي بين الشمال والجنوب وأصبحت هناك مناطق زراعية واسعة في الجنوب مهجورة . وفي المقابل ازدادت الفئات الطفيلية ثراء . وتدفع آلاف وآلاف الملايين من الليرات سنويا كإيجارات في المدن . وأصبح لدى كبار الصناعيين والاحتكاريين احتياطي ضخم من العمال المستعدين للعمل مقابل أجور تقل كثيرا عن حد الكفاف .

بيد أن العمال لم يتخفوا أبدا موقفا سلبيا أو ضعيفا في مواجهة هذه الظواهر . لقد تجمعوا معا - بقيادة الحزب الشيوعي وغيره في المنظمات الديمقراطية - لمقاومة ضغط الاحتكارات ، وتركوا طابعهم على التطور الوطني ، وعلى سياسات التحضر ، وعلى الثقافة والحياة العامة عموما .

وأضاف جيانكارلو كواجيولوتي أن نمو فئة جديدة من سكان الحضر مهمة من سمات البيئة الاجتماعية في المدن الرأسمالية اليوم . وفي الوقت الذي يطور فيه الحزب الشيوعي الايطالي التحالف التقليدي بين العمال والفلاحين فإنه يوحد بثبات الفئات الشعبية الأخرى خلف الطبقة العاملة . وبهذا الأسلوب فأننا نعمل رأس المال الاحتكاري وكل من

يرتبطون بالفتات الطفيلية وتقلص مصالحهم • وتمكس العلاقات بين مختلف أقسام سكان الحضر انزاع بين انقوى ذات المصالح الاقتصادية والسياسية المتعارضة • وقد كان الشيوعيون دائما كقادة لأجهزة الحكم المحلي أو كمعارضة سياسية - الى جانب القوى السياسية الأخرى - خصوصا الداه للنظام الرأسمالي ، واثاروا القضايا الرئيسية ننضال من أجل سياسة حضرية جديدة ، كما كشفوا الطابع الاجتماعي لهذه القضايا •

ويلود صراع مرير من أجل التنمية المخططة ، صراع لضمان أن تخدم عملية التحضر المصلحة العامة ، والموازنة بين التنظيم الإقليمي للبلاد. وتنميتها الاقتصادية • كما أننا نشن حملة من أجل سياسة اسكان تجعل من الممكن حل هذه القضية باعتبارها قضية اجتماعية ، ومن أجل انتهاء المضاربة في العقارات ، ومن أجل تحويل المدارس الى أداة لتقافة جديدة. وإعادة تنظيم وسائل المواصلات ومن أجل خدمة طبية في متناول الجميع • وقد حضرت هذه الحملة المكاسب التي حصل عليها الشيوعيون وغيرهم من الديموقراطيين في الانتخابات البلدية في يونيو ١٩٧٦ • وفي الوقت الحالي يعيش ٢٥ مليون ايطالي في بلديات يحكمها الشيوعيون ، ويرأس الشيوعيون بلديات تورين وناپلولى وفلورنسا وكثيرا من المدن الكبيرة الأخرى •

وتحدث كواجليوتي عن بعض انجازات بلدية تورين وغيرها من اجهزة الحكم المحلي التي يسيطر عليها الشيوعيون في مجال تحسين حياة الشعب الكادح • وأوضح أن القوى الديموقراطية قد وجهت لكمة قاسية للاستخدام الطفيل للأراضي في المدن والمضاربة •

وقد أشار المشاركون في النقوة الى أن أزمة الاسكان والتطور غير المنسق لبعض العناصر المكونة للنظام الحضري ، وفقدان الوسائل الصحية وتفشى الجريمة والبطالة وكثير من الجوانب الأخرى للحياة الحضرية التي لغت انجلز الانتباه اليها منذ أكثر من مائة عام ما زالت قائمة اليوم وإن كان على نطاق أوسع وباشكال أكثر حدة • وقال هالوسيل ووسيت أن أزمة الاسكان بصورة محددة قد أصبحت لا تطاق • فهي لا تؤثر على الطبقة العاملة فقط ، بل تؤثر أيضا على الاخصائيين والمعمال ذوى الياقات البيضاء • وتبلغ أعداد هؤلاء الذين يعيشون في أحوال غير مرضية ٧٥٠٠٠ من سكان الأكواخ و ٢٧٠٠٠٠ عائلة تعيش في منازل ليست مزودة بمياه جارية أو في مساكن آيلة للسقوط ، و ٩٠٠٠٠٠ شخص بيتون في مساكن مزدحمة ومكدسة بشاغليها • وتتفاقم اليوم اشكال البؤس الاجتماعي من جراء تفاقم الظروف المعيشية غير الصحية والأزدحام أو شراء المساكن بازدياد تكاليف الخدمات العامة • فهذه الأعباء أصبحت ثقيلة على ميزانية الأسرة وبلغت المتأخرات في الايجارات أبعادا مفرقة • ونتيجة لذلك يتم الحجز على ممتلكات الأسر وتقوم الشرطة بتنفيذ

لاوامر رسمية بطردها من مساكنها . ولا تستطيع كثير من الامر تحمّل نفقات انغاز والكهرباء . ويزيد من سوء الوضع الخطير في الاسكان النقص في المؤسسات الثقافية والعامة أو الاقتصاد الدلي لها وكذلك دمار انبينة .

وتمس أزمة التحضر جميع الفئات الاجتماعية غير الاحتكارية وان يكن ذلك بدرجات متفاوتة . واثّر فاكثر نتجه تحركات مختلف مجموعات السكان ضد السلطة الاحتكارية وجهاز الدولة التابع لها . وتحاول الدولة استخدام سياسة التطوير الحضري كوسيلة لتقسيم الفئات الحضرية غير الاحتكارية وغرس الاوهام الاصلاحية في صفوف الفئات الأقل تعرضاً للاستغلال . وادت اطالة فترة المواصلات اليومية الى اطالة يوم العمل وإلى نوع من الابطاء في النضال على المستوى المحلي ، الا أنه نتيجة لتفاقم الأزمة ويفضل النشاط التوضيحي للحزب الشيوعي الفرنسي والأعمال التي نفذت بمبادرة منه أو بمشاركتة ، والدور الخاص للبلديات التي يقودها الشيوعيون تقل أكثر فاكثر فعالية الوسائل التي تستخدّمها الحكومة لوقف حركات فئات سكان المدن ومنع امتزاجها في تيار واحد . وإيا كان من يبادر بالعمل فإن الحزب يساعد بدرجة حاسمة في توجيه العمل ضد المسؤولين الحقيقيين عن الوضع وتقديم البديل الممكن والمتاح وتوضيح مصلحة كل القطاعات غير الاحتكارية في التحرك . وبهذه الطريقة يحول الحزب دون انتشار الأفكار الاصلاحية بين صفوف الشعب ويساعد على زيادة الارتباط الشسمى بهذا النضال . وقد أدت الأزمة المتفاقمة ومختلف أنواع التوازن والتشويه التي يسببها التحضر الاحتكاري - على الرغم من الجهود التي تبذل على المستوى البلدي لاشباع الاحتياجات الأساسية للسكان - الى تنشيط جهود الحزب الشيوعي الفرنسي لوضع معالجة وطنية لتحديث سياسة تعالج الظروف المعيشية في اطارها الواسع . وقد حدد برنامج الحزب « من أجل حكومة ديموقراطية للوحدة الشعبية » (عام ١٩٧١) المهام المطروحة في المرحلة المقبلة . وفيما بعد ادرجت كثير من هذه المهام في برنامج الحكومة المشترك للأحزاب اليسارية الثلاث .

وأوضح تشاويولو أن القوى الديمقراطية الإيطالية قد رأت دائماً في الحكم الذاتي المحلي هدفاً استراتيجياً للنضال من أجل تحرير الشعب . أن قضية البلديات في إيطاليا لم تكن أبداً قضية إدارية خاصة بل قضية سياسية أيضاً . وهي تلعب دوراً هاماً في النضال من أجل ديموقراطية أوسع ومن أجل نموذج اقتصادي واجتماعي جديد للبلاد وعلاقات دولية جديدة وقد ازداد دور البلديات اليوم ، ويرجع ذلك في المقام الأول الى الحاجة الملحة الى أحداث تغيير أساسي في طبيعة سلطة الدولة وهيكلي تركيبها . فقد فرض الديموقراطيون المسيحيون على البلاد - بزيادة دور جهاز الدولة الذي يخلف مصالح البورجوازية الكبيرة وسلطتها - نهجاً معاكساً تماماً للتطور يؤدي الى سوء الإدارة وتبديد الموارد الوطنية ، وهو

• هج من المحم أن يؤدي الى تقليل امكانيات أجهزة الحكم المحلي .

غير أن طبيعة البلديات ذاتها - حيث أن النفوذ الشعبي قوى - تتطلب بالضرورة التأكيد على إشباع احتياجات الشعب بتشجيع الاستهلاك الاجتماعي والجماعي . وتقف البلديات في مقدمة حركة البرمجة الديموقراطية ، والتنسيق الوثيق بين الخطط الوطنية والمحلية حتى تكون قادرة على المشاركة في اختيار ووضع الخطوط الأساسية للتنمية ، والإشراف على تنفيذ الخطط . وفي إيطاليا لا يمكن بلوغ أهداف الإصلاح الديموقراطي إلا بشن حملة جماهيرية واسعة ، والحق الهزيمة بمقاومة المحافظين . وتعتبر البلديات قناة رئيسية لتشكيل وعمل الحركة السياسية الجماهيرية وقد أظهرت طاقاتها الهائلة في تحقيق التغييرات الديموقراطية ، وتوسيع حقوق الشعب ، وإقامة نظام ثابت من التحالف بين الطبقة العاملة وغيرها من الطبقات والفئات المستقلة .

وشرح نيزولاى باكيولوف أن زيادة الديون المالية من أكبر المضلات التي تواجه المدن الرأسمالية . وتسأل هل يمكن أن تعمل حلا جذريا وديموقراطيا بزيادة استقلال البلديات دون تغيير الطبيعة الطبقة للسلطة الوطنية ؟ يبدو لي أن التأكيد على النشاط على المستوى البلدي وليس على الموقف من الدولة ، والنضال لتغيير البنية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للمجتمع أشبه بمحاولة اقتلاع شجرة بتشذيب فروعها . وبشكل عام هل تستطيع البورجوازية أن تمنح البلديات - وخاصة تلك التي يحكمها الشيوعيون - الموارد المالية والمادية التي تحتاجها لحل قضايا المدن الاجتماعية ؟

وأجاب تشياريولو أن الحزب الشيوعي الإيطالي يطالب في المقام الأول أن تتحمل الدولة كل ديون البلديات على أن تسددها في أربعين عاما . كما يطالب الحزب بتغيير نظام الضرائب بحيث يدفع الأغنياء ضرائب أعلى . وإنها لفضيحة أن ألوف الأثرياء ما زالوا يتهربون من الضرائب كل عام مستغلين مختلف الحيل والنفقات . ومن الضروري أن نطبق نموذجا جديدا تماما لتوزيع موارد الضرائب بين الدولة والبلديات . ففي حين أن نطاق نشاط البلديات قد اتسع فإنها لا تحصل إلا على ١١٪ حتى في ظل الدكتاتورية الفاشية . ومن المهم أن نجد حلا يكفل مشاركة الجماهير على نطاق أوسع، ويجعل في الامكان وضع مصالح كل البلديات في الاعتبار ، والربط بين جهودها ومواردها .

وأشار روسيت الى أن دور الأجهزة البلدية في ظل رأسمالية الدولة الاحتكارية دور متناقض . فهي من ناحية ملحقه بجهاز الدولة ومؤسسة تكن البورجوازية من أحكام قبضتها على الشعب الكادح . ومن الناحية الأخرى ، فإن الجهود التي تبذل لتكييف بنية البلديات مع احتياجات الاحتكار تصطدم بالحقيقة الماثلة في أن البلديات تسعى الى الاحتفاظ

بالاستقلال النسبي الذي كان متاحا لها من قبل في إطار اديموقراطية البورجوازية ، وذلك بوصفها بدرجة أو أخرى مرازن تقليدية للنشاط اديموقراطي . وطيلة سنوات رفض الشيوعيون المنتخبون لمختلف الاجهزة تأييد استراتيجيية السلطات ازاء التحضر وغيرها من القضايا . كما فامرو بمد يد من المبادات لتطوير حركة السكان والارتفاع بالطابع اديموقراطي للادارة البلدية سواء في وضع سياسة حضرية أو في اشباع المطالب المعالجة . واننا ندعو الفرنسيين الى أن يتناضلوا معنا من أجل عدم تسريح العمال من وظائفهم وتوفير أعمال جديدة ، ولمساندة الحرف والمهن ، ومن أجل تطوير قوى للمؤسسات الاجتماعية والثقافية ، وحتى يكفل نكل امرى الحق في السكن ، ولكي تقوم الدولة بواجبها في تمويل البناء الاجتماعي وتخفيض الاجارات ، ومن أجل وسائل مواصلات عامة حديثة ، وضد تلويث البيئة . غير اننا ندرك أن السياسة الحضرية السلمية ، والتحسين المستمر في ظروف المعيشة والبيئة مستحيل دون اجراء تغييرات عميقة ، دون تغيير السياسة ، دون تغير السلطة ، ودون تغير المجتمع .

وأوضح تشايفولو اننا حين نلغو الى حكم محلي أكثر ديموقراطية ، وحين نرفع القضية الى مستوى القضايا الوطنية لا نقصر الامر على ادارة مجالات ذات أهمية ثانوية . اننا نسعى الى استخدام ميكانيزم تدخل الدولة في الاقتصاد كوسيلة لكي ندخل على بنية البلاد الاجتماعي والاقتصادية عناصر تتناقض مع طبيعة الامر بالية . ان مياستنا ليست سياسة اصلاحية ، فلقد اختار الشيوعيون في اجهزة الحكم المحلي التي يشكلون الاغلبية فيها الطريق الهادف الى اشباع احتياجات الشعب اليومية ، وربط حل القضايا بخطة أكثر شمولاً لتحويل الاقتصاد والمجتمع بأسره . واننا نحرص على حماية مكاسب الشعب اديموقراطية وتوسيعها فهي بالدرجة الأولى نتاج لمعارك الطبقة العاملة . ومن شأن هذا أن يولد تناقضات جديدة في ميكانيزم المجتمع الرأسمالي . وتعتبر اديموقراطية الأساس الذي تشكل عليه الطبقة العاملة قوتها ، وتبنى به قدرتها على حكم البلاد بالتحالف مع القوى الأخرى

وقد أوضحت الندوة أن الدوائر الحاكمة تعارض تطوع الشيوعيين الى اجراء تغيير كامل في طبيعة سلطة الدولة ، ووضع حد للسيطرة الاحتكارية، ولسياسة وأيدولوجية تنظيم الدولة الاحتكارية لعمليات التحضر . فماهي حدود هذه القواعد وجوانبها المتناقضة ؟

قال يچتينين أن امكانية السيطرة على التحضر في المجتمع الرأسمالي تتوقف لحد كبير على امكانية تنظيم الاستثمار . وحتى وقت قريب كانت أغلب اجراءات الحكومة مقصورة على الاستماعة بالشركات ومنحها القروض وفي الوقت الحالي تبذل بعض الجهود لتوسيع أشكال تنظيم الدولة الاحتكاري للاستثمار واساليبه . وتلور في فئلتنا مناقشات حامية حول ما اذا كان لذلك تأثير على توزيع تسهيلات الائتجاج ، وتوفير مزيد من

الاعمال وما الى ذلك . ويشترك الشيوعيون في هذه المناقشات ويؤكدون أن متطلبات السيطرة على عملية التحضر وتنظيمه ، ومتطلبات التنمية الاجتماعية المخططة عموما ، لا تتوافر الا حيث يسيطر المجتمع على الاستثمار ، وهذا يعنى بدوره تغييرات اجتماعية عميقة . وتزداد الحاجة الى تحويل التحضر من عملية عفوية الى عملية منظمة . واننا نرى فى ذلك حجة جديدة لصالح الاتفاق الاشتراكية التى يدعو لها الشيوعيون وكل الديمقراطيين .

وأشار ووسيت الى أن الحدود الضيقة لتنظيم الدولة الاحتكارى لعمليات التحضر ترجع الى العوامل المشكلة لبنيتها فى التنظيم الاجتماعى للمجتمع الرأسمالى اليوم . ومن أبرز هذه العوامل عنصران : المؤسسات الكبيرة كمنظمات للإدارة الانتاجية والاقتصادية تتلام مع تركيز رأس المال ووسائل الانتاج ، والدولة التى تتدخل بشكل متزايد فى النشاط الاقتصادى وفى الحياة العامة عموما ومن ثم تصبح « المنظمة » لها وتلعب دور « المدير » لتلك القطاعات التى لا غنى عنها للانتاج ولكنها تدر معدل ربح تراه الاحتكارات غير كاف . ويتوقف تحقيق توازن نظام التحضر على مدى التداخل بين عملية الانتاج وعملية اعادة انتاج الحياة العامة - ويدعو منطق نظام التحضر المتوازن الى تنظيم يتفق ومنطق اعادة انتاج قوة العمل على حساب مصالح رأس المال الخاصة وليس التدخل الحكومى فى ظل الرأسمالية محايدا ، وكذلك ليس محكوما بأهداف ترشيد نظام التحضر وانما محكوم بطبيعة الجهاز ذاته ويتأثر بمراعاة المصالح ، الكامنة القائمة فى هذه الصناعة أو تلك ، كما يتأثر - عند كل المستويات - بصلاقتة بالصراع الطبقي والوضع السياسى . ومن هنا تنشأ التناقضات والازمات الشاملة للدولة البورجوازية بكل ما يترتب على ذلك من نتائج . بيد أن الاهداف السياسية لادارة نظام التحضر لا تجبر جهاز الدولة على التدخل بشكل متباعد ومنقطع يزيد من تناقضات النظام فحسب ، بل كذلك على إخفاء عجزها عن التحكم فى تطور التحضر وإزالة تناقضات التحضر - الرأسمالى .

الاشتراكية توفر حولا فى صالح الشعب

ولما كانت الاشتراكية تقدم على الملكية العامة لوسائل الانتاج وعلى الديمقراطية فانها تغير طبيعة القضايا الاجتماعية تقيرا أساسيا وتفسيقا بعنا جديدا الى نشاط البلديات الشيوعية . وقد أوضح المتحدثون فى الندوة أن المسألة التى تحتل الاولوية فى المجتمع الاشتراكى هى توجيه عمليات التحضر بطريقة ترفع من مستويات الرفاهية ويمثل التخطيط النقطة الجوهرية فى الإدارة الحضرية .

وأوضح ديمتري برونز أن الخطة العامة لتطوير أي مدينة تنطوي على تطوير المدينة ككيان واحدة متجانس . وهذه الخطة التي توضع بناء على تعليمات سوفيات المدن تغطي فترة تتراوح بين عشرين سنة وخمسين سنة ، وتحدد خطوط التطوير الحضري وحجم مناطق الإسكان والمناطق الصناعية ومواقعها ، وتوسيع النقل والخدمات والتسهيلات التعليمية والطبية والثقافية والرياضية وتسهيلات الإيجات وإجراءات حماية البيئة وينفذ كل هذا العمل على مراحل وفقا لجدول زمنية محددة ، كما تنص الخطة العامة على توسيع موارد المياه وشبكة المجارى والقوى الكهربية الخ . . . ويقرر سوفيات المدينة الأهداف الرئيسية للخطة العامة وما يستلزمه وضع هذه الخطة من بيانات أساسية . وتأتي الخطة نتيجة لجهود الجعاعية لعملاء الإسكان والاجتماع والمعماريين والمهندسين وخبراء النقل وغيرهم من المتخصصين .

ووصف برونز كيف يتم ذلك فى ثلاثين عاصمة استونيا السوفيتية ، وكيف حلت القضايا الاجتماعية الحادة التي خلقت أيام الحكم النرويجي والحرب العالمية الثانية . وقد بدأت إعادة بناء الاشتراكية باستعادة طاقة اندية الصناعية وإقامة أحياء صناعية جديدة . وكان هذا جزءا من خطة طويلة الأجل . واليوم تنتج صناعات المدينة ما يساوى ٤٠ ضعف ما كانت تنتجه قبل الحرب . وظهرت مناطق صناعية جديدة فى أماكن اختبرت بنائية . وكان فى هذا حل لقضية من أكبر القضايا الاجتماعية وقضايا تخطيط المدن ، ونعنى بها توفير النقل وغيره من التسهيلات لالوف العمال، كما كان فى هذا حل لمسألة اجتماعية أخرى هى توفير الإسكان لسكان ثلاثين قاطن قبا أن أعيد بناء الصناعة وأدخلت اصالب البناء الصناعى حتى بدأ بناء المساكن على نطاق واسع . وهكذا زادت المساكن بنسبة ٣٣٠٪ فيما بين ١٩٥٦ و ١٩٧٦ بما يعنى زيادة المساحة السكنية بالنسبة للفرد الى ١٥١ متر مربع . وأدى هذا الى تخليص المدينة من كثير من منازلها العتيقة التي لا تتوفر فيها المقاييس المطلوبة وانتقال من يعيشون فيها الى شقق جديدة حديثة . وكانت تلك مهمة ضخمة . وخلال السنوات الثلاثين الماضية أضفنا عمليا ثلاث مدن جديدة الى مدينة ثلاثين القديمة . ومع استمرار طاقنا الاقتصادية فى النمو فاننا نتحول الى بناء طراز جديد أفضل من المساكن مع تزويد كل منطقة سكنية برياض الأطفال والمدارس والمحلات والمستشفيات وما إليها . ان طبيعة الاشتراكية ذاتها توفر ظروفا مواتية للحل المخطط للقضايا المتضررة وتمكننا من تجنب الظواهر السلبية التي تميز المدن الرأسمالية . وعلى سبيل المثال فان مدنا لا تعاني أزمات مالية . ففي ظل خطة السنوات الخمس الحالية تنفق ثلاثين مليون رويبل - أى ما يزيد نحو ٢٠٠ مليون رويبل على خطة السنوات الخمس السابقة - على بناء تسهيلات جديدة ثقافية وغير ثقافية .

وتسأل هارى جونز (من الحزب الشيوعي فى جنوب أفريقيا) قائلا

أن الخبرة أوضحت أن قضايا التطور الحضري تنود حتى حين يتبع التطور خطة محددة ، فهل يعنى هذا أن إعادة تركيب بنية اقتصاد البلاد وفقا لخطة ، لا يكفل الحل الكامل لكل قضايا الحضرة الاجتماعية ؟

وأجاب برونز أن انجازات المجتمع السوفيتى - بما فيها حل قضايا الحضرة - ترتبط بالتخطيط ارتباطا وثيقا . كما أن الاشتراكية لا تقنع أبدا بما حققته فهي تبحث عن طرق ووسائل جديدة أكثر فعالية لحل القضايا الاجتماعية . وقد أكد المؤتمر الـ ٢٥ للحزب الشيوعى السوفيتى . أن على مجتمعنا أن يرفع مستوى التخطيط ويجعله متمشيا مع مستوى اقتصادنا وطابعه ومتطلباته . ومن المهم للغاية - فى المرحلة العالية لبناء الشيوعية . أن نقوم بمعالجة شاملة لقضايانا طويلة الأجل ، وأن نرى القضايا الاقتصادية والقضايا الاجتماعية فى وحدتها . ويعنى هذا أنه يتعين علينا أن نحل قضايا الحضرة عندنا . من خلال التخطيط الاقتصادى - الاجتماعى وبتطبيق أساليب التخطيط والتنظيم بشكل واسع على تلك الجوانب من حياة المدن التى لم تكن الخطة العامة تغطيها فى السابق بشكل كاف . فقيما مضى كانت الخطة العامة تقتصر أساسا على تخطيط المدن ولا تلقى اعتبارا كبيرا للبيئة الاجتماعية المتغيرة للمدينة ولأسلوب حياة الناس مما جعل من الضرورى أن نجد معالجة شاملة للقضايا الاقتصادية والاجتماعية ونحن نقوم بذلك الآن وذلك بوضع خطط تنمية اقتصادية - اجتماعية للأحياء السكنية فى المدن .

وقد أيد بقية المتحدثين فى الندوة من البلدان الاشتراكية الفكرة القائلة بأن التخطيط الاقتصادى - الاجتماعى هو مفتاح حل القضايا الأساسية للمدن الاشتراكية .

وقال زودنيك زوسكا أن التخطيط فى المراحل الأولى لبناء الاشتراكية كان مقصورا على الإنتاج المادى أساسا . ولكن حتى فى ذلك الحين كان التخطيط الاقتصادى عاما قويا فى حل قضايا الحضرة الاجتماعية بما فيها قضية التغلب على الصفات المعادية للمجتمع الموروثة عن النظام الرأسمالى فى حياة المدينة والتى أمكن حلها فى بلادنا . وفى العالم الرأسمالى يؤدى التطور الحضري الذى يحفز « الاندفاع الى الربح الى انفصال اجتماعى ، ويجبر الملايين على أن يعيشوا فى مساكن مزدحمة أو متهترئة على الرغم من وجود كثير من الشقق الخالية (وتقدر الصحف عدد الشقق الخالية فى فرنسا وحدها بمليون ونصف مليون شقة) . وعلى العكس وضعت الاشتراكية حدا لتقسيم المدينة الى أحياء غنية وأحياء فقيرة تتوقف فيها نوعية الإسكان على دخل المستأجر ، وكذلك وضعت حدا للفارق الحاد بين قلب المدينة والأحياء النائية ، وللأخطار الصحية الناجمة

من التوزيع الفوضوي للصناعة والخدمات •

ويفرض بناء الاشتراكية المتطورة متطلبات أعلى على نظرية التخطيط وممارساته ، وهو يتسم اليوم بمعالجة أشمل ، وبالتخطيط طويل الأجل ، وبالتأكيد على الجوانب الاجتماعية لتخطيط المدن • وقد يادر الشعب العامل نفسه بتقديم فكرة التخطيط الاقتصادي - الاجتماعي الشامل ، ولكنه لم يشمل في البداية الا بعض المصانع وإن كان قد شمل وحدات أكبر فيما بعد • وأوضحت الخبرة أن كثيرا من القضايا لا يمكن أن تحل الا بهذه الوحدات الأكبر • وقد بلغنا مرحلة جديدة يمتد فيها التخطيط الاقتصادي - الاجتماعي طويل المدى الى عدد أكبر من الوحدات الإقليمية والمناطق والمدن •

وللعاصمة التشيكوسلوفاكية - كثيرها من المدن الاشتراكية - برنامجها الاقتصادي - الاجتماعي طويل الأجل الذي وضع تحت إشراف لجنة الحزب المركزية ولجنة الحزب في المدينة • ويقوم هذا البرنامج على خطة المدينة العامة ويستهدف الى التنسيق بين العناصر السياسية والاقتصادية والاجتماعية والإقليمية والتكتيكية والاستثمارية في تطور براغ حتى عام ١٩٩٠ مع وجود برنامج أكثر تفصيلا لخطة السنوات الخمس السادسة الحالية (١٩٧٦ - ١٩٨٠) كما يحوى خطوطا عامة لتطوير المدينة على مدى أطول حتى عام ٢٠٠٠ مع ربط التوسع الصناعي بالتطور البلدي وتوفير العمل والموارد المادية ومستلزمات الاسكان والتعليم العام والصحة والضمان الاجتماعي •

وقال يابلوكوف أن برامج تنميتها الشاملة تقوم على قرارات الحزب والحكومة وخطة التنمية الاقتصادية ، وتحدد قرارات المؤتمر ال ٢٥ للحزب الشيوعي السوفييتي طرق ووسائل بلوغها • وتتلخص مهمة الأجهزة البلدية في إيجاد أفضل الأساليب لتنفيذ نصيبها في هذه الخطط مع وضع انظروم المحلية في الاعتبار ، وهدفها الرئيسى هو جعل التطوير الحضري وسيلة للارتفاع بمستويات الرخاء وتسهيل التطور الشامل للفرد وتحقيق المساواة في الظروف الاجتماعية والاقتصادية لمختلف مجموعات السكان • والخدمات البلدية • وقد وضعت خطة التنمية الاجتماعية والاقتصادية لمدينة بروسلاف في خطة السنوات الخمس العاشرة الحالية « ١٩٧٦ - ١٩٨٠ » بإشراف منظمة الحزب في المدينة وهي تتضمن بناء نحو ١٦٠٠٠٠ متر مربع من المساكن الجديدة • والتركيز الآن - وفقا لقرارات المؤتمر ال ٢٥ - على تحسين الاسكان وبناء المساكن والمؤسسات الثقافية وغيرها ، وتوفير خدمات بلدية أكثر فعالية ، وتحديث المدينة وتحسينها معاريا •

واضاف يابلوكوف أن كل خططنا تقوم على المعرفة العملية للبنية

الاجتماعية للمدن الاشتراكية ، والعمليات الاجتماعية التي تجري فيها ، وتعطي الأولوية للإجراءات التي تستهدف زيادة دور الطبقة العاملة سواء في مجال الانتاج أو في الشئون العامة وتحسين التدريب المهني للجيش الجديد من العمال باضطراد . واليوم يعتمد الانتاج لحد كبير على قدرة الشعب العامل على بلوغ كفاءة أعلى في الانتاج وتحسين البنية الاجتماعية لكن هذا غير ممكن الا اذا جعل المجتمع كل انجازات العلم والثقافة في متناول السكان جميعا ، وكفل التطور الشامل للفرد . وقد أقمنا في مدينتنا (وتعدادها ٥٧١٠٠٠ نسمة) شبكة تتسع على الدوام من المؤسسات التي تساعد على رفع المستوى الثقافي لشعبنا العامل ومهاراته . ويتم تشغيل العمال الجدد الذين يتخرجون من شبكة تدريبنا المهني التي يتلقى فيها الشباب - فضلا عن تعلم المهنة - تعليما ثانويا كاملا . وهناك ١٧ مدرسة من هذا الطراز يحصل طلابها على وجبات طعام مجانية ومسكن وزى موحد وملابس عمل فضلا عن المنح الدورية . كما أن هناك أربع مؤسسات للتعليم العالي يصل عدد طلابها الى ٢٥٠٠٠ طالب و ٨٠ مدرسة عامة يلتحقون بها ٧٥٠٠٠ طالب ، وللمدينة مسرحها الدرامي وفرقة فيلها رومانية وسيرك ومسرح للرائس و ٥٠ قاعة عامة بينها ١١ قاعة سينما و ٣٠ بيتا من بيوت الثقافة توفر دائرة واسعة من التسهيلات التي تساعد أبناء شعبنا على تطوير قدراتهم .

وردا على تساؤل اثاره سرجيو سيرا عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في اورجواي اوضح يابلو كوف بشكل تفصيلي كيف تهتم الهيئات البلدية في مدينته بصحة الناس ، وكيف يجري تنظيم التدريبات البدنية للأطفال في الاتحاد السوفييتي . وقال أن الرعاية الصحية والتربية البدنية للجيش المساعد في الاتحاد السوفييتي من صميم مهام الدولة ، ونقدم كل اشكال الرعاية الطبية والتسهيلات الرياضية مجانا . ويوجد في ياروسلاف اكثر من ١٠٠٠٠ من العاملين في المجال الطبي ، ولدى مؤسساتنا الكبرى دور للمطلات ودور صحية في الضواحي كما توجد في المدينة ١٢ مدرسة رياضية للأطفال .

وقالت روت كيسلر أن انخفاض الاجارات سمة بارزة للمدن الاشتراكية ففي البلدان الرأسمالية يضطر كثير من الكادحين الى اتفاق نصف دخلهم كاجار ، أما في دوسن (جمهورية ألمانيا الديمقراطية) فالاجار لا يبلغ سوى ٥٪ من دخل الأسرة . وتلعب المؤسسات الصناعية ومؤسسات البناء دورا هاما في تحسين ظروف العمل والمعيشة وقد زاد دورها بشكل ملحوظ في حل قضايا التحضر في السنوات الأخيرة . ففيما مضى كانت الفكرة السائدة هي أن تحسين ظروف المعيشة في المدن وظيفة من وظائف السلطات البلدية ولا تخص المؤسسات . أما الآن فان المؤسسات القائمة داخل اطار مدينة معينة تشارك في حل عدد متزايد من قضايا التحضر مثل توسيع بناء المساكن أو تحديث المساكن القديمة أو توفير مزيد من دور

الحضانة ورياض الأطفال أو بناء المعاهد الثقافية وغيرها من المعاهد العامة كما أن النوادي والتسهيلات الرياضية والمكتبات التي تقيمها المؤسسات نوزوع تحت تصرف سكان المدينة جميعا .

وتحدثت كيسلر أيضا عن بعض العناصر الهامة في خطة التنمية الاقتصادية - الاجتماعية في دوسلن وخاصة بناء المساكن والصحة العامة، ومساعدة العاملات والأسر الكبيرة ، وحماية البيئة ، وتحسين التسهيلات الترفيهية وأكدت كذلك على أهمية التنبؤ بنمو السكان لتخطيط بناء المساكن وتوسيع الخدمات البلدية والطبية والتعليمية والثقافية .

وقد وجهت الى كيسلر عدد من الاسئلة المتعلقة بتوفير الخطة لاهتمامات واحتياجات مختلف مجموعات السكان وعلوجه الخصوص الاهتمامات الموسيقية للشباب (سؤال من هاري جونز) واحتياجات هواة السيارات (سؤال من جبرونييمو كاريرو) عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الفنزويلي ، فاجابت أن الخطة توفر وسائل كافية لكل الجوانب الثقافية - الشعبية والكلاسيكية والحديثة . وتعتبر دوسلن مركزا ثقافيا كبيرا وتبذل سلطات المدينة الكثير لاشباع الاحتياجات الثقافية للشباب . وعلى سبيل المثال ينظم قصر الثقافة الذي يضم قاعة تسع ٢٥٠٠ مقعد حفلات للموسيقى الكلاسيكية بالإضافة الى حفلات الفرق الفانسائية والورتية وفرق الجاز والأمسيات الاجتماعية وما الى ذلك . فضلا عن ذلك يقم عدد من مقاهي الشباب عروضاً وتنظم كل مطاعنا ومقاهينا أمسيات اجتماعية أسبوعية أما هواة السيارات فقد خصصنا اعتمادات لصيانة ورش الإصلاح العالية ومحطات البنزين وغيرها من التسهيلات ولبناء تسهيلات جديدة .

وأشار ديتو هوسيل الى أنه من المعترف به أن البلدان الاشتراكية تواجه بنجاح القضايا الاجتماعية للمدن ، الا انه لا يزال يوجد كثير من القضايا التي لم تحل بعد ونحن لا نحاول اخفائها . ففي مدننا الكبيرة والمتوسطة لا يوجد مسكن كاف من زاوية المساحة والتسهيلات الحديثة لكل شخص . وفي المدن الأكبر لا تزال رياض الأطفال ودور الحضانة النهارية تشكل معضلة . الا أن الأمر الهام هي أن كل هذه القضايا يجري حلها ولن يمضى وقت طويل حتى تكون قد حلت . ويدعو برنامج الحزب الاشتراكي الألماني الموحد الى الحل الكامل لمسألة الاسكان ، وهذا يعنى توفير شقة حديثة لكل عائلة في عام ١٩٩٠ ، ستحل مسألة تسهيلات رعاية الطفل قبل ذلك .

وتسأل كواجليوتي عما اذا لم تكن الدرجة العالية من التحضر في جمهورية ألمانيا الديمقراطية قد أدت الى ظهور أحياء أو مدن صغيرة يتمش تطورها كثيرا خلف تطور البلاد ككل .

وأوضحت الإجابة أنه لا توجد في جمهورية ألمانيا الديمقراطية أية قضايا ذات علاقة بالمناطق شبيهة بتلك القضايا القائمة في البلدان لرأسمالية . فالتحضر يتبع خطة محددة تغطي جميع الأحياء كبرها وصغرها وإن لم تكن معدلات النمو واحدة دائما بالطبع حيث أن المدن المتوسطة الحجم تنمو بمعدل أسرع لأنها توفر الظروف المثل للصناعات الجديدة ولتطوير الهياكل الأساسية وتتيح ظروف عمل معيشه متجانسة . كما لا يوجد لدينا تلك التناقضات من انخوع الرأسمال بين المدن والمناطق الزراعية ، وذلك أولا لأنه لا توجد فوارق كبيرة في الأجور وظروف المعيشة والظروف العامة بين الاثنين ، وثانيا لأن التنمية الزراعية الكثيفة تستبعد ظهور مناطق « متخلفة » بلا مستقبل ، وأخيرا لأن كل هكتار من الأرض الزراعية يفلح .

وأوضح فالتسلاف كاساليتسكي أن الاحتمام يتركز في الظروف الحالية على نوعية مدنا (التسهيلات العلمية والانتاجية والثقافية والتعليمية والاجتماعية وغيرها) ، وبالتالي فإن سياسة المدن لدينا لا تمسك خلق النموذج التقليدي للأحياء السكنية بل تطور بشكل منتظم نماذج جديدة ذات مؤشرات اقتصادية - اجتماعية وثقافية أعلى . لقد أصبح التحضر الاشتراكي إلى جانب العمارة علما وفنا . ونحن نقوم بمشروعات لم تكن معروفة في الماضي ، وحتى صياغة قضايانا تتضمن عناصر علمية وفنية وحلها يتطلب بحثا مكثفا وذلوقا جماليا سليما . ويزيد من أهمية ذلك أن

أسلوب حياتنا المقبل لا يكفي أن يكون مجرد امتداد لأسلوب الحياة الحالي . وما نفتقر إليه - نحن مخططي المدن - هو إذا أمكن القول المعلومات عما سيكون عليه أسلوب الحياة الاشتراكي في بداية القرن ال ٢١ وذلك في الوقت الذي ستبدأ العمل فيه الأحياء السكنية وغيرها من المشروعات التي نضع تصميماتها . ويتضمن هذا العديد من القضايا ، لا في بناء المساكن أكثر من مجرد مسكن وبواجهنا أسلوب الحياة في المجتمع الاشتراكي بالفعل بمطالب تتجاوز المكونات المعتادة لتخطيط المدن . وينطبق هذا مثلا - على تطور التجارة وتسهيلات الخدمة التي تمكن كل مدينة من التمتع الكامل بالزايا الثقافية . وليس سرا أن سكان مدنا كثيرا ما يتخلون مواقفها استهلاكي أحادي الجانب من الثقافة مستوفيين خصائصها الخارجية لا جوهرها .

وناقش عدد من المتحدثين في الندوة مسألة العلاقة بين السلطات البلدية والحكومة الوطنية في المجتمع الاشتراكي . وقال زوسكا اننا نعتبر سلطات المدينة جزءا رئيسيا من نظام سلطة الدولة الموحد وأن وظيفتها هي تنفيذ سياسة الحزب الشيوعي والدولة الاشتراكية في اقليمها . وتستند طبيعة العلاقة بين الاثنين وميكانيزمها إلى المفاهيم السياسية والقانونية الماركسية - اللينينية المتطابقة بتنظيم الأجهزة الحكومية ومؤسسات

الإدارة الاجتماعية • وعملها والدور انقيادي للحزب الشيوعي ، والمركزية الديمقراطية ، ومشاركة العمال في إدارة الدولة ، والشرعية الاشتراكية والمساواة بين الأمم والقوميات كلها مبادئ أساسية للحكم الاشتراكي •

والوظيفة الأولى للجنة براغ الوطنية كجهاز لسلطة الدولة وحكومة للمدينة عن طريق البناء المخطط والتوسع في النقل وغيره من الخدمات وتحديثها ، وتطوير الحياة الثقافية والحياة العامة ، وحماية صحة الناس والبيئة ، والمحافظة على الآثار الثقافية والتاريخية ، وصيانة النظام العام • وتلبد اللجنة المركزية للحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي الكثير لمساعدة سلطات المدينة على معالجة القضايا الكثيرة التي يتضمنها تطوير بواغ • وتعاون الوزارات وغيرها من مصالح الحكومة المركزية تعاوناً وثيقاً مع لجنتنا الوطنية في بناء العاصمة وفي حل قضاياها الاقتصادية والثقافية والصحية وغيرها • وتضع السلطات البلدية على كل المستويات والحكومة وغيرها من أجهزة الحكم في اعتبارها دائماً أن لتطوير طاقة بواغ الاقتصادية والثقافية آثاراً هامة على البلاد بأسرها •

وناقش يابلوكوف مسألة الإجراءات التي تتخذها السلطات البلدية لتحسين ظروف العمل والمعيشة • وقال أن الكثير قد أنجز في هذا الشأن في السنوات الأخيرة • وقد أشار ليونيد بريجنيف في خطابه أمام المؤتمر الـ ٢٥ إلى أنه بفضل الاهتمام الذي يوليه الحزب لقضايا بناء الدولة فإن « عمل السوفييتات المحلية قد اكتسب بعداً جديداً » • وتقول سوفييتات المدن سلطة تنسيق عمل المؤسسات الصناعية وغيرها من المؤسسات في أقاليمها والرقابة عليها في الأمور المتعلقة ببناء المساكن والتسهيلات الثقافية والعامة والكثير من الأمور الأخرى التي تساعد في توفير ظروف عمل طبيعية • ويتعين على المؤسسات والمنظمات التي تقوم ببناء لحسابها أن توضع جزءاً من المساكن التي تبنيتها تحت تصرف سوفييت المدينة • وهذا لا ينفي أن احتياجات السكان تغطي بشكل عام في أية مدينة سوفييتية في المساهمات في ميزانية المدينة من أرباح المؤسسات الصناعية ومؤسسات البناء والنقل وغيرها وتتجاوز هذه المساهمات ٩٠٪ من دخل المدينة • ويأتي أقل من ١٠٪ من الضرائب والإيجارات •

وتساءل البرتو كوهين ممثل الحزب الشيوعي الأوجنتيني عما إذا كانت طبيعة ووضعية السلطات البلدية في البلدان الاشتراكية لا تؤدي - على الرغم من طبيعتها المختلفة - إلى تناقضات بين الأجهزة المحلية والأجهزة المركزية شبيهة بتلك التي وصفها المتحدثون في البلدان الرأسمالية •

وأجاب يابلوكوف أن هذه العلاقات تقوم في البلدان الاشتراكية على مبادئ جديدة تماماً فالسلطات على كل المستويات تسترشد بأهداف مشتركة • وكل قرار للسلطات المركزية يتفق مع مصالح الشعب ، ومن

هنا فان وضع القيادة المركزية موضع المعارضة من السلطات البلدية في مجتمع اشتراكي لن يؤدي الا الى نتائج غير مرغوب فيها تسيء الى مصالح المدن وسكانها . ان هدف ادارة التحضر يكمن في ايجاد معالجة وأساليب تحل بعض القضايا المحددة وتوفر في الوقت نفسه ظروفًا أمثل لتقديم المجتمع بأسره . حيثما لا تستطيع الأجهزة البلدية مواجهة قضية ما بسبب الافتقار الى الموارد والسلطات المطلوبة فإنها تحيل المسألة الى جهة حكومية على لضمان مساعدتها .

وأكد برونز على أن حق الأجهزة البلدية في الرقابة على نفقات المؤسسات والمنظمات الصناعية في مجال الإسكان والتسهيلات الثقافية وغيرها يربط بمصالح المصانع والمؤسسات كل على حدة بمصالح المدينة ككيان اجتماعي واقتصادي واقليمي متكامل ومترايط . لقد ألغيت ملكية العقارات في المدن الاشتراكية مما يوفر للسلطات البلدية فرصًا للاستخدام السليم للمساحات الحضرية أفضل مما هو متاح في المدينة الرأسمالية فسوفيت المدينة سيد لكل الأقاليم التي تدخل في اختصاصه وهو وحده الذي يستطيع أن يخصص الأرض لاستخدام مؤسسات الدولة أو المنظمات التعاونية والصامة أو الأشخاص . وهو يمارس تأثيرًا كبيرًا على طبيعة كل المشروعات في اقليمه وتصميمها وبنائها . فإذا كانت المسألة مثلاً هي إقامة مصنع جديد فإن سوفيت المدينة يحدد أين وكيف ينبغي أن يبنى ليتوافق مع احتياجات المدينة المتزايدة . كما يشرف سوفيت المدينة على اجراءات حماية البيئة (أساليب التخلص من النفايات الخ) ويحدد حجم المظم الذي سيبنى لحساب المصنع وعدد الشقق التي يحتاجها العمل وما الى ذلك . ولابد من اقرار كل خطط مشروعات البناء الجديدة باتفاق مع السوفييتات المحلية التي لا تقتصر سلطاتها على هذا ، بل يتطلب الأمر أن تفحص لجنة حكومية كل بناء وتوافق عليه ويكون ممثل سوفيت المدينة رئيساً لهذه اللجنة أو عضواً فيها . وباختصار فإن للسوفييت الكلمة الأخيرة في كل ما يتعلق بتطور المدينة .

العمل بين جماهير المدن

ما هي أكثر أشكال التنظيم السياسي للشعب العامل فعالية التي يمكن أن تساعد على تعزيز وحدة الطبقة العاملة وتنظيمها واجتذاب كل قوى المجتمع التقدمية إليها ، ما هي الفرص والأشكال التي تتوفر لمشاركة العمال في ادارة شؤون المدينة في البلدان الاشتراكية والبلدان الرأسمالية ؟

أوضح هوسيل أن النظام السياسي للاشتراكية الحقبة يساعد على توحيد العمال تحت قيادة الحزب الشيوعي في بناء المجتمع الجديد . وتبدأ الثورة الاشتراكية المحيطة بإزالة التناقضات الاجتماعية العميقة بين فئات المدينة .

وتصبح الوحدة الاجتماعية والسياسية للمجتمع ككل الاتجاه السائد لطورها ، وهذا الاتجاه يتصاعد مع بلوغ الاشتراكية درجة أكبر من النضج . فالدولة الاشتراكية هي أداة الشعب العامل الرئيسية في بناء مجتمع اشتراكي متطور ، في حين تعمل الجبهة الوطنية في جمهورية ألمانيا الديمقراطية كشكل سياسي للتفاعل بين كل الفئات الحضرية . وتضم هذه الجبهة الحزب الاشتراكي الألماني الموحد وأربعة أحزاب أخرى ولذلك المنظمات الجماهيرية للطبقة العاملة وغيرها من فئات الشعب العامل اتحاد النقابات الألماني الحر ، ومنظمات الشبيبة والنساء والاتحادات الثقافية . وتمثل جميع الأحزاب الديمقراطية والمنظمات الجماهيرية المتحدة في الجبهة الوطنية في كل الأجهزة المنتجة . والحزب الاشتراكي الألماني الموحد هو القوة القائدة والمركز التنظيمي والسياسي لهذا النظام ، وهو يقوم بنشاط كل الأجهزة المكونة للنظام السياسي نحو الاشتراكية الحقبة . ويمارس حزب الطبقة العاملة دوره القيادي في المدن من خلال مجموعاته الحزبية في المنظمات البلدية والجماهيرية وفروعها التي تقوم بتنظيم الجماهير لتنفيذ استراتيجية الحزب السياسية والاجتماعية والاقتصادية .

ويرى روسيت أن أكثر أشكال التنظيم السياسي فعالية في ظروف الرأسمالية هي فرع الحزب . فهو يستطيع أن يطلق العمل الجماهيري وينظمه في الفئونات البلدية الخاصة والعامه . ويربط البلديات التي يقودها الشيوعيون وظائفها بالنشاط السياسي ، وعلى عكس البلديات ذات الاتجاه اليميني التي تخفي أغراضها الحقيقية خلف ستار من الأحداث اللاسياسية (وكأنما الحكم البلدي لا يتضمن سياسة ما) .

ويهتم الشيوعيون بإزالة العقبات الحقيقية أمام اشباع احتياجات الشعب وأمام النمو المتسق للمدن ، وتساعد البلديات التي يقودها الشيوعيون بأعمالها وإنجازاتها وبخاصة في أمور الضرائب ، على مزج الأعمال العامة في جهد منسق ، وهي تتبع سياسة مدروسة لمنع الأزمات المالية والحيولة دون ظهورها .

وقال كواجيلوتي أن رأس المال الاحتكاري في إيطاليا يحاول الحفاظ على سيطرته في المجالس البلدية . وقد عمل الاحتكاريون منذ سنوات طويلة في تحالف واسع يستهدف الحصول على أقصى الأرباح من استغلال الأرض والناس . ويوجد هذا تمبيرا عنه على المستوى المحلي في الإدارات الفاسدة للمدن التي ترعى المصالح الخاصة لا المصالح العامة . . .

وقد أضعفت التناقضات الاجتماعية المتزايدة الناجمة عن التحضر ، وكذلك زيادة وعي الجماهير السياسي من هذا التحالف الذي يسيطر عليه رأس

المال الكبير . وقد بدأت انصلات التي تربط هذه القوى الاجتماعية الطفيلية
- بما فيها قسم من الشعب العامل - في التحلل والتفكك المضطرب .

ونحن نعتقد أن أفضل انطرق لمناهضة القوى الديمقراطية المسيحية
الحفاظة هو عزلها وزيادة نفوذها على انفتات الاجتماعية التي تسمى للحصول
على مساندتها . وإن هدفنا هو تحقيق أكبر قدر من وحدة القوى والأحزاب
الديموقراطية كعامل لا غنى عنه لبلوغ اتفاق عريض يمهّد الطريق أمام
التفريات الاقتصادية وغير الاقتصادية التي نحن في أمس الحاجة إليها .
وبالتالى فقد وضع الحزب الشيوعي الإيطالى أشكالاً تنظيمية توحد المنظمات
ذات الاتجاهات السياسية والأيدولوجية والثقافية المختلفة .

سؤال من كوهين : ما هي الأشكال التنظيمية التي استعملت في
نورين (إيطاليا) لتوحيد الشعب حول الحزب الشيوعي وغيره من القوى
اليسارية ؟

وأجاب كواجليوتي أن لتورين - وهي من أكبر المراكز الصناعية في
أوروبا - تقاليد بروتيتارية وأمية قوية وتنظيماً حزبياً قوياً . وقد حصل
الشيوعيون في الانتخابات الماضية على ٤٠٪ من الأصوات وانتخب أحد
الشيوعيين محافظاً للمدينة . وتضم منظمة الحزب في المدينة ٤٠٠٠٠ عضو
كما ينتمى ٣٠٠٠٠ عامل إلى النقابات و ٥٠٠٠٠ عامل إلى المنظمات
الرياضية والثقافية التي يقودها الشيوعيون . وكذلك ينتمى ٢٠٠٠٠ حرفي
وصاحب عمل صغير إلى تعاونيات مناهضة للاحتكار . ويضاف إلى ذلك
المنظمة النسائية الديمقراطية وغيرها من روابط ولجان الوحدة التي يقودها
الشيوعيون . وهي تشمل على سبيل المثال لجان الأحياء التي تنشط حول
المسائل الحيوية لشعب المنطقة المعنية ، ثم هناك المئات من مجالس المصانع
التي تتألف من عمال من مختلف الانتماءات السياسية - شيوعيون
واشتراكيون وكاثوليك ، ويوجد اتحاد للطلاب في كل معهد تعليمي عال
تقريباً . وهذا الهيكل التنظيمي يمثل رد القوى الديمقراطية على ما يصيب
مدننا من قهقور .

وقال يحيثين أن البلديات هي إحدى قنوات الاتصال بين الشيوعيين
والجماهير ، فمن خلالها يتمكن الشيوعيون من الوصول إلى أقسام واسعة
من الشعب والدفاع عن مصالحهم لا على مستوى المصنع فحسب بل كذلك
- وبالدرجة الأولى - في أماكن السكن . وهذا يعنى أن الأجهزة البلدية
وبخاصة حكومة المدينة ليست نصيراً لمصالح الشعب الكادح فحسب ، بل
هي مدرسة للإدارة باللغة الفعلية بالنسبة لأقسام واسعة من الكادحين .

وأوضح بافل أودسبيرج السكرتير التنفيذي لمجلة "أفصاياه السلام

والاشتراكية » انه على الرغم من تنوع اشكال واساليب النشاط الشيوعي في حكومة المدينة ، وعلى الرغم من الظروف البالغة الاختلاف بين البلدان الاشتراكية والبلدان الرأسمالية فان الشيوعيين يدافعون في كل مكان عن مصالح الجماهير ويتسم كل نشاطهم بالربط بين المبادرة الجماهيرية والجهد الذي لا يكل لتعزيز دور الحزب في جميع منظمات المدن ، وبأنهم ثانيا - يركزون على المصالح السياسية والاقتصادية والاجتماعية الأساسية للكادحين ، وثالثا - أنهم يبحثون دوما عن اشكال جديدة افضل وملائمة وتتفق مع خصائص كل بلد معين . وهذا هو السبب في أن نشاط الشيوعيين في الأجهزة البلدية عامل قوى ذو تأثير على نهج التحضر واتجاهه الاجتماعي . كما أن لهذا النشاط في البلدان الاشتراكية اسما اقتصاديا - اجتماعيا قوية ويستفيد من المزايا الهائلة للديموقراطية الاشتراكية على الديمقراطية البورجوازية . ان الاجراءات التي تقوم بها القوى التعليمية في البلدان الرأسمالية على مستوى البلديات بغض النظر عن جملوها واهميتها التي لا نزاع فيها الا انها لا يمكن أن تحقق تغييرات اساسية في الاتجاه الاحتكاري للتحضر ولا يمكن أن تحل النضاب الناجمة عن التحضر الا اذا أدى نضال الكادحين ضد الاحتكار ليس الى اشاعة الديمقراطية في النظام السياسي فحسب بل كذلك تغير طبيعته التطبيقية تغيرا كاملا باقامة سلطة الشعب السياسية في جميع أنحاء البلاد .

واوضح يابلوكوف وكيسلر وژوسكا على أن قيام السلطة البلدية في البلدان الاشتراكية يؤكد الطابع الديمقراطي الحق للاشتراكية ويوفر فرصا اوسع من أية ديموقراطية بورجوازية لتوحيد السكان واشباع احتياجاتهم . وفي هذا الصدد قال يابلوكوف أن الديمقراطية الاشتراكية تعطي الجماهير نصيبا في ادارة المدن . وينبثق هذا على كل جوانب الحياة الحضرية وقد أصبح هذا عاملا رئيسيا في تطورها . والأجهزة البلدية في البلدان الاشتراكية اجهزة عميقة في ديموقراطيتها سواء من حيث تكوينها أو من حيث أهداف نشاطها واساليبها . ولناخذ يالووسلاف مثلا : ان ٦٥٪ من أعضاء سوفيت المدينة من العمال ، وكل أجهزة حكم المدينة تخضع للرقابة العامة المباشرة ، ويقدم النواب تقارير دورية الى دوائرهم الانتخابية وفضلا عن ذلك توجد كثير من الاشكال المختلفة للمشاركة المباشرة في صنع القرار ، وبخاصة في الوقت الحالي حيث تلعب النقابات والكويسومول والمنظمات الجماهيرية دورا أكبر . ولكل مواطن الحق في أن يتلقى الاجابة المرضية خلال شهر .

وقالت كيسلر أن المناقشة الدورية في المصانع والمناطق السكنية لخطط المدينة السنوية وخطط السنوات الخمس والخطط الأطول أجلا هي شكل فعال لمشاركة الشعب العامل في ادارة مدنتنا . وتمتد هذه المناقشات الى

كل جوانب الاقتصاد والخدمات في المدينة . وتقرر النقابات وغيرها من المنظمات الجماهيرية أرامها في كل مشروع للخطوة . واستطردت كيمستر قابلة أنه من مهام عملها كرئيسة للجنة تخطيط المدينة تقديم تقرير للنقابات عن خطة العام المقبل ودراسة مقترحاتها وإدخال التعديلات اللازمة على الخططة ، وأجراء تحليل شامل للاقتراحات التي يتقدم بها الجمهور بصفة دورية .

وقال زوسكا أن لجان المدن تعتبر أكثر أشكال الاتصال بالسكان استعمالا وتعقد هذه اللجان - التي يعادل عدد أعضائها عدد المندوبين الى اللجان الوطنية في أحياء براغ - أربعة اجتماعات مشتركة على الأقل كل عام - تجمع بين النواب والسكان لمناقشة قضايا تنفيذ البرنامج الانتخابي للجنة الوطنية . وهناك الآن ١٠٣٠ لجنة مدينة تضم ١٤٧٤٦ شخصا ، كما يعمل ٦٢٤٧١ شخصا آخر في لجان المساكن . ويعنى هذا بأن هناك مواطنا بالغاً من كل عشرة تقريباً في براغ يشترك في عمل لجنة المدينة الوطنية . وبالإضافة الى هذا فإن أعضاء اللجنة يهتمون بالاقتراحات والانتقادات التي توجه في الاجتماعات العامة الدورية وتحظى مشروعات العمل العام التطوعي بكل تقدير ففي عام ١٩٧٥ أسهم سكان براغ بـ ٤٨ مليون ساعة عمل لتجميع مبينتهم بما يعنى أن كلا منهم قد قدم في المتوسط ٥٠ ساعة عمل تطوعي . وتؤكد هذه الحقيقة وغيرها الوحدة بين سياسة الحزب الشيوعي ومصالح الشعب وتشير الى التطور المستمر للديموقراطية الاشتراكية .

ولخص أوردسبيرج باسم لجنة القضايا النظرية العامة في مجلة « قضايا السلم والاشتراكية » المناقشات التي دارت في الندوة فذكر أن هذه الندوة هي أول ندوة تنظمها المجلة حول القضايا الاجتماعية للتحضر ، ودور الشيوعيين في حكم المدن ، وإن المجلة بذلك قد طرحت موضوعاً جديداً هاماً . وستواصل « قضايا السلم والاشتراكية » نشر المقالات عن السياسة الشيوعية ازاء قضية التحضر وستعرض الخبرة الشيوعية في حكم المدن في البلدان الاشتراكية والراسمالية . وتؤمن لجنة القضايا النظرية العامة بأنه عل المجلة أن تنشر سلسلة من المقالات عن الجوانب السوسولوجية للقضية وتحلل التفاعل بين التحضر والثورة العلمية والتكنولوجيا وتأثيرها على التركيب الاجتماعي والسكاني ، والإنتاج واسلوب الحياة وتفكير الفرد . . الخ . ويمكن أن يشفع هذا بتحليل انتقادي لنظريات التحضر البورجوازية وما تقترحه من اجراءات وتدابير . كما ينبغي اجراء دراسة عميقة للقضايا النظرية والمنهجية لتخطيط تطور المدن الاشتراكية .

أحداث الشهر

● في الفن والثقافة :

● فن الاقناع

● من عواصم العالم :

● جنيف : منظمة العمل الدولية وروح العصر .. .

● جنوب افريقيا : أوقفوا الارهاب والقمع .. .

● الشبح المشؤم للمخابرات المركزية

● مدن بلا ازقات ؟ !

فَنَ الإِقْنَاءِ

المادة الأدبية : أننا نريد أن نستفيد من كافة الأشكال الأدبية التي لها المحتويات الثابتة : مواقف إنساني وخلق من الحياة ، الإخلاص لوطننا وثقافتنا ، وموقف وطني لواقعنا الراهن ، وجمال الكلمة البولندية . ونحن نطالب بسيناريوهات أصيلة (كتب مسرحيا) أساسا لكي يتدمج الممثلون والجمهور في المسرحية ، ولا يكون الأخيرون مجرد مستقبلين سلبيين للقيم الأدبية .

اشكال الإخراج المسرحي : مهمتنا هي البحث عن اشكال للإخراج المسرحي بسيطة ومتواضعة قدر المستطاع ، مواقف مباشرة وكلمات ذات دلالة ، أصالة اللحظة وكذلك احترام كل ما يستعان به على المسرح والسكون كعنصر للتعبير ، واعتبار الموسيقى والفن لا كمسور صورية ومسرحية ، وإنما كعناصر هامة للمسرحية ، الاهتمام بالكلمة التي لا يجب أن تكون مجرد كلام على المسرح وإنما لتكون قاذرة على إعطاء تأكيدات والفعالات عبرنا . ونحن نرغب في أن تكون مخلصين لهذه القواعد التي صيغت عبر السنين .

لقد أقيم مسرح أدبكويت بنساء على

لقد قررنا أن نطلق على التمثيل فن الإقناع وليس فن الإدعاء . ونحن نلتزم إلى مسرحيات مسرح أدبكويت على أنها للفتات بين الفنانين والجمهور . وغرض تلك اللقاءات هو : أن يكون لديهم تجربة أخلاقية وجمالية مشتركة ، وأن يتحدثوا حول الأسس الأخلاقية والأدبيولوجية ، وأن يبحثوا معاً عن بطل عصرنا ، وأن يبحثوا عن شكل للاداء مناسب بدرجة أكبر (كاف) لكافة الأوساط ، وأن يوسعوا على الدوام معرفتنا عن العالم الذي يحيط بنا ، وأن يأخذوا على عاتقهم المشاكل اللازمة لكافة الأوساط ، مع إيلاء اهتمام خاص للشباب .

الممثلون : بالنسبة لمسرحيات مسرح أدبكويت نرغب في انتقاء ممثلين ، يحكم موقفهم الأخلاقي ومعرفتهم ، ليسوا مجرد « مقدمي أدوار » وإنما كذلك أناس ينظرون إلى أسهامهم في العمل المسرحي كدافع « باطني » وهم يمثلون حرقهم المسرحية بتطوير سماتهم الشخصية الفنية . وبالإضافة إلى ذلك يلعبون مطلب الإخلاص لكل كلمة ينطقونها ، ولما تتطلبه من عواطف .



● هنرى بوكولوفسكى رئيس المسرح ●

الجمهور والفنانين • ولسنوات عديدة منذ ذلك الوقت ظلت المناقشات حول المسرحيات جزءاً لا يتجزأ من المسرحية والتصرف الطبيعي من قبل الممثلين أصبح ملزماً كذلك للمسرحيات التالية • وقد قررنا أن نطلق على العمل فى الانشاء وليس فى الادعاء فى مسرحياتنا • ومنذ افتتاحه قدم مسرح الديكويوت مسرحيات بشكل غير منتظم فى شينزين ولبلوك وبلايستوك

مبادرة هنريك بوكولوفسكى وماجدة تريزا فونيك فى تيسان (تشيكوسلوفاكيا) عام ١٩٦٤ • وكانت اول مسرحية أخرجها هى « مائع الشموع » المأخوذة عن موسيهوالمى مثلت فى ظروف ودية للغاية • وناقش الممثلون وهم يجلسون على مقاعد صغيرة جوهر الحب والشخصيات الانسانية والتفاعلات المختلفة بطريقة طبيعية حولت المسرحية الى تبادل تلقائى لآراء بين



● ماجدا تيريزا في أحد مشاهد المسرحية الهندية ●

يصدق أن المسرح يعني الوقت الذي يكتشف فيه الخيال ، الذي أثاره الوجود والرغبة المتبادلة في الخلق ، بمساعدة أداء الفنانين القيم التي تعطي معنى للوجود البشري . وفي نفس الوقت فكل هذه المسرحيات يجمعها شيء مشترك ، جو محير واعتقد أن هذا نتيجة الإخلاص للقواعد السالفة الذكر . واعتقد أن هذا أيضا هو السبب في الاحترام الذي يوليه الجمهور لمسرحنا ، وهذا رائع في نهاية الأمر .

ومما يسعدنا كذلك بالطبع أن كثيرا من مسرحياتنا نالت جوائز أولى في المهرجانات الوطنية البولندية للمسارح الصغيرة .

ووارسو ، ومنذ ١٩٦٩ قدم بالتتظام تحت إشراف دار المعلمين للثقافة في وارسو . وفي عام ١٩٧٦ أصبحنا تحت رعاية الإدارة الثقافية لمدينة وارسو .

والآن عندما أجول ببصري عبر السنين واتصور مسرحياتنا يدهشني تنوع تلك المسرحيات التي تختلف لدرجة كبيرة في طابعها . كيف أمكن ذلك دون اعتمادات مناسبة ؟ أن ذلك فقط بفضل السمات الفردية وخيال الفنانين فهل من الصحيح حقا أن الرغبة والقدرة على الخلق قادرة وحدها على تحقيق تلك النتائج ؟ يبدو في النهاية أن الأمر كذلك . ويريد المرء أن



منظمة العمل الدولية وروح العصر

وسوء التغذية والأمراض • وأدان المتحدثون في المؤتمر بشدة سياسة النهب المفضوح التي توأصلها الاحتكارات متعددة الجنسيه التي تعوق تعزيز الاستقلال الاقتصادي في البلدان النامية •

أن وجود جيش متـعدد الملايين من العاطلين يمثل سمة دائمة للمنظمـام الرأسمالي • وعبر عديد من الوفود عن الرأي القائل بأن منظمة العمل الدولية يجب أن تضع اتفاقية دولية حول ضمان حق العمل ، الذي يعتبر أحد حقوق الإنسان الأساسية • وفي هذا الإطار وافق المؤتمر على اقتراح الوفد البولندي بأعداد اتفاقية وتوقيعها من أجل تعزيز مسئولية الحكومات ودور النقابات في مكافحة البطالة •

وأعرب ممثلو القوى التقدمية والنقابات من كافة الاتجاهات عن تضامنهم الإجماعي مع الديمقراطيين والجماهير العاملة في شيلي • وأدانوا بشدة انتهاك الحقوق

جنيـف

أثارت الدورة الأخيرة الثالثة والستين للمؤتمر العام لمنظمة العمل الدولية التي عقدت في جنيف تعليقات واسعة النطاق •

ويشير المراقبون الى أن كثيرا من الاجتماعات الموسعة للمؤتمر تركزت على التقرير الذي قدمه • بالنيابة عن الأمين العام مكتب العمل الدولي • وكرس التقرير مسائل تقديم المعونة للبلدان النامية في آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية • ودافع ممثلو الدول الاشتراكية والبنية المستقلة عن إقامة علاقات اقتصادية متكافئة وعن القضاء على عدم المساواة في التجارة الدولية • وقد أشير كذلك في تصريحاتهم الى أن تنفيذ التحولات الاجتماعية والاقتصادية والديمقراطية في البلدان المنحررة حديثا والقضاء الكامل على الترات الاستعماري يمثل الحل الجذري للمشاكل التي تواجه العالم الثالث ، حيث لا تزال جماهير واسعة من الناس تعاني من الفقر

أكد المندوبون أن منظمة العمل الدولية ينبغي أن تدافع عن مصالح الجماهير العاملة في هذه الأراضي التي لا يمدد إليها القانون الإسرائيلي . وفي هذا الخصوص ، أيد المتحدثون في الاجتماع الموسع موقف الأمم المتحدة التي عبرت عنه بوضوح في قرارها القاضي بعدم الاعتراف بأية حقوق لإسرائيل في الأراضي العربية التي تحتلها .

وقال الوفد الأمريكي وحلفاؤه ضد المقاومة القوية لفساليتة المندوبين الذين عارضوا مطالب الولايات المتحدة التمهيدية ، وعزل بشكل على مثل هذه الهيئة الهامة . للمؤتمر مثل لجنة صياغة القرارات . وكنيجة لتكتيكاتهم في التأجيل والتسويق ، قدم أثنان فقط من عشرة قرارات ، ووفق عليها ، تتضمن قرارا حول تدعيم الدفاع عن الحقوق الثقافية .

وخلال الأسابيع الثلاثة من العمل المتواصل فضلت اللجنة في البدء في مناقشة لمشروع القرار حول سياسة التفسيق العنصرية والتهلك الحصرية من جانب السلطات الإسرائيلية في منطقة قناة بناما . ومستفيدين من الإجراءات المضادة لدراسة القرارات التي تقدم خارج جدول الأعمال ، تركت القوى الرجعية مشاريع عدد من القرارات الملحة دون حسم . وتتضمن قرارا حول الآثار الاقتصادية والاجتماعية لنزع السلاح وتحقيق أهداف منظمة العمل الدولية في مجال السياسة الاجتماعية ، وقرار حول نشاط الاحتكاكات متعددة الجنسية التي توقع أضرارا بالبلدان النامية . والجماهير العاملة في الدول الرأسمالية .

وفي هذا الخصوص أدان المندوبون بشدة محاولات منع ممثلي الثقافات من مناقشة المشاكل الاجتماعية الملحة في منظمة العمل الدولية التي تخلق الجماهير العاملة في جميع أنحاء العالم . وبما الإعضاء ذوي الطغلة التقدمية في المنظمة إلى رفع كلمة منظمة العمل الدولية وفسودها الدولي ، وطالبوا تحسين المسائل الإجرائية في نشاط منظمة العمل الدولية لكي يصبح في الإمكان تقديم القرارات المتعلقة بالمشاكل الملحة في دورات المؤتمر العام . ومنافستها وقرارها بحرية .

الثقافية والحريات المدنية على نطاق واسع في هذا البلد . وكان هناك اجتماع خاص للمجموعة العمالية ناقش هذه المسألة الهامة . وأصبح الاجتماع منتدى لوليسا كثيرا للاعجاب وحده ممثلي الثقافات من الاجتماعات الدولية المختلفة . وقرر أن يعلن في سبتمبر القادم شهر تضامن مع نضال شعب شيلى .

وصلحت دورة المؤتمر العام لمنظمة العمل الدولية على اتفاقيتين . تتعلق احدهما بحماية البيئة الإنتاجية ، وهو الأمر الذي يحتل أهمية كبيرة بالنسبة للجماهير العاملة والثقافات في كافة البلدان . وتهدف الاتفاقية الثالثة إلى المساعدة على تحسين ظروف العمل للعاملين في المجالات الطبية ، من الطلقات الوسيطة ، الذين تعتبر أجورهم من أدنى الأجور في البلدان الرأسمالية .

ووافق المشاركون كذلك على التقرير الذي لسمه المدير العام مكتب العمل الدولي حول تنفيذ إعلان التضامن ضد سياسة التفسيق العنصرية في جنوب أفريقيا .

وتلقت الدورة الثالثة والستون لمنظمة العمل الدولية في جو متوتر لحد ما نتيجة للاختياز السياسي من جانب وفد الولايات المتحدة . فقد حاول ممثلو الولايات المتحدة أكثر من مرة فرض قرار على المؤتمر يمكن أن يحد من النشاطات العملية للمنظمة التي مجرد استعراض الأمور التكنيكية ويحرمها من فرصة اتخاذ القرارات حول مشاكل العصر الملحة . وعارض المندوبون الإعملاء الأمريكي ومنعوا المؤتمر من أن يتخذ اتجاها يناصر الجانب الأمريكي . أن الرهض الاجتماعي للمطالب الأمريكية التي لا تقوم على أساس ، والتي تهدف إلى إبعاد منظمة العمل الدولية عن السياسة ، يمثل نجاحا كبيرا للقوى التقدمية في تلك المنظمة الدولية .

ولم يوافق المؤتمر على تقرير اللجنة حول استخدام اتفاقيات وتوصيات منظمة العمل الدولية . والمشكلة هي أنه عند إعداد التقرير لجأ عدد من البلدان الغربية إلى كافة الوسائل الممكنة في محاولة لإعطاء طابع مفروع لاحتلال إسرائيل للأراضي العربية . ويرفض هذه المخامرة ،

وقد عبرت كثير من الوفود عن هذا الرأي *

وفي ختام مؤتمر منظمة العمل الدولية-اجتمعت الهيئة القيادية لاختار هيئة الرئاسة * ولأول مرة في تاريخ هذه المنظمة انتخب كندى رئيساً للمجلس التنفيذي للمنظمة ، وهو ج * موريس رئيس. مؤتمر العمل الكندي *

وقد ركزت هذه الدورة ، كمثيلاتهما السابقة ، اهتمامها على أحداث تغييرات ديموقراطية في بنية منظمة العمل الدولية ، التي تظل في شكلها الحالي ، محافظة ولا تلبى احتياجات العصر * ونجاح عمل هذه المنظمة الدولية يعتمد لدرجة كبيرة على ما إذا كانت منظمة العمل الدولية تستطيع أن تكون في مستوى التحولات الاجتماعية السياسية الجارية في العالم *



أوقفوا الإرهاب والقمع !

وهو طالب من سويتو يبلغ ٢٢ عاما مات في السجن *

وفي نهاية ١٩٧٦ حكم على ١١٢٢ شخصا بينهم ٦٦٢ أقل من ١٨ عاما ، بينهم تتعلق بأحداث يونيو * ووقعت على ٧٠٥ أشخاص معظمهم من الأطفال عقوبات بدائية * وبالإضافة الى ذلك ، حكم على ٦٦ شخصا بذنس التهم وفقا لقانون التخريب والارهاب. بأحكام وصل مجموعها الى ٢٦٦ سنة * واستمرت المحاكمات خلال ١٩٧٧ *

ومعاملة المسجونين السياسيين وحشية للغاية * وفي جزيرة روبين (وهي مقارن قاس كسجن حيث يحتفظ بزعماء بارزين لنضال التحرر الوطني الإفريقي كنلسون مانديلا وآخرين) اطلقت كلاب الحراسة على الاعضاء الذين حكم عليهم أخيرا لحركة « الوعى الأسود » بيمينسا كانوا يعملون في محجر للسجن في ٢٥ يناير من هذا العام * واصيب كثيرون منهم بجراح خطيرة * وأعلن وزير العدل والبوليس والمسجون ج * ت * كروجر انه قد « أعطى الاوامر للمسؤولين لاستخدام الكلاب للامراع بالعمل » * وتشير التقارير الى أن حياة المساجين في خطر *

والتقارير عن المسجونين السياسيين الذين ماتوا في السجن أصبحت كثيرة * ووفقا للارقام الرسمية مات ١٩ مسجوناً

جنوب أفريقيا

ان لجنة قضايا السلم والاشتراكية الخاصة بمشاكل حركة التحرر الوطني في البلدان الإفرواسيوية تعرب عن سخطها ازاء استمرار أعمال القمع ضد الشيوعيين وغيرهم من المناضلين من أجل الديمقراطية والتقدم والعدالة الاجتماعية والاستقلال الوطني في عدد من بلدان تلك القسارات * وهذا يتناقض مع المقاييس الأولية للبشرية ومع المبادئ الأساسية للقانون الدولي * وتلقت اللجنة الانتباه الى الحقائق المثالية التي قدمها ممثلو الأحزاب الشيوعية في المجلة *

لم يبق العالم بعد من منبحة آفريقيين، ومعظمهم من تلاميذ المدارس ، على يد بوليس جنوب أفريقيا خلال الهبة التي جرت في سويتو تلك المدينة المجاورة لجوهانسبرج في ١٦ يونيو ١٩٧٦ : فقد قتل أكثر من ١٧٠ وجرح حوالي ١٢٠٠ *

والارهاب الذى يشنه حكام جنوب أفريقيا لم تخف حدته ، ويسقط نتيجة له ضحايا جدد على الدوام * وقد قتل ٥٢ عندما هاجم البوليس ٥٠٠٠ افريقى اشتركوا في جنازة لوندوان ج * ماشابان

« يقضي المسجون مدة ١٥ عاما او عقوبة مدى الحياة في زنازة صغيرة مع ٢٠ آخرين من السجناء . وهذا الوضع يمكن اعتباره قسب كفسكل من الفسكل التعذيب » .

ويوجد في سجن كل موند حوالي ٦٠٠ شخص ، بينما يسع السجن لـ ٢٠٠ سجين ، كما يوجد في سجن عسقلون ٤٥٠ سجيناً بينما في الاصل ليسع ٢٠٠ سجين ، وفي سجن كاريونا سجيناً (ولقد بنى لـ ٢٢٠) .

ويوجد اكثر من ٥٠٠٠ فلسطيني محكوم عليهم باحكام تتراوح بين ٥ الى ١٢٠ عاما في ٢٥ سجنا وممسكر اعتقال . وهناك آلاف المعتقلين دون محاكمة لظهور عديدة ، وصلت احيانا الى ٣٥ شهرا .

وقد توفي ٤٦ سجيناً (اسماؤهم معروفة) من التعذيب ، والضرب والعدم الرعاية الطبية . ويصاحب التعذيب التحقيقات ، ويهان أسجونون على الدوام وفي ١٩٦٩ اسفل العمل الاجباري في السجون الاسرائيلية في المناطق المحتلة .

واعضاء لجنة قضايا السلموالاشرائية الخاصة بمشاكل حركة التحرر الوطني في البلدان الاقرو اسبوية يدينون بشدة الزهاب الذي تلقته السلطات ضد المناضلين من اجل الحرية والديموقراطية في جنوب افريقيا والاضطهاد العنصري في جمهورية جنوب افريقيا وفي الاراضي العربية التي تحتلها اسرائيل ، وهم يدينون استمرار احتلال الجيش التركي لجزء من اراضي قبرص ، واجبار ٢٠٠.٠٠٠ يوناني قبرصي على مغادرة منازلهم وان يتحولوا الى لاجئين .

ويعلن أعضاء اللجنة تضامنهم الاخوي مع كافة الشيوعيين والديموقراطيين ، ومع كل الوطنيين الذين يتعرضون للقمع الرجعي ، ويطالبون بوضع حد للارهاب والقتل والتعذيب .

لجنة قضايا السلم والاشرائية الخاصة بمشاكل حركة التحرر الوطني في البلدان الاقرواسبوية

حساسيا من مارس ١٩٦٦ حتى فبراير ١٩٧٧ (والارقام الخاصة بفترة التسليخة عشر عاما السابقة هي ٢٢) . ومن بينهم جوزيف . ميلولي ، مناضل بارز في المؤتمر القومي الافريقي ، ولورنس لزانجا مناضل بارز من اجل الحرية وتقاليد قيادي ، وديميساني . ميلانا تلميذ يبلغ من العمر ١٦ عاما من . سويتو ، وغير هؤلاء كثيرون . وذلك فقط الحالات التي اعلنت عنها السلطات . ولكن لدينا كل الاسباب للاعتقاد بان الارقام اعلى بكثير . حيث ان قوانين جنوب افريقيا تسمح بالسجن الانفرادي غير المحسود والبوليس وحده هو الذي يشرع على المسجونين .

والتقارير الرسمية عن اسباب الوفاة اما « الانتحار » او « سبب طبيعي » . لكن اجسادهم التي صورها بعض اليهود تحمل علامات تشويه وتعذيب وحفي .

وقد قالت التايمز اللندنية : « ان العثر الدائم للبوليس عن ان المسجونين هم الذين اودوا بحياتهم هو اعتراف صريح بالتعذيب الجسدي والنفس ، يستخدم على نطاق واسع ، والى ابعد الحدود وعلى نطاق متزايد » .

الاراضي العربية المحتلة :

الفلسطينيون الذين تضعهم سلطات الاحتلال الاسرائيلي في السجون تعتبرهم هذه السلطات « مجرمين » و « ارايين » . وهم يعانون ظروفا غير انسانية ويعاملون بوحشية من قبل الحراس والمعتقلين .

ومنذ فترة قريبة اضرب الفلسطينيون في السجون الاسرائيلية عن الطعام لمعدة اسابيع احتجاجا على هذه الظروف . وتوفي احد أسجونين وهو عبدان ابو حية . في سجن عسقلون نتيجة للتعذيب الوحشي .

وصرح المدير العام للسجون الاسرائيلية . هانيم ليفي بذلك في تصريح للمصحافة : « ان وضع المسجونين السياسيين اسوأ كثيرا من وضع المسجونين الخليلين . في سجن هيرون مثلا ، لا يوجد للسجين سوى متر مربع واحد يعيش فيه » . وقال : يستغللاد المستول عن سجن عسقلون :

التشريح المشؤم للمخابرات المركزية

أخطر المبادئ وأكثرها ضرراً • ويواصل القول : « أن جهاز الحكومة الامبريالي لا يمكنه أن يحقق أهدافه دون الجهل بالسياسات العسكرية الذى يسمح أى مقاومة يمكن أن يبينها الشعب ضد أعماله الوحشية » (هـ - ٥ - ٦)

ويرسم فصول الكتاب الصلة بصورة حية لامبريالية الولايات المتحدة ووكالة المخابرات المركزية مستخدمة اشكالا واساليب مختلفة للتدخل ، بدءا بالبروج لينا الجامعة الامريكية ، واستخدام أجهزة التحريض التى ترمى الى اضعاف عدم الاستقرار فى حكومة لا يعهد عليها ، وانتهاء بتنظيم انقلابات حكومية • ومثل هذه الاستراتيجيات ، كما يكتب المؤلف ، قد حصلت وعدلت منذ نهاية الحرب العالمية الثالثة • ولقد ذكره الاصدات فى جوالتمالا عام ١٩٥٤ ، والتدخل فى كوبا عام ١٩٦١ وجمهورية الدومينيون عام ١٩٦٥ ، والانقلابات فى البرازيل وبوليفيا واوروجواي وفيتلى والملاخ الملقب للفاية فى الأرجنتين •

والآن ، عندما أصبحت كثير من الجرائم التى ارتكبتها « الحكومة الخفية » وكالة المخابرات المركزية وغيرها من هيئات المخابرات والتخريب الامريكية - امرا معروفا ، وعندما أصبحت هذه « الحكومة » قوية بدرجة • لا يمكن السيطرة عليها • ، فإن دعوة الكتاب الى البقطة تاتى فى حينها حقا • ومع ذلك يستنتج المؤلف أن وكالة المخابرات المركزية ليست قوية بصورة مطلقة ، وأن هناك حاجة الى ثلاثة أشياء لمواجهة استفزازاتها - المعرفة ، والتنظيم ، والتوعية • ويقول « وهذا هو الأساس للنضال ضد وكالة المخابرات المركزية وغيرها من مراكز الاستفزاز »

جوالثريو كوفاس مامردونز • « المنبة القائمة للمخابرات المركزية » ، بيونس آيرس ، ايديسون ريفليكسيون ، ١٩٧٦ ، ١٦٠ هـ

ان الموت الفاسح فى خريف ١٩٧٦ لم ٧٣ شخصا على ظهر طائرة مبنية كوكبية فى ركز الاضواء بشكل درامى على وجود مركز فى الولايات المتحدة يستخدم مثل هذه الاساليب الارهابية لكسر الميليلة والفوضى فى انحاء امريكا اللاتينية ، من الكاريبي الى كيب هورن • وقال فيسل كاسترو السكرتير الاول للجنة المركزية للحزب الشيوعى الكوبي ورئيس مجلس الوزراء : « من غير وكالة المخابرات المركزية يمكنه أن يفلأ مثل هذه العمليات مامردونز عن العمليات التخريبية فى هذا النصف من الكرة الارضية بسيطرته القائمة ودون علق ؟ »

« وكشف النقاب عن وكالة المخابرات المركزية » ، كتاب الله جوالثريو كوفاس مامردونز عن العمليات التخريبية للمخابرات المركزية ، واكملة عقلية الانقلاب العسكري فى الأرجنتين فى ٢٤ مارس ١٩٧٦ • وكانت البلاد فى حالة من الفوضى ، وعدم الاستقرار ، وفى جو من الارهاب لتوقع فيه ما يسمى بالتحالف الأرجنتيني المعادى للشيوعية • وزعممرو وقت طويل منذ ذلك الحين ، لم يفقد الكتاب شيئا من تأثيره ولا يزال مرشدا للظروف التى أدت الى أحداث ذلك الوقت ويده الارهاب الذى لعب دورا هاما فى خلق الفوضى •

لقد قدم المؤلف ثروة من المواد أخذها من مصائب عديدة وكان قادرا على أن يبين جوهر الميكانيزم المشؤم واساليب عمله • وفى المقدمة يكتب المؤلف عن مبدأ اضعاف عدم الاستقرار الذى طبق فى البلدان التى كان الوضع السياسى فيها يلقى امبريالية امريكا الشمالية • وهو يقول ، أنه فى سياسة الولايات المتحدة يعتبر هذا المبدأ

من بطل أزمات؟!

يريد بعض قرائنا أن يعرفوا شيئاً عن تطور المدن في البلدان الاشتراكية وقضاياها :
الراهنه - وهم يقولون أن أزمة المدن في ظل الرأسمالية مظهر لأزمة الرأسمالية العامة ،
بيد أن التحضر يثير مصاعب كبيرة ذات طابع عام - فضلاً عن تواجه المدن في البلدان
الاشتراكية بنورها هذه المعضلات ؟ ألا تواجه مصاعب في تمويل اقتصاد البلديات
وبرامج الإسكان وحماية البيئة والنقل واجراءات مكافحة الجريمة ؟ وللمرد على هذه
الاسئلة ننشر معلومات عن برلين ووارسو وبوخارست وموسكو وبراغ جمعها مكتب
الاعلام في المجلة على اساس المعطيات التي تقدمت بها مشكورة الهيئات البلدية في هذه
المدن .

ان النمو السريع في العالم اليوم يثير عدداً من القضايا المشتركة بين كل المجتمعات
(التطور السريع للنقل في المدن ، حماية البيئة ، زيادة عدد سكان المدن ، ضرورة الاسراع
ببناء المساكن ، الخ -) - غير أن هذه القضايا تعالج بطرق مختلفة في البلدان
الاشتراكية - فيفضل طبيعة النظام الاشتراكي ذاتها تتاح للمدن الاشتراكية ظروف مواتية
للحل المخطط المتوازن لقضايا التطور ، الامر الذي يساعدنا في تجنب كثير من الظواهر
التي نتمتع بها المدن في العالم الرأسمالي .

فالتنقص في الموارد المالية - هذا الداء الدائم الذي يصيب البلديات الرأسمالية يمثل
عائقاً امام تطور المدن ، ويدفعها في بعض الاحيان الى حافة الإفلاس . وعلى سبيل المثال
وقعت كثير من المدن الكبيرة في الولايات المتحدة الامريكية في قبضة أزمة مالية حادة
طيلة سنوات .

وعلى العكس يكفل النظام الاشتراكي للإدارة الاقتصادية - بتخطيطه المتوازن - حلاً
رشيداً للقضايا المالية التي تواجه المدن . ولا يجرى تمويل المدن الاشتراكية من الضرائب
التي تفرض على الجماهير العاملة كما هو الحال في البلدان الرأسمالية ، وإنما من عائدات

الاقتصاد الاشتراكي . وعلى سبيل المثال شكلت الاستقطاعات من أرباح المؤسسات الصناعية ٩٢٪ من ميزانية بلدية موسكو في عام ١٩٧٦ .

ويكفل النمو الاقتصادي المضط في البلدان الاشتراكية زيادة ثابتة في ميزانية المدن . فقد ارتفعت ميزانية براغ مثلا من ٢٨٦٢ مليون كرون عام ١٩٦٥ الى ١١٠١١ مليون كرون عام ١٩٧٥ . كما ارتفعت الميزانية في موسكو بنسبة ١٤٠٪ خلال السبعة عشر عاما الماضية ، وفي بوخارست زادت إيرادات الميزانية فيما بين ١٩٧١ و ١٩٧٦ من ٢٢٢٨ مليون الى ٤٢٤٠ مليون لى ، كما زادت في برلين من ٢٢٧٥ مليون مارك الى ٢٦١٥ مليون مارك في عام واحد (١٩٧٥ - ١٩٧٦) .

ويصرف أكثر من نصف اعتمادات ميزانية المدن على التعليم والرعاية الطبية والخدمات الثقافية والاجتماعية . ويتزايد هذا النصيب باستمرار . ففي برلين زادت النفقات على التعليم والرعاية الطبية والاحتياجات الاجتماعية والثقافة والرياضة والراحة والترفيه خلال عام واحد (١٩٧٥ - ١٩٧٦) من ١٠٦٠٩ مليون مارك الى ١١٦٦٩ مليون مارك . وارتفعت مصروفات موسكو على الاحتياجات الاجتماعية والثقافية في الفترة ١٩٦٠ - ١٩٧٥ من ٢١٢٤٠٠٠٠٠ روبل الى ٢٠٠٠٠٠٠٠٠ روبل ٨٠٢٠٠٠٠٠ . وفي براغ زادت اعتمادات المؤسسات الثقافية والمؤسسات التي تقدم للمنظمات التي تقوم بالنقل العام الخ ٢٥٠٪ خلال العام الماضي ، فبلغت ١٩٠٠ مليون كرون .

ومع استمرار نمو الموارد المالية للمدن الاشتراكية تجد من السهل عليها أن تعالج قضية حيوية مثل مسألة الاسكان . فهي اليوم تلق في المقدمة في مجال بناء المساكن ، وعلى عكس المدن الرأسمالية . حيث بناء المساكن عملية متقطعة نتيجة المضاربة في الارض والاندفاع نحو الربح - يقوم البناء في المدن الاشتراكية على خطط موضوعة علميا وطويلة الابد ، وتشمل المجمعات السكنية فيها عددا كافيا من المدارس ودور الحضانه ورياض الاطفال والتمهيلات البلدية ومراكز البيع والمقاهي والعيادات الخارجية للمرضى والمستشفيات وصلات الرياضة والملاعب - أي كل ما يحتاجه المواطن وعائلته ليعيش حياة صحية ومرحة . وأخيرا وليس آخرا فإن عدم وجود ملكية خاصة للأرض يستبعد المضاربة فيها .

لقد كانت وارسو انتقاضا بعد الحرب العالمية الثانية بعد أن دمر ما بين ٨٠٪ - ٩٠٪ من مساكنها ومواصلاتها . وكان لابد من بنسء العاصمة البولندية عمليا من جديد . وهكذا أقيمت شقق لاسكان ٢٠٠٠٠٠٠ شخص كما أقيمت مرافق جديدة تماما على أحدث طراز وفقا لاسلوب الحياة الاشتراكي . وبذل جهد كبير لترميم الآثار التاريخية التي دمرها النازيون بلا رحمة .

وتغفر وارسو اليوم بنحو نصف مليون شقة تبلغ مساحتها السكنية ٢١٣ مليون متر مربع . وقد تضاعف عدد الشقق التي بنيت في المدينة في عام ١٩٧٥ عن العدد الذي سجل في بداية فترة السنوات الخمس الماضية .

كعسا كان لا بد من اعادة بناء برلين - عاصمة جمهورية ألمانيا الديمقراطية - بدورها بعد الحرب . وفي الفترة من عام ١٩٧١ الى عام ١٩٧٥ وحدها حصل السكان على نحو ٤٩٠٠٠ شقة بناؤها ، وعشرات المدارس ، وعدد كبير من رياض الاطفال ودور الحضانه . وتحسنت ظروف معيشة ١٢٨٠٠٠ من أبناء برلين أي ١٢٫٥٪ من السكان . وأولى برنامج تطوير المدينة اهتماما كبيرا لتحسين اسكان عائلات العمال . وكان نحو ٦٠٪ ممن انتقلوا الى شقق جديدة في عام ١٩٧٥ من العمال وأقارب عائلاتهم ، مع اعطاء الاولوية للعائلات كبيرة العدد .

وقد اقيم اكثر من ٢٠٪ من كل شاق براغ - ويقطنها اكثر من ٢٠٪ من سكان المدينة (٣٢٦٠٠٠ نسمة) في فترة ما بعد الحرب - وخصصت اللجان الوطنية في المدينة نحو ٤٠٪ من الشقق للعالم وعائلاتهم - وفي عام ١٩٧٥ اعطى اكثر من ٢٥٪ من الشقق للمتزوجين حديثا .

وقد عرفت العاصمة السوفييتية بالبناء الواسع للمساكن - ففي عام ١٩١٧ لم يكن في موسكو سوى ١٢ مليون متر مربع من المساحة السكنية ، اغلبها دون مرافق كافية - وارتفع الرقم في سنوات الحكم السوفييتي الى ١١٩ مليون متر مربع ، اي بعبارة اخرى ان المبيلة قد اتسعت تسعة اضعاف منذ ثورة اكتوبر - وفي الفترة من ١٩٧١ - ١٩٧٥ تحسنت ظروف سكني ٢٣ مليون شخص - ويعيش اغلب سكان موسكو اليوم في مساكن حديثة في ٩٩٪ منها مياه جارية ومرافق صحية وغاز ، وفي ٩٧٪ منها تنفئة مركزة ، وفي ٩٠٪ منها حمامات (وعلى العكس يعيش نحو ٣٧٪ من سكان لندن في عام ١٩٧١ في مساكن تفتقر الى الخدمات اللازمة) .

وتحقق تقدم ملحوظ في بوخارست ايضا - ففي فترة السنوات الخمس الاولى من ١٩٥١ الى ١٩٥٥ لم تبني في المدينة سوى ٢٥٠٠ شقة ، في حين اقيمت في فترة السنوات الخمس الاخيرة ١٢٠٠٠ شقة يسكنها ٤٠٠٠٠ شخص .

والايجار منخفض في كل البلدان الاشتراكية - فهو يبلغ في براغ مثلا ٢٫٧٪ من ميزانية العائلة في عام ١٩٧٥ ، وفي موسكو ٤ ٪ وفي برلين ٥ ٪ ، ونجد مثل هذا الايجار المنخفض في البلدان الاشتراكية الاخرى .

وقد اعترف العالم كله بتقدم البلدان الاشتراكية في بناء المساكن - غير ان هناك عددا من القضايا التي تتطلب الحل ، وعلى سبيل المثال ليست كل الشقق واسعة بالدرجة الكافية - غير ان خطط بناء المساكن في المستقبل القريب تستهدف حل هذه المسألة بدورها .

لكن الوضع مختلف تماما في البلدان الرأسمالية بما فيها البلدان الصناعية - ففي فرنسا مثلا تشير الاحصاءات الرسمية الى ان عدد العمارات السكنية التي يجري بناؤها قد انخفض في عام ١٩٧٦ بنسبة ٧٪ عن العام السابق ، في حين يوجد اكثر من مليون ونصف شقة غير مسكونة لان ايجارها يزيد كثيرا عما تحتمله ميزانية المواطن .

ويمثل النمو السريع في حركة المرور ، وبدرجة اولى للسيارات الخاصة ، مسألة حادة في المدن الحديثة - وقد وصلت هذه المسألة في البلدان الرأسمالية الى ابعاد رهيبه - أما في المدن الاشتراكية فان التطوير السريع للنقل تحكه خطط شاملة مخصصة علميا - ويخلف نهر شبكة القطارات تحت الارض كثيرا من ازحام المرور في المدن - وعلى سبيل المثال يتولى مترو موسكو - الذي يبلغ طول خطوطه ١٦٤ كيلو مترا - ٣٧٪ من عمليات النقل في المدينة - كما ان مترو براغ - الذي لم يعمل الا منذ بضع

سنوات - قد اصبح مفيدا للغاية في هذا الصدد - ومن الحلول المباشرة الاخرى الاستخدام الواسع للاتوبيسات والترامات وعبوات التrolley - وقد زاد عددها في برلين بنسبة ٤٠٪ فيما بين ١٩٧١ - ١٩٧٥ - وخلال العقود الثلاثة الماضية تضاعف عدد الاوتوبيسات في بوخارست نحو اربعة اضعاف - وقد وسعت الشوارع والطرق لزيادة طاقة المرور وسلامة الطرق في البلدان الاشتراكية ، ويجري تحسين تنظيم النقل على نطاق واسع لمواجهة التوسع في النقل .

وحماية البيئة قضية حادة اخرى يثيرها اتساع التحضر - وفي البلدان الاشتراكية

يجرى الربط بين تطور المدن والظروف الصحية . وقد اتخذت الترتيبات لسلسلة واسعة من الاجراءات التي تتخذ لحماية اكيدة للبيئة . وتشمل هذه الاجراءات تنقية المياه والهواء ، وتخفيض مستوى الضوضاء ، ونقل المصانع الى خارج حدود المدن .

وقد زاد عدد المناطق الخضراء كثيرا في وارسو بحيث أصبح هناك أكثر من ٤٠ مترا مربعا من الحدائق والمتنزهات مقابل كل مواطن . وتتم في ضواحي وارسو ٨٠٠٠ شجرة ، وتخصص مبالغ كبيرة لتنقية الجو وموارد المياه . وقد انشقت المؤسسات الصناعية في وارسو ٧٢ مليون زلوتي في عام ١٩٧٥ على معدات مكافحة تلوث الهواء و ١٢٧ مليون زلوتي لاقامة معامل لتنقية المياه .

وفي بوخارست اقيم منتزه سيركوس ومنتزه الضياف ومنتزه تيتان وغيرها من مناطق الترفيه الجديدة لتحسين البيئة والمناخ . ووسعت مساحة حدائق المدينة في كل الاحياء . وخطط لتنقية المياه خطوات كبيرة ، ووسع « شريط البحيرات » في المدينة ليصل الى ٣٠ كيلو مترا .

وتتم الاشجار والفضيات الآن في آلاف الهكتارات من اراضي مدينة موسكو وعلى طول ٤٠٠ من شوارعها وطرقها . وبغضلا عن ذلك ظهر في المدينة ٢٠ منتزها جديدا و ٣٠٠ حديقة . وفيما بين عام ١٩٧١ وعام ١٩٧٥ اقيمت أو جددت ٢٣٠ من خزانات المياه و ١٠٠٠ وحدة لالتقاط الغبار والغاز . وتقل كل هذه الاجراءات من الانطلاق اليومي للعواصم التي تلوث الهواء بأكثر من ألف طن .

وتتقدم حماية البيئة في البلدان الاشتراكية الاخرى كذلك . فقد زرعت النباتات الخضراء في ١٦٠ هكتارا جديدة في براغ في السنوات الماضية ، واقامت متنزهات تبلغ مساحتها ١٢٠ هكتارا في الاحياء السكنية الجديدة في العاصمة التشيكوسلوفاكية .

وقد بلغت الجريمة حد الكارثة في المدن الرأسمالية ، وبخاصة الجريمة المنظمة التي انتشرت انتشارا مهنوما . فعين احتلت الولايات المتحدة بالعديد المئوي الثاني في عام ١٩٧٦ ضرب مستوى الجريمة رقما قياسيا : جريمة قتل كل ست دقائق .

أما المجتمع الاشتراكي فقد أزال أسبابا للجريمة مثل عدم المساواة الطبيعية والاجتماعية والبطالة والفقر . وهزم الاكواخ والاحياء المفلقة (الغيتو) حيث تؤدي المظالم الاجتماعية والاقتدار الى الحافق المدنية الى توليد الجريمة . وقد تخلصت المدن الاشتراكية من كثير من الجرائم الناجمة عن انساني المضدرات . ويقل مستوى الجريمة فيها كثيرا عنه في الدول الرأسمالية . فعمليات انتهاك القانون في برلين عاصمة جمهورية ألمانيا الديمقراطية تقل بنسبة ٨٦٪ عنها في برلين الغربية .

ويفضل الاجراءات الفعالة لمكافحة الجريمة أو منعها يستمر مستوى الجريمة في الانخفاض في المدن الاشتراكية . فقد انخفض في برلين مثلا ٢٠٪ في ١٩٧٤ - ١٩٧٥ عنه في عام ١٩٧٢ . وفي العهد الماضي من الزمن انخفضت جريمة التشرد بنسبة ٥٠٪ في موسكو ، وفي وارسو انخفض عند سرقات الملكية الخاصة والعامة نحو ٣٢٪ فيما بين ١٩٦٥ و ١٩٧٢ .

لقد وصف الصحفي الأمريكي مايك رافيدو عن حق مدن العالم الاشتراكي بأنها مدن بلا ازمات . وتوضح الوقائع والارقام الواردة هنا - وإن لم تكن شاملة - اتجاه تطور العواصم الاشتراكية . كما توضح ما حققته الاشتراكية في توفير مستوى معيشة وظروف ثقافية ملائمة للتطور المنسجم للانسان .

الظروف موافاة للتلشيط الاقتصادى
للاحتكارات الرأسمالية الإغنية فى البلدان
النامية .

وقد اشرنا من قبل الى أن متوسط الدخل
المسئى بالنسبة للفرد يعترى مقياسا هاما
من قبل المفسرين البرجوازيين لتقسيم
العالم الى بلدان « غنية » و « فقيرة » ،
ومن المهم أن نوضح من أين تأتى هذه
الدخول ، وكيف توزع بين الفئات والطبقات
الإجتماعية المختلفة ، وكيف تستخدم
لتطوير الاقتصاد القومى ، وما الذى
يحول دون استخدام هذه الدخول لصالح
البلاد .

عندما نعلم النظر فى هذه المسائل نرى
أن درجة اعتماد البلاد المعلة الاقتصادى
والسببى على الرأسمالية العالية له أهمية
كبيرة .

ان أحد أسباب خطأ فكرة البلدان
« الفقيرة » و « الغنية » ، و « المتطورة »
و « المتخلفة » هو أنها غير مستندة على
موقف تاريخى من المشكلة . فالتخلف
الاقتصادى والإجتماعى للبلدان النامية
ظاهرة تاريخية جديدة نسبيا . والهوة
الواسعة فى مستويات التطور بين بلدان
العالم المختلفة حدثت فى القرنين الأخيرين
أساسا نتيجة لتكوين النظام الاستعمارى
للإمبريالية ولتقسيم العمل الدولى
الرأسمالى .

وفى فترات معينة من التاريخ وصلت
بعض البلدان التى تشغل اليوم أراضى ما
يسمى بالبلدان النامية الى مستويات عالية
للغاية من المدنية ومأرست تأخراً ملحوظاً
على الحضارة العالمية ، ويمكننا أن نقدر
الى دور مصر والعراق فى الأزمنة القديمة
والى الحضارة العربية فى العصور
الوسطى ، على سبيل المثال .

وهكذا فإن التخلف الاقتصادى للبلدان
النامية ناجم عن فعل الاقتصاد الرأسمالى
العالمى وعن تقسيم العمل الدولى
الرأسمالى .

آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية اخترع
إيديولوجيو البرجوازية مصطلحات سياسية
واقتصادية جديدة مثل « البلدان الغنية »
و « البلدان الفقيرة » أو « البروليتارية »
وتسموا العالم من جديد الى بلدان
« متطورة اقتصاديا » و « بلدان » متخلفة » .

فبأى المقاييس يصنف الكتاب
البرجوازيون البلدان على أنها « فقيرة »
أو « متخلفة » ؟ بالنسبة لمعظمهم فإن
المقياس الأساسى هو النطاق المحدود
للإنتاج بالنسبة للفرد بالمقارنة مع البلدان
« المتطورة » ، وما يترتب على ذلك من
مستوى منخفض لمتوسط الدخل المسئى
بالنسبة للفرد . والمقاييس الأخرى هى
الأنص الشديدة فى رأس المال ، وانخفاض
النتاجية العمل ، والتجهيز التكنيكى الفقير
لكافة فروع الاقتصاد القومى .

ويرجع السبب الرئيسى للتخلف
الاقتصادى لشعوب آسيا وأفريقيا وأمريكا
اللاتينية الى الاستغلال الاستعمارى الذى
خضعوا له طويلا . ويعمد أن حقلت
المستعمرات السابقة استقلالها السياسى ،
تلجأ الإمبريالية الى الأساليب الاقتصادية
والعسكرية لمواصلة وتكثيف استغلالها
للدول الغنية .

وهذا السبب الرئيسى هو الذى يتجاهله
المفكرون البرجوازيون . وتحليلهم لإقتصاد
البلدان المتحررة حديثا ذو طبيعة وصفية
هى الغالب . وهم يعترفون فى أفضل
الأحوال بالفقر والتخلف الاقتصادى ،
والأمراض ، والأمية ، واثار الإغنية
الثقافية والإشكال المالية للاقتصاد التى
ترتبت على السيطرة الاستعمارية الطويلة .

انهم لا يتجاهلون دور النظام
الاستعمارى للإمبريالية باعتباره سبب
للتخلف الاقتصادى لتلك البلدان ولكنهم
يحاولون المحافظة على استمرار السيطرة
الاستعمارية بقولهم بأن هذه البلدان
يمكنها أن تتخلص من تخلفها الاقتصادى
فحسب « بمساعدة » البلدان الإمبريالية .
وهم يعنون « بالمساعدة » خلق أكثر

SOCIALIST STUDIES

AUGUST 1977

MAIN SUBJECTS

- Political Alliances in the Anti-Imperialist Struggle
- Sixty years of Struggle for peace and happiness of mankind.
- Communism: Solidarity is the true road to Success for the cause of peace and Socialism.
- The working class and its policy of alliance.
- Literature and class Struggle.
- International Politics and moral standands
- The Human rights issue.
- Social Problems of the cities and communist policy.

● ريتسه أورباني :

رئيس الحزب الشيوعي في
لوكسمبرج .

● أيجور بليشيشنكو :

سكرتير الاتحاد الدولي للمحامين
الديمقراطيين .

● اشترك في هذا العدد :



● أيريك هونيكز :

السكرتير العام للجنة المركزية
للحزب الاشتراكي الألماني الموحد .

● دون ديمالاسيري ساياسنج :

عضو المكتب السياسي وسكرتارية
اللجنة المركزية للحزب الشيوعي
في سرى لانكا .

● جوريس يونوماريوف :

العضو الاحتياطي للمكتب السياسي،
وسكرتير اللجنة المركزية للحزب
الشيوعي السوفييتي .

● جلاليس مارين :

عضو اللجنة السياسية للجنة
المركزية للحزب الشيوعي الصيني .

دراسات اشرالية

مجلة شهرية
تصدر عن دار الهلال
بالتعاون مع مجلس
السام والاشتراكية

رئيسة مجلس الإدارة
أمينة السعيد
رئيس التحرير
إبراهيم عبد الحليم

لن العدد : جمهورية مصر العربية
١٠٠ ملجم - من الكميات المرسلة بالطائرة
في سوريا ولبنان ١٢٥ قرشاً في الأردن
والعراق ١٢٠ فلساً .
قيمة الاشتراك السنوي : ١٢٥ عدد
في جمهورية مصر العربية وبلاد اتحاد
البريد العربي والأفريقي ١٠٠ قرشاً
في سائر أنحاء العالم ٥ ونصف دولار
أو ٢ ج. ك. والقيمة تزيد مقدماً القسم
الاشتراكات بداء الهلال : في جمهورية
مصر العربية والسودان بحالة بريدية .
في الخارج بتحويل أو شيك مصرفي قابل
للمصرف في جمهورية مصر العربية والاسعار
الوضحة أعلاه بالبريد العادي - وتطرد
رسوم البريد الجوي والمسجل على
الاسعار المحقة عند الطلب .
الدولة : دار الهلال ١٦ شارع محمد مر
العرب ، القاهرة .
تليفون : ٢٠٦١٠ - عشرة خطوط .



للفنان هبة عنايت

تدريب عملي